عبد الرحمن ابو قوس

الثورة الثقافية
في الصين

مكتبة ماو تسي تونغ للعرب
https://sites.google.com/site/maoforarab

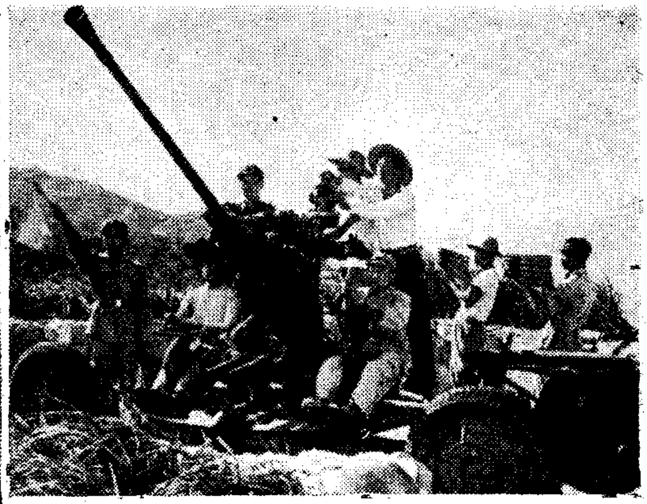
نسخه للأنترنت بواسطة الماسح الضوئي: الصوت الشيوعي
https://sites.google.com/site/communistvoice
communistvoice@yahoo.com

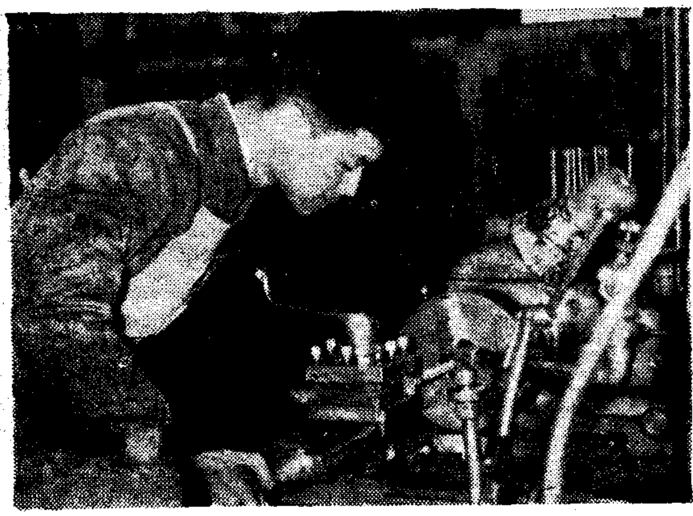
عبدالرحمن ابوقوس

الثورة الثقافية في الصين

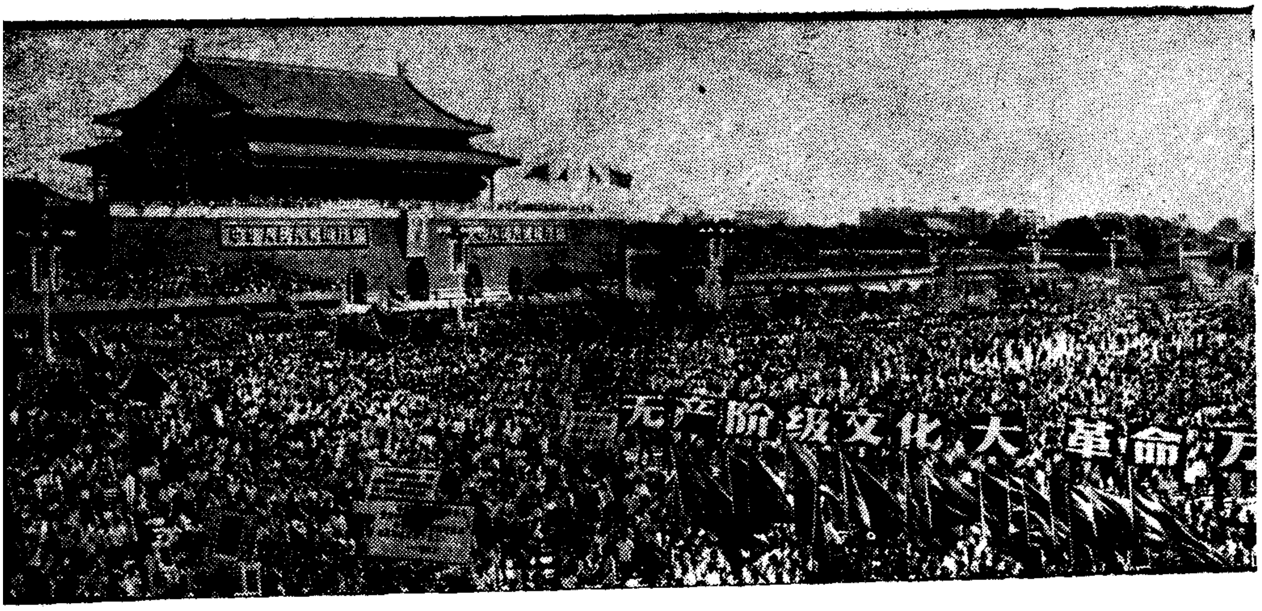


● مؤلفات الرئيس ماو مصدر روحي للثورة المستمرة ●





● عمال يمارسون الجندية والزراعة والانتاج الصناعي ●



● مليون شخص يحيون الثورة الثقافية والحرس الاحمر ●



● فتاة من « الحرس الاحمر » تضع شارة الحرس على ساعد الرئيس ماو تسي تونغ ●



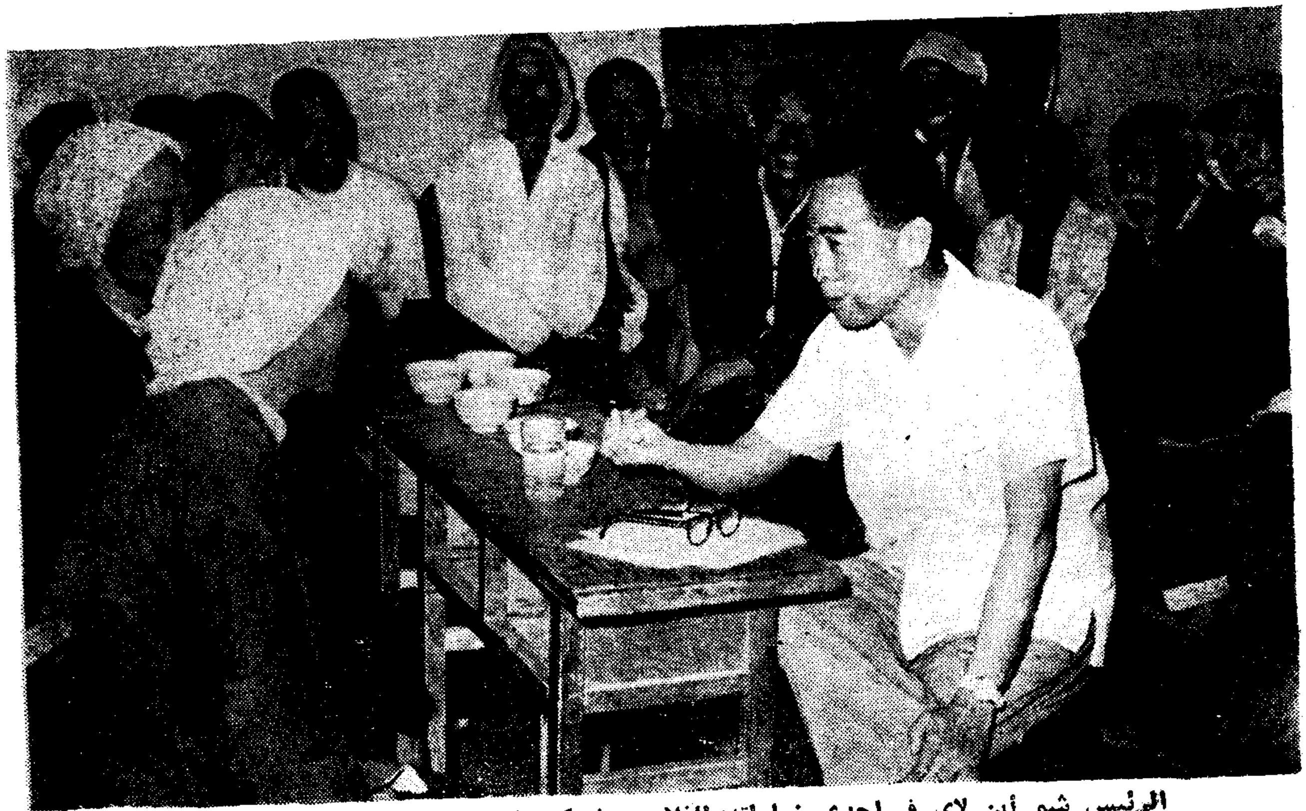
النظرية أغنى مصدر لبناء الانسان الجديد .. هكذا يهتف الحرس الاحمر
وهو يحمل مؤلفات الرئيس ماو تسي تونغ



« الحرس الاحمر » من الاقليات القومية يرفع مؤلفات ماو تسي تونغ كشعار للنظرية التي يعمل بهديها



جماهير الشعب تتجه نحو مقر عمدة بكين الجديد لتعلن تأييدها للثورة الثقافية
ويشاهد وزير الدفاع لين بياو وعلى ساعده شارة « الحرس الاحمر »



الرئيس شو أين لاي في احدى زياراته للفلاحين في كومونتهم لمناقشة الخطة الانتاجية محليا



الثورة الثقافية تعبير عن ارادة الجماهير في اجتثاث جذور الرجعية من كل ميدان



امتلات شوارع ومعامل ومزارع وادارات الصين كلها بصحف الجدار
المتضمنة حكم الشعب على بقايا الرجعية والمنحرفين



لافتات يكتبها الجيل الجديد بحروف كبيرة تؤكد العزم على المضي
بالثورة الثقافية حتى القضاء على الاعشاب السامة



المليشيا الشعبية قوة الشباب الصاعد المؤيدة للبناء الاشتراكي والثورة الثقافية



القراءة الجماعية للصحف هي احدى طرق التثقيف الجماهيري التي تمارسها الاشتراكية في الصين



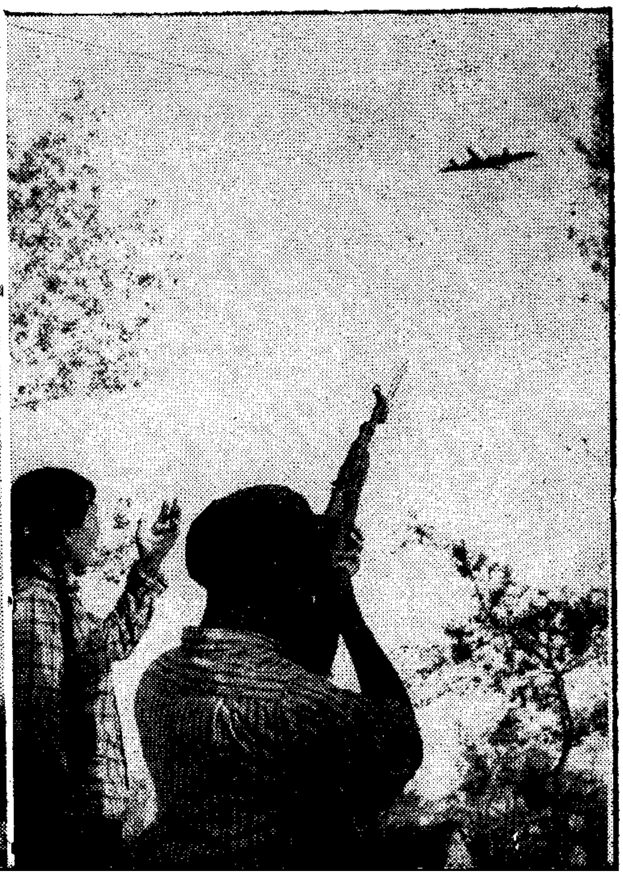
أطفال عمال

هؤلاء الاطفال طلاب في المدارس الابتدائية.. ومع هذا فهم يمارسون الصناعة الخشبية لحساب أحد المعامل وهكذا يتمرنون على العمل ، ويخدمون الانتاج ، ويتحررون من دلال التلمذة الطفولي ، ويتحولون الى قوة مثقفة ومنتجة معا ..

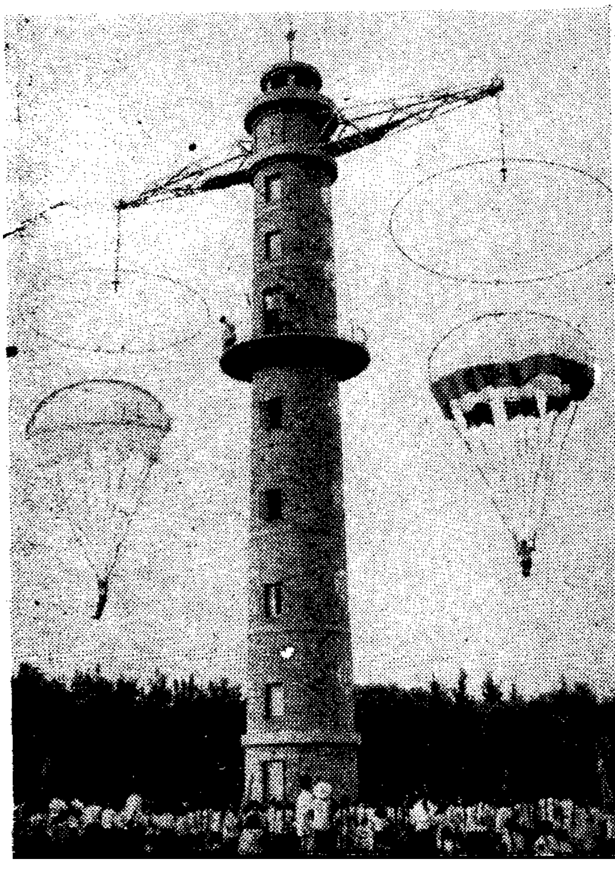


لم يعد للجندي الصيني شارات مميزة بين الرتب .. لقد زالت الطبقية في العسكرية الصينية

التمرين على اصطياد الطائرات هواية شعبية



وكذلك التمرين على الهبوط بالمظلات





التمرينات العسكرية للحرس الوطني المؤلف من كل فئات الشعب مظهر من مظاهر كل الشعب جيش لدعم الثورة



« حرس الحدود » مجموعة قوى شعبية تبرز صفة الانسان الاشتراكي
المتطور من كل الجوانب والقادر على كل الاعمال

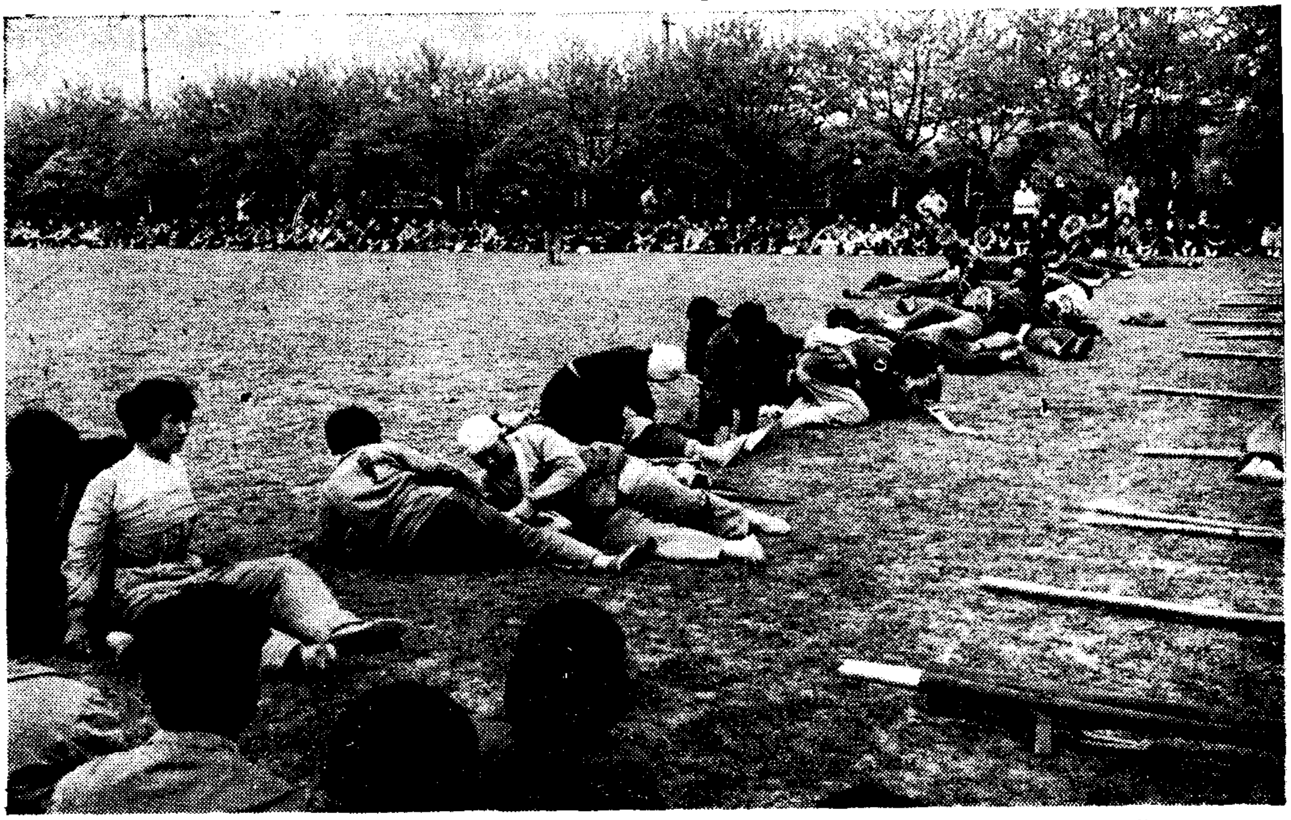
اتحاد أدباء الصين يرعى كتاب الشعب الناشئين ويشجعهم



رئيس اتحاد ادباء الصين ، كوموجو ، يقدم شهاد التفوق في كتابة القصة لاحدى الكاتبات الجديرات
اللواتي نبتن من قلب الشعب لتخليد الابطال الجدد ، ابطال العمل
والانتاج الصناعي والزراعي والعسكري الثوري



لندرس كل اسباب النصر .. لنتمرن على كل انواع الدفاع .. لنضع انفسنا في خدمة شعب يكافح الاستعمار والتخلف



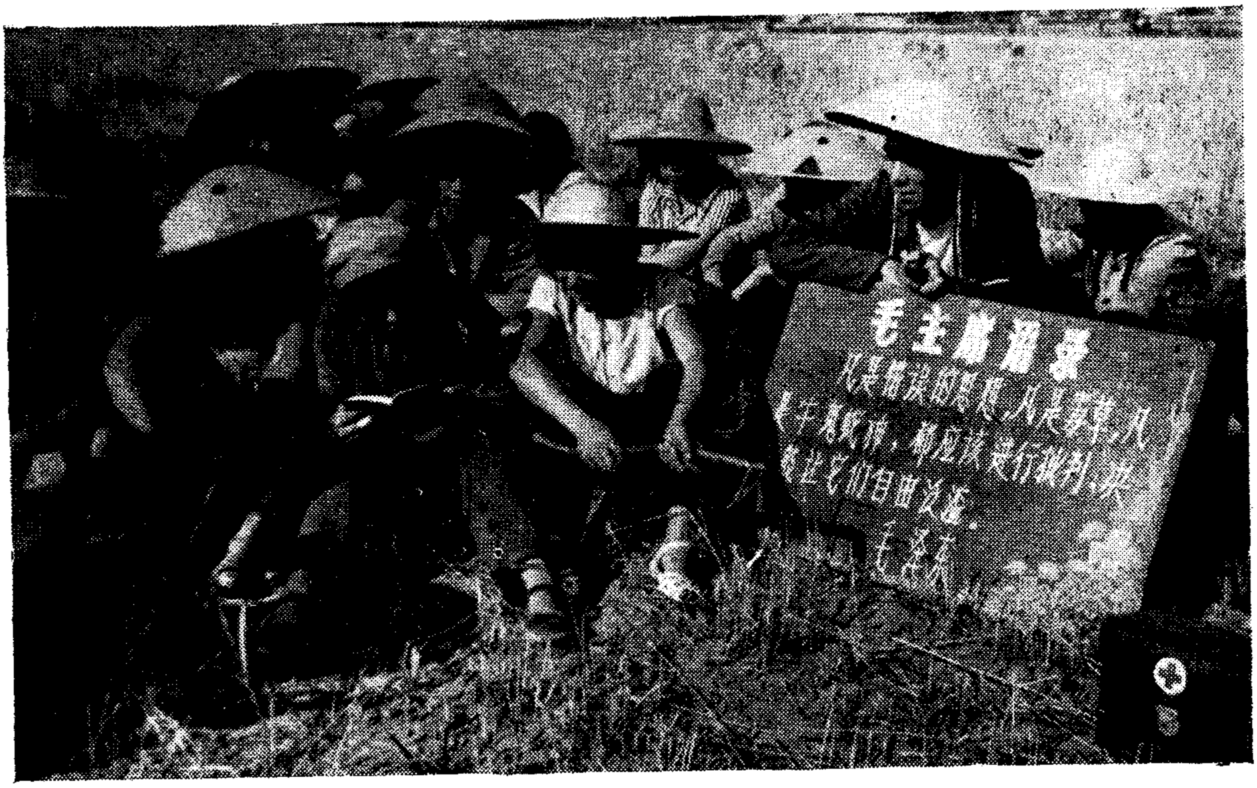
الكومونات الشعبية وحدات انتاجية صناعية وزراعية وكذلك وحدات ثقافية وعسكرية .. ذلك هو الانسان الاشتراكي الجديد ...



التطور من كل الجوانب

الفتيات الصينيات وهن في ميدان الانتاج الزراعي وهن من مدارس « نصف عمل ونصف دراسة » .

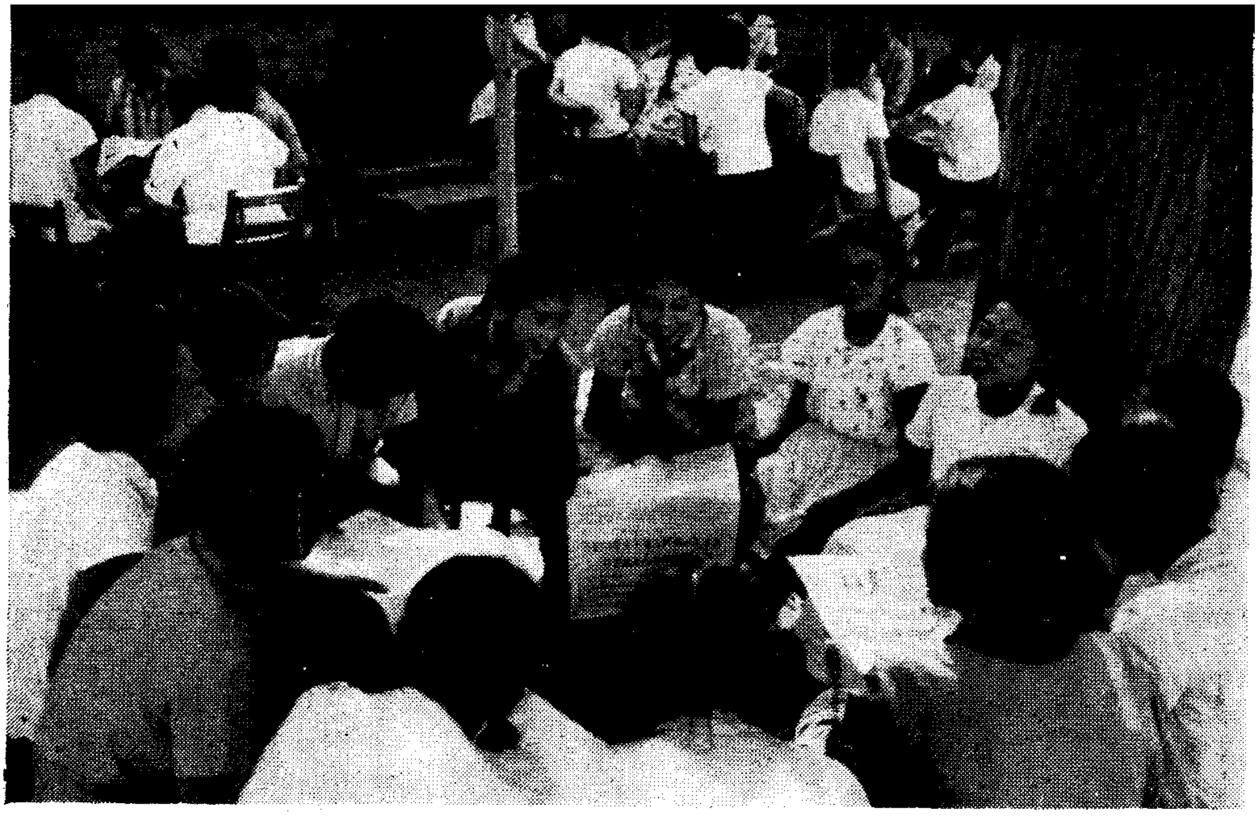
ولقد اعطت هذه التجربة التثقيفية خير جيل منتج ومثقف معا ..



النقد والنقد الذاتي

فلاحون يدرسون احسن الطرق لتطوير الزراعة ، ويتبادلون وجهات النظر في اخطاء العمل وطرق التصويب والى الجانب جريدة الجدار التي يكتب عليها كل انسان رأيه الصريح الحر في سير العمل ويمارس النقد والنقد الذاتي في سبيل اكتشاف الصواب من اعماق الخطأ .

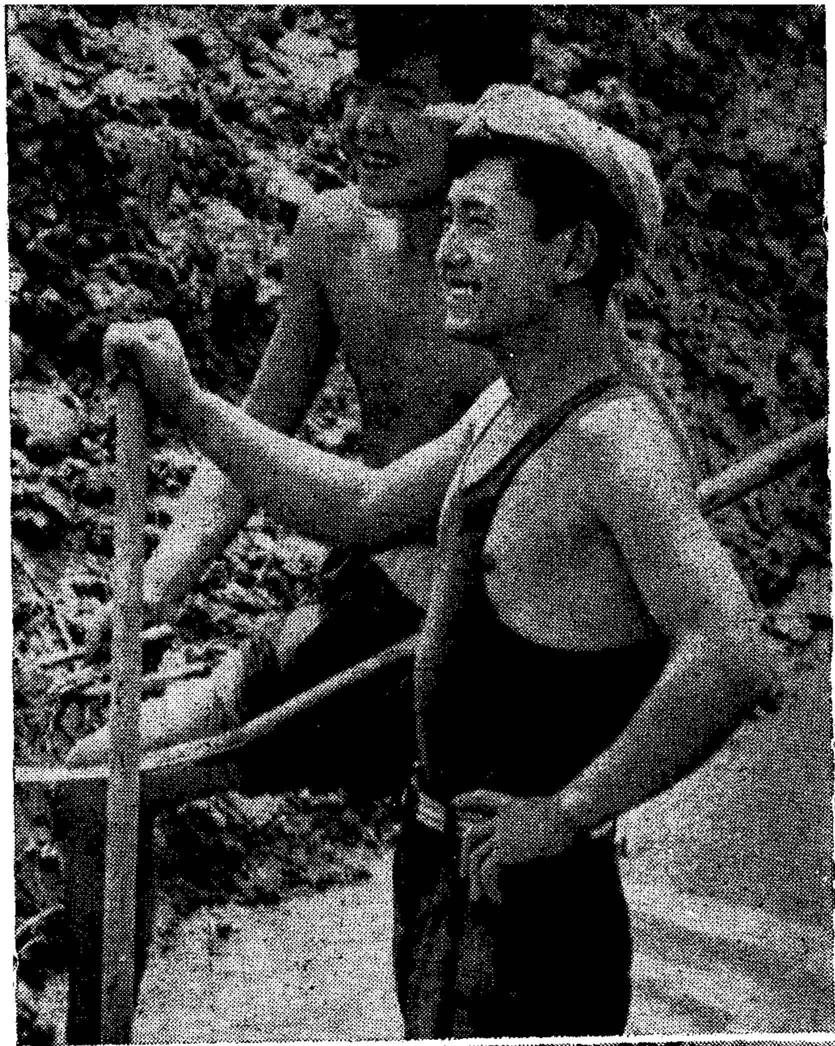




حلقات لدراسة ونقد الاشخاص الذين كشفت الثورة الثقافية تآمرهم



اديب قروي..يقرأ قصته الجديدة على الفلاحين الذين وردت اسماؤهم في قصته ليشاركوا في انتقادها ..



جيل جديد

هـذان الشـابان يبتسمان لنتائج عملهما الذي يمارسانه بعد ساعات الدراسة .

●

وفي الصورة الثانيـــة ، مجموعة من العمال الطـلاب تتناقش في مصاعب العمـل وطرق التغلب عليها ، وهـذه المناقشات هي نوع من الادارة الجماعية والعمـل الجماعي اللذان يمثلانابرز صفاتالحكم الجماعي في المجتمعالاشتراكي.





اذا تحولت النظرية الى مصدر مهم للتطبيق العملي في الانتاج تصاعد البناء الاشتراكي بسرعة ..



وطالبات المدارس الابتدائية يتدربن على السلاح

طلاب المدارس الابتدائية يغرسون الاشجار

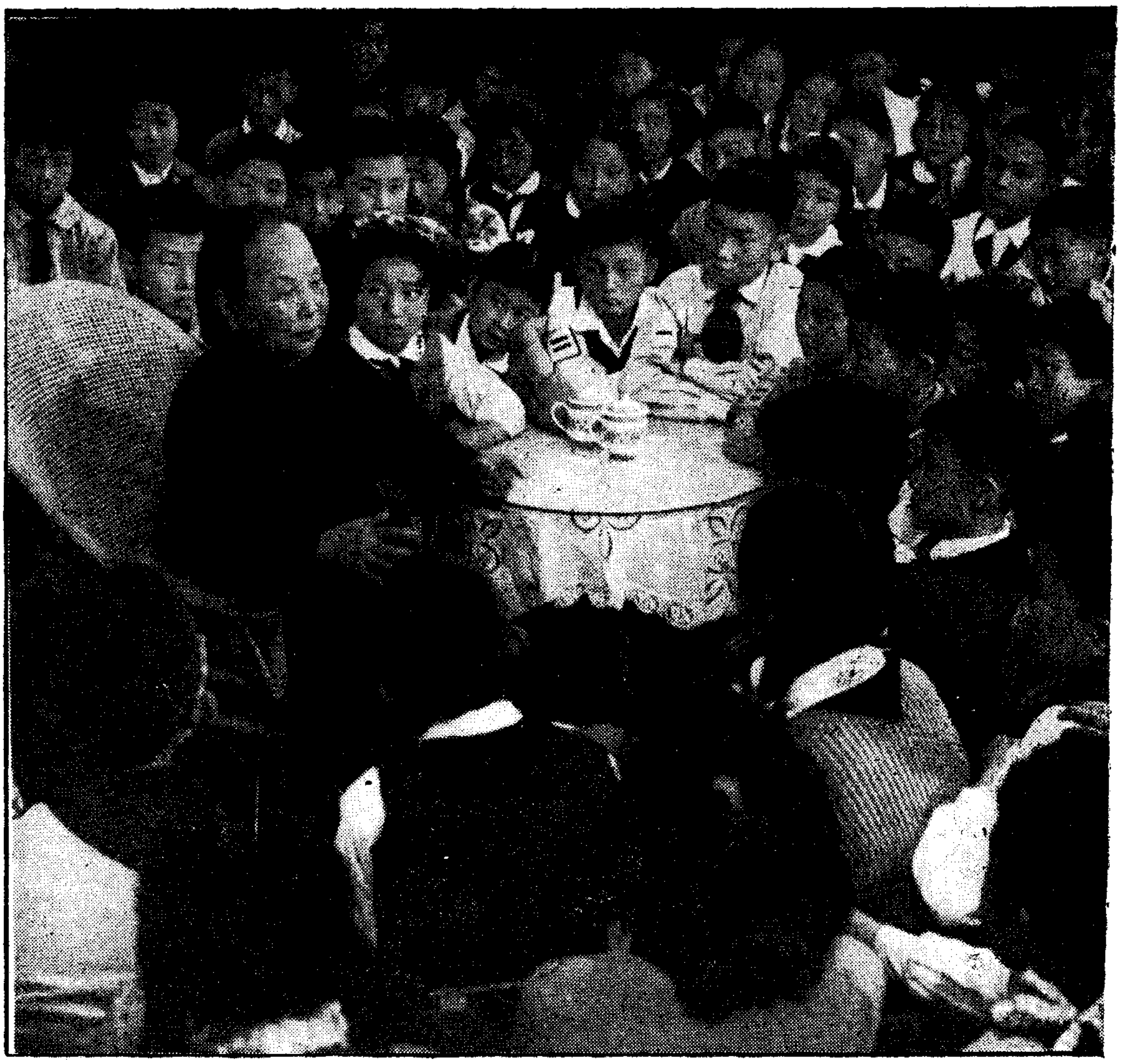




الجد ، والابن ، والحفيد ... يتبادلون الخبرة على استعمال السلاح الحديث



فنانات القرية في زيارة لاحدى قطعات الجيش للترفيه عن الجنود



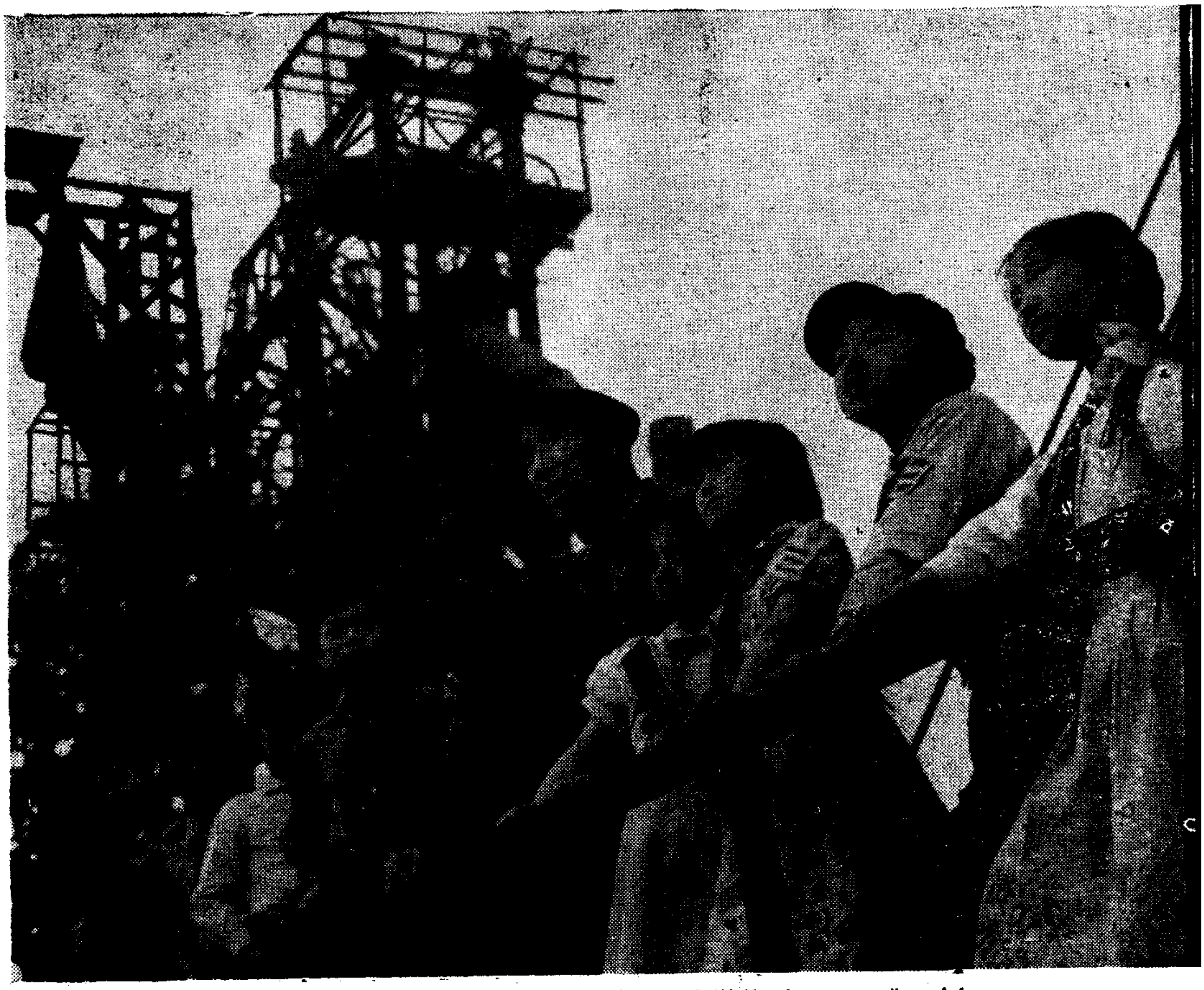
« كنت يا أبنائي أمة باعني أبي للاقطاعيين لسبب الفقر ... »
وها أنتم احرار تبنون وطنا حرا هو أمل كل الشعوب المضطهدة ...



الشرطة في خدمة الشعب

هذا الشرطي يحمل على ظهره كل ما يحتاجه أولاد امرأة مريضة لزمت المستشفى انه يصعد الجبال ويجتاز اصعب الممرات في سبيل عمله الانساني ..

هذا الشرطي هو من افراد شرطة الكومونة المحلية ..



عامل متقدم .. يعلم الطالبات والطلاب كيف تم صنع هذا المعمل الكبير
بالاعتماد على النفس ودون اي مساعدة او خبرة اجنبية



الشعب المسلح

كل فرد من افراد الشعب الصيني يمتلك سلاحه ... ذلك هو مظهر وحدة الشعب والحكم في ظل النظرية ...

وتلك هي واقعية تنفيذ نصيحة الرئيس ماو تسي تونغ التي تقول : اعتمدوا على الشعب ، وثقوا به ، وتعلموا منه قبل ان تكونوا معلميه ..



مساواة في الحقوق والواجبات

المرأة في الصين تمارس كل الاعمال ، وهي متساوية في الحقوق .. وفي الواجبات مع الرجل .. فكما اخترقت صفوف علماء الذرة ، وقيادات الحزب ، وادارات الوحدات الانتاجية ، هكذا احتلت مكانها في الجيش .. وهذه الحسناء .. طالبة تتمرن على الرماية ، ان الايدي الناعمة قد تحقق في معركة ما نصرا عظيما لا يقل عما يحققه الرجل ... لهذا فهي تستعد لمثل هذه البطولات ..



حلاقة جميلة ... ورأس فتاة تحت مقصها الفني .. ولهذه الحلاقة الشابة قصة تجد خلاصتها في هذا الكتاب ... انها تعتز بحرفتها ، وتقول انها تؤدي خدمة اجتماعية حين تزين الفتيات اعدادا لهن لحفلات العرس والاعياد .. ومع هذا ففتيات الصين يرددن اغنية « نحن فتيات الثورة نفضل السلاح على الزينة ... »



ليست المرأة للنعومة والحب والجمال كما تزعم « الاخلاقيات البرجوازية المنحلة ».. المرأة انسانة مسؤولة عن كل ما يدعم بناء السعادة ويسهم في تطوير المجتمع ، ويهيء لهـا ولاولادها ولشعبها كله المجتمع الحر السعيد .. لهذا تستعد المرأة الصينية لتكون قـوة من قوى الثورة المستمرة .. وهذه الصورة توضح أي ميدان تحتله المرأة الصينية في بناء مجتمعها الجـديد ...

حياة المؤلف

ولد عام ١٩١٥ ، ودرس في المدارس الوطنية والاجنبية ، ثم احترف العمل الصحفي عام ١٩٣٤ فبدأ كمراسل للصحف العربية ثم مخبرا محليا ، فمحررا فرئيسا للتحرير ، فمديرا مسؤولا عن جريدة « الاتحاد » فأحد صاحبي امتيازها عام ١٩٤٥ ، فصاحب جريدة يومية اسمها النداء ١٩٤٦ ثم أصبح صاحب ورئيس تحرير جريدة الوطن اليومية السياسية التي بلغت عامها التاسع عشر ، وهو الآن ممثل للبلاد العربية في الامانة العامة الدائمة لمنظمة الصحافة الآسيوية الافريقية .

جولاته

بدأ جولاته عبر العالم عام ١٩٤٣ فزار الدول التالية :

البلاد العربية ، يوغوسلافيا ، تركيا ، اليونان ، انكلترا ، فرنسا ، ايطاليا ، رومانيا ، هنغاريا ، تشيكوسلوفاكيا ، موسكو ، الصين الشعبية ، المانيا الديمقراطية ، المانيا الغربية ، فنلندا ، السويد ، الدانيمرك ، الفيتنام الشمالية ، كوريا الشمالية ، سويسرا ، اندينوسيا ، الملايو ، بورنيو الشمالية ، سنغافورة ، مالي ، غينيا ، الفيلبين ، تايلاند « سيام » موريتانيا .

مؤلفاته المطبوعة

(١) باقة « ديوان شعر » (٢) ثورة العبيد « مسرحية شعرية » (٣) طلسم الحياة « مسرحية نثرا وشعرا » (٤) الرائد الادبي (٥) رسالة الاديب (٦) باخوس « مسرحية » (٧) لايس « مسرحية » (٨) مركب الفكر « اوبرت شعرية » (٩) رحلة الى يوغوسلافيا (١٠) كنت في الصين (١١) كنت في المانيا (١٢) كنت في رومانيا (١٣) بلغاريا كما رأيتها (١٤) ٢٥٠ جوابا على ٢٥٠ سؤالا عن المانيا الديموقراطية « ترجمة » (١٥) في الملايو وبورنيو الشمالية (١٦) الثورة الثقافية في الصين .

أنجزت طباعة هــذا الكتاب

في أول تشرين الثاني عام ١٩٦٦

سيرى الشعب الصيني عندما يصبح مصير الصين في يد الشعب أن الصين كالشمس المشرقة من الشرق ، ستضيء كل زاوية على الارض بلهيب مشرق وتبني جمهورية شعبية جديدة قوية مزدهرة جديرة بهذا الاسم .

« من خطاب للرئيس ماوتسي تونغ
في المؤتمر الاستشاري السياسي الجديد
المجلد الرابع من مؤلفات ماو تسي
تونغ المختارة » .

●

ان الثقافة الثورية هي سلاح جبار في يد جماهير الشعب الغفيرة فهي تهيء التربية ايديولوجيا قبل قيام الثورة وتشكل جبهة قتالية ضرورية هامة من الجبهة الثورية أثناء الثورة .

من مقال « في الديمقراطية الجديدة »

فلتتحد جماهير العمال والفلاحين والجنود والطلبة الثوريون ويتحد جميع الرفاق الثوريين للقيام بالثورة الثقافية البروليتارية الكبرى حتى النهاية بقيادة الرئيس ماو تسي تونغ زعيمنا ومرشدنا وقائدنا وربّاننا العظيم .

وزير الدفاع ـ لين بياو

ان الثورة الثقافية الكبرى هي ثورة شعبية كبرى لاصلاح عقول الناس كما هي ثورة كبرى لتنمية الانتاج الاجتماعي .

ومع المد المتصاعد للثورة الثقافية الكبرى سيظهر انتاج الصناعة والزراعة في بلادنا في مظهر جديد أكثر وبازدهار حديث أكثر .

رئيس الوزراء ـ شو اين لاي

تمهيد

ما هي دوافع واهداف الثورة الثقافية ؟

من المسلم به ان لكل ثورية فلسفتها السياسية التي يتولى توضيحها للجماهير رجال الفن والأدب والتعليم .

وما لم يوضع الفكر في خدمة السياسة فان الفردية تظل عامل تهديم ، أو على الاقل تظل عامل اعاقة لسرعة العطاءات التي يجب ان تؤمنها السياسة للشعب .

ومن هذا المنطلق الاساسي لعلاقة الفكر عامة بالنظام كان لابد للثورة الصينية ان تعمق تلاحم وتمازج الاعمال الفكرية بالسياسة التي اختارتها، أي بالاشتراكية العلمية .

وخلال اجتياز الثورة الصينية مراحلها الثلاث ، الثورة الوطنية ، الثورة الديموقراطية ، الثورة الاشتراكية ، كان الاصرار من جانب القادة على وضع الأدب والفن والتعليم في خدمة السياسة يجابه التياراتالمعادية التي تحاول ان يستمر مبدأ الادب للأدب والفن للفن ، والعلم للثقافة العامة ، وخلق طبقة الاخصائيين الثقاة والعلماء خلقا بعيدا عن تقدير وتقرير وتوجيه السياسة وحاجة الثورات الثلاث .

وتدخل التيارات المعاكسة المعركة ـ عادة ـ معتمدة على قيمتقليدية متركزة في مفاهيم افرادها ومؤيديها بالاعتماد على التطبع الزمني من جهة ، والمصالح الطبقية والبرجوازية من جهة ثانية .

وهدفها الحقيقي ، الحفاظ على مواقعها ومراكزها الممتازة ، التي تشعر بالعجز ، أو بالكسل ، عن استبدال مكوناتها بأضدادها .

وتتخذ الحركات المعاكسة ـ عادة ـ منطلقات ، وتسلك اساليب بعضها فردي ذاتي ، وبعضها تبعي مأجور . وتكون الغايات من الحركة

المعاكسة أيضا انانية شخصية ، أو خائنة متآمرة ، ونتيجة لكل هـذا، تنقسم الحركات المعاكسة الى نوعين ، احدهما علني تنقصه الجرأة ، وثانيهما سري لا يخلو من التآمر .

والثوري لا يرتضي لنفسه ولاجهزته الثورية غير الوضوح سبيلا الى التعبير عن فكرته او الى تعميمها . ولهذا لا يفصل الثوري بين التآمر المأجور ، وبين التخريب الذاتي ، ما داما يتلاقيان ، عن قصد أو عن عفوية طبقية عند منع ادوات ثوريته من خدمة اهدافه ، ويحققان لأعدائه جوا لقلبه أو اعاقة زحفه !

على ان الثوري المؤمن بجماهيره ، كثيرا ما يلجأ الى التثقيف بالجدل والمناقشة في محل العنف ، ويحرص على ان يكون لمكتسبات الثورة ، ولوضوح نوايا اخصام الثورة تأثيرهما في مساعدة عملية التثقيف بالجدل على تصحيح انحراف افراد الحركة المعاكسة .

ولكن ، كثيرا كذلك ، ما يبلغ الثوري المؤمن بجماهيره ، مرحلة الشعور بعجز عملية التثقيف بالجدل عن ثني المنحرفين والزامهم جادة الصواب فيلجأ الى النقد العلني ، ثم الى التطهير الجذري .

وحين تكون القاعدة الشعبية غنية الى حد ما بالواعين السياسيين وبالواثقين بالشعارات الثورية ، فان عملية النقد العلني تصبح عملية تثقيف جماعية من جهة ، تستهدف تعميق الايمان بالمبدأ والطريقة المؤدية الى توطيده ، وتتجرد بالتالي من كونها مجرد تطهير وتصفية لافراد ، وتصبح عملية التطهير أخيرا احد حلين ، اما عملية كبح لاندفاع الشعب دفاعا عن نظامه ، وهذا يعني المشاركة في التآمر على المبدأ ، واما عملية دفاع مع الشعب للحفاظ على المبدأ ، وهذا عمل ثوري !

وحين يكون التطهير مستهدفا الدفاع مع الشعب للحفاظ على المبدأ، يكون كذلك اشراك الشعب في عملية التطهير عن طريق النقد ، وتنفيذ القرارات ، عملا رائعا ومجيدا ، لانه يحقق هدف حكم الشعب ، بالشعب، وللشعب .

ذلك هو الاطار العام للثورة الثقافية في الصين ، والان ، من أين نبدأ ؟

من تاريخ الثورة الثقافية ، واساليب الذين استهدفتهم والسموم التي نفثوها ، والطرق المختلفة التي استعملوها دفاعا عن قواعدهم وسترا لتكتلاتهم .

أم نبدأ بشرح التناقض النظري والمبدأي ومنطلقات ذلك التناقض التي تحدد تاريخ واهداف الثورة الثقافية ؟

وبالتلخيص : هل نبدأ بالحادثة ، أم بمبرراتها واهدافها ؟

أغلب الظن ان الحادثة هي نتيجة للتناقض ، وما لم نعرف المنطلقات النظرية للتناقض وادوارها يستحيل علينا تفهم الحادثة تفهما مجردا .

والحادثة في المجتمعات العقائدية كثيرا ما تبدو تافهة اذا لم تشرح مسبباتها شرحا مستويا مع العقيدة.

والتجارب علمتنا ، أن العدو تمثال من طين يظل واقفا كشبح مشجع للرجعية ومخيف للتقدمية حتى تنزل الضربة على رأسه فيفتضح ضعفه ، وتتعالى قوة الجماهير !

ولكن لا يستحسن دائما ان تضرب ذلك التمثال الطيني فور شعورك بالقدرة على ضربه ، والاحسن ان تترك المتغزلين به يسترسلون في عزفهم، حتى تكتشف جميع افراد الجوقة المحيطين به ، وعندها تكتسب ضربتك طابعي النصر على العدو وتعميق ثقة جماهيرك بمعتقداتهم .

وقبل ان نعلن تفضيلنا للطريقة الثانية من البحث ، يحق لنا ان نجيب على سؤال حول فائدتنا نحن العرب من مثل هذا البحث ؟

نحن الشعب العربي ، لا نستهدف الشيوعية ، والحادثة والمبررات في الحركة الثقافية الصينية ، وان كانت تجري في مرحلة البناءالاشتراكي، التي هي مرحلة نضالنا العربي ، فانها على كل حال ، تدعيم للخطوات المؤدية للدخول في الشيوعية بعد انجاز البناء الاشتراكي .

اذن أين هي مصلحتنا نحن العرب من دراسة هذه التجربة ؟ تتضح مصلحتنا من التسليم العقلاني والوجداني بالقاعدة القائلة بأن الاشتراكية هي الطرف المناقض كليا للرأسمالية والاستعمار ، فاذن لايشك اشتراكي، مهما كانت أهداف اشتراكيته ، ان خطا مشتركا يحتويه وكل اعداء الرأسمالية والاستعمار في العالم ، ويضعه امام عدو مشترك هو كل رأسمالي وكل استعماري .

وشاء الانسان أم رفض ، هو عنصر فعال مؤثر في تيارات مجتمعه ، وفي تيارات المجتمعات المنقسمة فعليا بين جبهتي الاشتراكية واعدائها . فهو يعبر عن آرائه ، أو يعمل للدفاع عنها ، بحكم المصلحة المادية ، أو

التعاطف الذهني ، لا لكونه فاضل بين هذا أو ذاك من معتقدات واهداف الجبهتين ، وانما لكونه ينتمي فعلا ـ ماديا أو فكريا ـ الى طبقة ترتبط مصالحها ، وامكانات بقائها بمصير احدى الجبهتين .

والصراع الطبقي الذي هو ميزة نضال الانسان كفرد ، والانسانية كشعوب ، حقيقة لا سبيل الى نكرانها .

والالتزام الطبقي ، في التفكير والعمل ، هو أيضا حقيقة يحسها كل فرد ، ويزاولها عمليا ، ولا يستطيع نكرانها .

وكوننا اشتراكيين عربا لا نستهدف من اشتراكيتنا بلوغ الشيوعية ، لا ينفي خضوعنا لهذه الحقائق كافة .

فنحن نشعر الشعور الطبقي ، ونحن نناضل نضالا طبقيا ، ونحن حين ندعو الى اخاء الطبقة الكادحة العربية لا نستطيع قطع الصلات بين وجودنا الطبقي العربي ، والوجود الطبقي العالمي .

يؤكد هذه الحقيقة معنى نضالنا الطبقي العربي .

فنحن حين نناضل ضد الرأسمالية والاستعمار ، نواجه كتلة عالمية من الرأسماليين والمستعمرين تغذي الرأسماليين والاقطاعيين والرجعيين العرب وتدفع بهم الى مجابهتنا فكريا وحربيا .

وبالمقابل ، نحن غير قادرين على الفصل بين عاطفة رأسمالي أو اقطاعي أو رجعي عربي ، وبين زميله الاجنبي تجاه حادثة تقع في مكان ما من العالم .

ان هذا ليس بالتلاقي العفوي ، وانما هو ما عنيناه بوحدة الطبقة ، على المستوى القومي الوطني ، وعلى المستوى العالمي .

ومثل هذه الوحدة تفرض علينا وحدة في النضال ، اذا لم تستهدف غاية عقائدية مشتركة ، فانها تستهدف القضاء على عدو مشترك ، يشكل بقاؤه ، واستمرار نفوذه وسلطانه خطرا علينا جميعا .

من هنا تتوضح ، ليس فقط اهمية دراسة التجارب الاشتراكية في كل بلد اشتراكي ، وانما ضرورة ذلك .

والمجتمعات الاشتراكية انقسمت بحكم المراحل التي تجاوزتها في البناء الاشتراكي الى نماذج متباينة ، على أنها جميعا ما تزال في مرحلة تصفية الطبقات ، والعمل على بناء الاشتراكية .

وهذا التباين ، يتيح لنا نحن العرب فرصا هامة جدا للدراسة لانه يوضح لنا قيم المراحل المنجزة ، بواسطة عطاءات كل منها ، كما يوضح لنا مصاعب كل مرحلة وطرق التغلب عليها .

والثورة الثقافية في الصين هي الجانب الاكثر وضوحا للعالم الذي ما زال في مرحلة النضال الوطني ، أو في مرحلة النضال الديموقراطي مثلنا ، لانها ثورة تستهدف تكنيس كل رواسب المعتقدات الفكرية والفنية والعلمية والتربوية والبرجوازية وحماية الاشتراكية ، ولانها تجري في جو من العلنية الداخلية والعالمية ، وتمكن حتى الاجنبي من تكوين رأي حر حولها .

وثمة ماهو اهم من هذا كله ، في الثورة الثقافية الصينية هو مشاركة العمال والفلاحين والكسبة والجنود في هذه الحملة ، ثم توليهم مهمة التطهير .

وما لم يكن أي قطاع من القطاعات الاربعة منظما تنظيما عقائديا ترجح فيه كفة القناعة والايمان على كفة الانصياع واسلوب الحكم ، فان تولي هذه القطاعات لمهمة الحملة الثقافية والتطهير يؤدي الى فوضى داخلية تغرق الشعب في بحار من دماء الفتنة والتصرف العدوانيالعاطفي.

اذن كيف تكونت قوة الشعب العمالية والفلاحية والكادحة والعسكرية وراحت تؤدي مهمتي الثورة والتطهير ؟!

وما هي مبررات ثقة الدولة كجهاز ، والحزب كموجه ، بهذه القوة الشعبية التي تمارس الثورة والتطهير ؟!

ان معرفة ذلك هو ما تحتاجه مهمة تكويننا للقاعدة العقائديةالشعبية القادرة على اداء مثل هذه المهام ؟.

ان الحلف المقدس ، القائم بين العمال والفلاحين والكسبة والجنود لا يمكن ان يقوم على مجرد التنظيم المخطط من قبل البناء الفوقي للحكم، ولا بد من دوافع وجدانية تتكون من الارتباط الطبقي ومن تصاعد هذا الارتباط بواسطة وضوح معالم الصديق والعدو ، ووضوح المصلحة في الغاية وفي الدفاع عنها ، ضد اعدائها في الداخل والخارج .

عندما يتسلح الشعب بهذا الوضوح تتكون منه الخلايا الاكثر اندفاعا فتتشكل الفئة الطليعية القائدة ، وتتحول الاكثرية الشعبية الى قوة مساندة ومنفذة عند اللزوم .

ولا يكفي لاقامة حلف مقدس بين العمال والفلاحين والكسبة والجنود ان تؤكد النظرية على ضرورة هذا الحلف ، وانما يتوجب على التطبيق ، ان يتيح لكل فئة من هذه الفئات ، ولكل فرد من افراد هذه الفئات جميعا، ان يسهم ويطلع على منجزات كل فئة ، ثم ان يشارك في نقد التطبيق للتشجيع بالثناء ، أو للتصحيح باظهار الاخطاء ، وان تكون النظرية هي الحكم بين الخطأ والصواب ، على اساس ان كل ماهو فكري ، وعمل جسدي ، لابد وان يخدم النظرية ، أي السياسة .

ان هذه الطريقة في تكوين وحدة القوى العاملة في الشعب ، تجعل كل فرد مسؤولا عما يعرفه من اعمال غيره ، وعن اعماله الشخصية ، ويكوّن الشعور بالملكية الجماعية ، ويرتفع به الى أعلى درجات الانسانية ،ويجعله بالتالي ، حارسا مؤتمنا على منجزات الثورة واهدافها ، وجديرا بممارسة مهام الثورات السلمية الداخلية على رواسب الماضي ، وعلى المبتلين بامراض اليمينية ، او اليسارية المتطرفة ، أو الجمود العقائدي ، أو الذاتية المقيتة .

ان الثورة الثقافية في الصين حدث تاريخي عظيم بالنسبة لنضال الاشتراكيين في العالم كله .

أولا ، لأنها كما قلنا ، تستأصل جذور الرواسب البرجوازية في الأدب والفن والتعليم ، وثانيا لأنها ، كما قلنا كذلك ، تجري في جو من العلانية لم يسبق له مثيل في التاريخ .

ولأنها أخيرا ، تبرهن على ان انتصار الثورات الوطنية لا يقضي على العملاء ، وان انتصار الثورات الديموقراطية لا يقضي على الاقطاع والرأسمالية والشعور البرجوازي ، وان انتصار الثورات الاشتراكية لا يقضي على صراع الطبقات ، وانه ليس غير الثورة المستمرة طريقة لتحقيق كل ذلك ..

والحزب الجامد ، هو الذي يظن ان مجرد استلامه الحكم كاف للقضاء على رواسب الماضي ، وان القيم المادية والجمالية للنظرية التي يدين بها كافية لجذب الطبقات وتذويبها في تنظيماته .

ان مثل هذا الحزب يتآمر على نفسه ويزحف نحو حتفه ، ولا ينجيه من عاقبته غير الاعتقاد الكامل بأن كل شيء ، ماديا كان ام فكريا ، ام تنظيميا حزبيا ، قابل للانشطار الى جزئين متناقضين ، خلال او بعد كل مرحلة ينجزها او يخوضها من جديد ، والجزء يناقض الجزء المقابل له ،

او المنشطر عنه ، ويفرض طبيعة النضال .

اذن الثورة المستمرة هي السبيل الوحيد المؤدي الى سلامة الكل ، ومراقبة طبيعة الانشطار ، والحيلولة دون استئناف الصراع الطبقي ، أو مثول اخطاره على المكتسبات التنظيمية أو الاقتصادية او الفكرية .

وما لم ينتقد الحزب نفسه ، وما لم ينتقد افراده انفسهم وزملاءهم ، وما لم يقم نقاش علني اخوي ، ونقاش باطني ذاتي ، لكل عمـــل ، فان الجراثيم المنشطرة سوف تجد في المستنقع الراكد المكان الملائم للنمو ، ولنشر مرض الانحراف والتآمر .

والحزب ((الحركي)) هو الذي يضع كل مناقشاته ، وكل انتقاداته الذاتية الى جانب انتقاداته لاعدائه ، ويقدمهـــا للشعب بشكل علني ، ليدرسها ، ويتخذ موقفا علنيا منها .

مثل هذا الحزب يستطيع الاعتماد على انصاره وحلفائه ، ولا يسكره التأييد التظاهري بل لا يسعى اليه ، لانه يعرف ان ما يجيء به النفاق ، يذهب به التآمر والشماتة ، وان ما يدعمه الايمان والقناعة ، تحميـه الارواح والجهود المبدعة .

ان مجتمعنا العربي ، الثوري ، الذي ما زال في مرحلة تكوين اجهزته الثورية ، والذي مازال يعيش في اغوار معركة مصالحة الطبقات استعدادا لتذويبها ، ما زال في حاجةالى زمن ـ تحدد التجربة مدته ـ كيما يستطيع تحويل الاندفاع الجماهيري من اندفاع وطني تحرري ، الى اندفاع ثوري طبقي ، لان مهمة الكشف عن علاقة الوطنيـة والثورية الوطنية ضـــد الاستعمار ، بالاندفاع الثوري الطبقي ليست بالمهمة البسيطـــة ، ولا يستطيع جهاز حكومي تأديتها بمفرده على نطاق كل الشعب ، اذ لابـــد من جهاز حزبي ، تدعمه انطلاقات طبقية ، وهذا كله لابد له من فكر ثوري ابداعي يبرره ويمهد له سبل التركز في اعماق الفرد والجماهير .

أظنني بلفت والقارىء الكشف عن غاية هذا البحث ، وفائدة شعبنا العربي من دراسة الثورة الثقافية الحالية في الصين ، وآن لنا ان نبدأ دراسة التناقض النظري والمبدأي ومنطلقات ذلك التناقض التي تحدد تاريخ واهداف الثورة الثقافية في الصين.

اذن فلنبدأ .

ماهو الأدب والفن

لتبسيط الحديث يجدر بنا أن نحدد ميادين العمل الأدبي والفني والتعليمي ، وان نحدد من بعد ذلك مفهومي الرأسمالية والاشتراكية لكل منهما .

وحين ننتهي من هذا التحديد سوف نرى أي أثر للأدب والفن والتعليم في خدمة كل من النظامين .

وستتوضح لنا بالتالي ، الاسباب الحقيقية للحرب الثقافية الدائرة منذ القرن التاسع عشر حتى اليوم بين ممثلي الاتجاهين كأدباء وفنانين ، وبين رعاة الاتجاهين كاصحاب مصلحة في انتصار احد الاتجاهين في هذه الحرب الثقافية .

ماهي ميادين الأدب

ان ابرز ميادين الادب هي الشعر ، والمقال ، والقصتان القصيرة والطويلة ، والتاريخ ، والمسرحية ، والابحاث ، والتحقيقات الصحفية ، والمحاضرات ، والمنظومات الشعبية ، والمسرحيات التقليدية ، والاوبرا والاوبريت والسينما ، والنقد النظري والادبي .

ماهي ميادين الفنون

وابرز ميادين الفنون هي الاوبرا والاوبريت ، والتمثيل المسرحي والسينمائي الحديث والتقليدي ، والرقص ، والاكروبات ، وتمثيليات الدمى ، وتمثيليات خيال الظل ، والرسم بانواعه ، والفنون الحرفية والمعمارية ، والغناء الشعبي والحديث ، والسيمفونية ، والغناء الجماعي، واغاني الجماهير ، والعزف ، والنحت ، والباليه ، والافلام الوثائقية والاخبارية والعلمية والثقافية والفنية والتصوير الفوتوغرافي .

ماهي ميادين التعليم

ان ابرز الميادين الكلاسيكية للتعليم هي الروضة ، والمدرسة ، والكلية والجامعة .

ولكن ثمة ميادين جديدة اضيفت عن طريق التعليم الاشتراكي الى

ميادين التعليم منها ، المدارس المهنية ، والمدارس النظرية في المعامل ، والمدارس النظرية للاحزاب ، ومدارس التمرين المهني ، ومدارس اعداد الاجهزة الادارية للدوائر ، ومدارس اللغات ، ومدارس الفنون والتقاليد والاديان ، ومدارس اوقات الفراغ ، ومدارس العلم والعمل .

وهذه الميادين الثلاثة للأدب والفن والتعليم ذات تاريخ عريق ، بدأ بالملك الاله ورهبانه ، ومر بالمعلم الاكاديمي ومريديه ، وانتهى الى التشكيلات التعليمية الحديثة .

هذا من الناحية التكنيكية ، اما من الناحية التثقيفية فان التعليم حتى قيام الاشتراكية كنظام ، كان مجرد أداة لربط الانسان بالحاكم ، الذي كان الها ، ثم لربطه باستاذه الذي كاد ان يكون رسولا ، ثم لربطه بالطبقة الرأسمالية التي استولت على الالوهية والرسالة وسلطان الحكم ، واضافت الى الاسلحة التعليمية التي سيطرت عليها سلاحي القتل والمال وسخرت التمثيل الشعبي والفلسفة الديموقراطية لمصلحتها .

ولما جاءت الاشتراكية واجهت تلك النظم التعليمية العدوة وقررت استبدالها بنظمها وخلق مفاهيم جديدة للتعليم تنسجم وطبيعة الانسان الجديد الذي يتطلبه النظام الجديد ، كما قررت أن الادب والفن كحصيلتين للتعليم يجب ان يكونا في خدمة النظام الجديد ، أو الانسان الجديد ، وليسا وسائل إلهاء ومتعة فارغة . .

المبادىء البرجوازية

لقد نما الادب والفن في ظل التطور الاجتماعي ، والانتقال من نظام الى آخر ، وكانا ، الادب والفن نواة نشوء المدرسة بقدر ما كانا الاسس التي ارتكزت عليها الانظمة على اختلاف مراحلها .

فالادب والفن في النظام البدائي المشاعي كانا مجرد اساطير وأقاصيص واشعار تحكي قصة الخير والشر والثواب والعقاب والحياة والموت ثم اخضع التمثيل والصناعات التمثيلية لخدمة الافكار وتسهيل انتقالها الى اعماق الجماهير ، واقتضى التمثيل الديني صناعة الاقنعة والتماثيل ، وكان للموسيقى والغناء والرقص ادوار هامة في تأدية هذا الدور .

وفي النظام الاقطاعي اضيف الى كل ماسبق من وسائل الحرب النفسية المعتمدة على الادب والفن منافسة الاقطاعيين والمعابد والالهة ليس في مجالاتها الغيبية فحسب وانما في مجالات جديدة استثمر فيها الاقطاع

المعابد والالهة والملوك ، ليعطي نفوذه الاقطاعي هالة ((**الحق الالهي**)) من جهة ، وليبرر جرائمه ضد حق الانسان في الحياة والحرية وفي التمتع بمردود عمله تمتعا كاملا غير منقوص .

وهكذا تحول التعليم في ظل النظام الاقطاعي الى سلاح يخدم المعابد والالهة والاقطاعيين ، ويعطي الظلم الجسدي ، والمادي ، والروحي ، للانسان والحيوان والارض مثاليات قدرية كان من شأنها اعطاء التقسيم الطبقي صفة الناموس الالهي والظاهرة الاجتماعية الطبيعية التي تسم النقد والتمرد بالكفر والالحاد .

وبما ان كل ظلم لابد وان يفرز من ذاته عناصر الثورة عليه ، لهذا تميز النظام الاقطاعي بالثورات الفردية ذات الطابع التمردي ، وبالثورات الجماعية ذات الطابع الانقلابي والتآمري ، وبالثورات الفكرية ذات الطابع الالحادي ، أو الموسومة بالالحاد .

وفي مراحل متعددة من النظام الاقطاعي استقلت فئات عديدة من رجال الدين ، والعلم ، وزعماء القبائل ، والعاملين في الفنون ، وشكلت خلايا ذات عمل مستقل عن التنظيم غايتها الربح ، فنشأت السلطات المتعددة ، والتكتلات المتعددة ، وبدأ سلطان الاقطاع ، والمعابد والالهة يأخذ شكله شبه المنعزل عن الحتميات التي كانت مقررة في ذلك الزمن .

وجاءت الآلة ، فأحدثت هزتها في النظام الاقطاعي ، وفصلت المجتمعات الى تجمعات عمالية ، ورأسمالية ، سبب تناقض مصالحها مع الاقطاع والآلهة وزعماء القبائل والعاملين في الفنون انطلاقة جديدة اقتضت مفاهيم جديدة للحياة ، ومهدت لانواع من النظم أراد لها علماء ومعلمو ذلك العصر ، القدرة على حماية الراسمالي من سلطان النظم السائدة ، ومساعدته على التسلط الحر المطلق في استثمار الطاقة الانسانية الجسدية والفنية والتكنية ، كما ارادوا لها الحرية المطلقة في امتصاص جهد الانسان الزراعي والفني والديني عن طريق تأمين حاجاته الغذائية والكسائية والفنية خارج المزرعة .

وكل المبادىء والنظم والفلسفات الاجتماعية التي ظهرت وما تزال تظهر في ظل الاقطاع والرأسمال والبرجوارية ليست غير أدوات حشد القوى بعد تخديرها أو تضليلها او تسميمها لخدمة النظام الذي يحمي الوجود الطبقي ويتيح فرص استثمار الانسان للانسان ويدعم بقاء الاستعمار كأعلى مراحل الرأسمالية ، ويبرر حتى الحروب العدوانية

التي تهدد الشعوب ، بل الانسانية بالفناء .

يتحتم علينا أن نستثني من هذا الحكم المطلق اللمعات الوجدانية لبعض المفكرين الاحرار ، الذين رفضوا القيم الزائفة للعمل والربح والعدوان والاستثمار ، وحاولوا بشكل أو آخر الدفاع عن الانسان كأعظم رأسمال ، وعن الحرية كفاية للحياة ، وعن السعادة التي هي جوهر الوجود .

ان هذه اللمعات الفكرية ، القائمة على **تبصر وتفهم** مساوىء النظام الاقطاعي الرأسمالي ، أو الرأسمالي البرجوازي ، أو الاشتراكي الوطني الاستثماري ، أو الاشتراكي الاصلاحي الانتهازي ، هي في واقعيتها وفلسفتها غير القائمة على حتمية الصراع الطبقي ، تقابل الحركات التمردية الفردية والقبلية التي انشطرت عن النظام الاقطاعي ، وعن سلفه النظام المشاعي البدائي وما سبقه من نظام الرق والعبودية .

ومهما كانت تلك اللمعات الفكرية والفلسفية قد أغنت الثورة الاشتراكية ، ومهما كانت قد مهدت لنمو غراس الفكر الانساني الجديد ، فانها عتقت ولم تعد تستطيع الصمود أمام مخدرات النظام الرأسمالي الاستعماري ، تلك المخدرات التي يلفحها ((**العدل الاجتماعي**)) تارة ، وتلفحها خديعة ((**الحرية الفردية**)) مرة غيرها ، والتي ترفع شعارات ((**الاخوة الانسانية**)) و ((**الحياة افضل من الموت**)) و ((**الابداع لا السياسة ولا الشعب غاية الادب والفن**)) و ((**دعوا كل فرد يتكلم كما يريد وخذوا الجيد وانبذوا الرديء**)) و ((**الادب والفن يلتزمان ولا يلزمان**)) و((**التوجيه يقتل العبقريات**)) و ((**العلم غاية في ذاته**)) و ((**التخصص موهبة لا يستطيعها كل الشعب**)) و ((**الحق للقوة**)) و ((**دع كل شيء يمر .. ودع كل فرد يعمل**)) و ((**الحافز الفردي هو منطلق العبقريات**)) و ((**الربح الفردي هو صانع الاقتصاد السليم**)) .

ان هذه الشعارات التي ترفعها الرأسمالية ويرفعها الاستعمار بواسطة الكتاب المأجورين أو التابعين أو النابعين من مستنقعات التعليم البرجوازي ، ليست قابلة للذوبان بفعل الزمن ، ولا بفعل المباراة السلمية بينها وبين الشعارات الاشتراكية ، ليس لانها فقط تمتلك كل وسائل اغراء الغرائز الجسدية ، وكل وسائل ارضاء المرض الاجتماعي الذي خلفته الاقطاعية والرأسمالية في الطبقة العاملة وهو مرض القناعة والفردية وحب الكسب بلا عمل ونزعة التخريب الانتقامي دون **تخطيط** للثورة والحقد الحاسد الذي لا يحتويه النضال الطبقي بقدر ما تحتويه

روح الطموح والطمع وحب الارتقاء الفردي من طبقة الى طبقة . وانما مصدر قدرتها على البقاء والتفوق في المباراة السلمية هو التركيب الفاسد لمثاليات الفرد والجماعة المتوارثة والتي لا يمكن لسوى الثورة القضاء عليها ، واحلال المثاليات الواقعية الثورية في محلها .

وظاهرة عصرنا ، منذ بزوغ شمس الاشتراكية كنظام ممارس في بعض الدول ، هي الحرب الثقافية التي تدور رحاها من خلف وسائل الاعلام تارة ، ومن خلف الادب والفن والدراسات الاجتماعية والفلسفية تارة غيرها تلك الحرب التي اقصى غاياتها جعل التركيب النفسي للانسان منسجما مع غايات كل طرف من اطرافها . . .

وما دامت الحرب الثقافية قائمة بين الرأسمالية والاستعمار من جهة وبين الاشتراكية من جهة ثانية ، وما دامت غاية كل حرب معروفة وهي افناء مقاومة الطرف الاخر واخضاعه لاهداف وغايات المنتصر ، فان من حق الشعوب ان تفرق بين الحرب العدوانية وبين الحرب العادلة ، وان تنحاز الى الحرب العادلة ، وفي مجالاتها الثقافية كذلك .

من هنا يتضح ان الادب والفن والتعليم ، اسلحة تشهرها الرأسمالية لحماية الاستعمار ، وهي في الحقيقة تنفق عليها في كل انحاء العالم ، لانها الطعم الذي يحمل السموم الى فئران المجتمعات الثورية ، فاذن من حق هذه المجتمعات ان تصنع المصائد وكل وسائل ابادة الفئران حتى لا تتسمم افكار الجماهير وتستسلم للانهزامية او تستعيض باللذة والمثاليات الرومانتيكية عن الثورة .

ربما انبرى من يحاول الدفاع عن القديم ((**كتراث**)) ولكن من الذي زعم ان الاشتراكية هي خلق كلي منعزل عن كل تراث او متنكر لكل قديم ؟!

ان الرد على هذا الزعم سيرد في تحليل دور الادب والفن والتعليم في بناء المجتمعات الاشتراكية ، ويكفي الان ان نوضح رأينا فيما يتعلق بالمثاليات السياسية والاجتماعية للتراث وتلخيص ذلك الرأي هو ، ان لكل نظام مثالياته ، وعازفين يجتذبون ((**الحيارى**)) الى صفهم ، وان كل أغنية او عزف لا يمكن الا أن تنبع من اغوار المعتقدات ، وان تستهدف غايات الطبقة التي ينتمي اليها العازفون أو المنشدون ، ولهذا ليس في الادب والفن والتعليم ماليس هادفا ، وما ليس موجها ، تلك هي الحقيقة الملموسة في مجتمع الطبقات .

وهنالك ادباء وفنانون ومعلمون يظنون انفسهم متحررين من كل ارتباط نظري او مادي بأي طبقة من الطبقات وبأي نظرية او مدرسة سياسية ، كما يظنون ان لا انتماءهم هو عملية تحرر سلمي من الصراع الطبقي .

وهؤلاء الذين يمتازون بعفوية التخريب ، ويسمون انفسهم الوجوديين أو الانسانيين ، او المثاليين ، هم حصيلة ((**التراث**)) وهم وان كانوا ينتمون الى الطبقات الكادحة أو يتظاهرون بالتمرد عليها واحتقارها بواسطة اللامبالاة هم اشبه بالعامل الذي رقاه الرأسمالي الى رئيس ورشة فمارس مهمة الاجير الذي يحرس السجن ويعذب الفلاحين لحساب الاقطاعي .

هؤلاء ، ابواق طبقة عدوة للاشتراكية ، شاءوا أم أبوا ، مأجورين كانوا أم متطوعين ، ووزرهم ليس على من يستفيد من جهدهم ، وانما وزرهم على ((**التراث**)) الذي كونهم ، وعلى انهزاميتهم التي جعلت منهم ((**طبقة**)) تشبه الى حد بعيد الطفيليات . .

ان ((**التراث**)) ليس ناموسا غير قابل للنقد ، وانما هو حصيلة الجهد الذي بذل لدعم أو نقد مجتمعات بدائية ونظم استبدادية استثمارية .

وحين نقول ((**ــ لدعم ــ او لنقد**)) نعني ان في التراث ماهو ((**حسن ورديء**)) وبالتالي ، فاننا نعني الحض على عزل الحسن عن الرديء ، وتطوير التراث الحسن ووضعه في خدمة المجتمع الجديد .

ليس ثمة تعصب اشتراكي ضد ماهو حسن ، سواء أكان قديما أم جديدا ، ولكن التعصب كل التعصب ، بل الحقد كل الحقد ، على كل ما يمكن ان يعيق الزحف الثوري الاشتراكي ، وهذا التعصب وهذا الحقد ينصبان على الحرف وعلى اللحن وعلى الصورة وعلى التمثال وعلى كل حركة انسانية غايتها ، او تنتهي من دون قصد الى معارضة الهدف العام ، أي الاشتراكية .

انها حرب ثقافية بين مبدأين ، ومن طبيعة الجندي في الحرب ان يعرف لماذا يحارب ، وان يعرف انه اذا لم يقتل عدوه فسوف يقتله عدوه ، فاذن أليس في هذه الحقيقة كل مبررات الثورة الثقافية ؟!

على ان الثورة الثقافية للادب والفن والتعليم في الصين رغم كونها جزءا من حرب ثقافية عالمية ، وانها تلقى قبولا شعبيا لا نظير له في الحركات الثقافية العالمية ، تعطي في الوقت نفسه نتائج لا حدود لها ، بالنسبة

لبناء الثقافة الاشتراكية .

ومن اجل وضع نموذج موضح لمعنى تطوير القديم واخذ كنوز التراث وصقلها ووضعها في خدمة الجماهير نروي هنا القصة التالية :

السيدة وانغ لا ماي رئيسة فرقة الهواة الثقافية في كومونة شعبية من كومونات قومية باي في مقاطعة يونان بجنوب غربي الصين ،

وهي تغني لافراد كومونتها اغاني شعبية تمجد فيها العمل ، وذلك خلال فترات الاستراحة ، فتبعث في الزملاء روح النشاط والفخر بما انجزوه من اعمال ، وكانت طريقتها في الغناء هي طريقة حكاية القصص القديمة مع العزف على آلة موسيقية اسمها سانشيان **(عود ذو ثلاثة اوتار)** . وهكذا اصبحت مطربة الفلاحين المفضلة لانها تعبر عن مشاعرهم بصورة جيدة .

غير أن زوج عمتها المدعو تونغ تشين تساي ، وهو احد المطربين المجربين ، لم يستطع تقبل فكرة ان غناء الشابة له شعبية اكثر من غنائه هو . فقام بدوره بالغناء ، ولكن عندما قهقه الفلاحون على كلماته الاقطاعية المضحكة اقر بهزيمته . وبتشجيع ومساعدة الشباب له كي يطرح افكاره البالية التي عفا عليها الزمن يشترك معهم بكل سرور في غناء اغان جديدة .

وتعكس هذه القصة الحقيقة في الكومونات الشعبية الواقعة وسط الجبال التي تقطن فيها قومية باي في مقاطعة يونان ، حيث يوجد في كل قرية هناك مطربوها من الفلاحين جيلا بعد جيل . فالمجتمع البائد اذاقهم اقسى صنوف العيش ، ولهذا ، فهم يكنون الحب العميق للمجتمع الجديد لكنهم اعتادوا على اغانيهم التقليدية القديمة المتوارثة عن العهود الاقطاعية، فلا يرون بوضوح ان فنهم ينبغي أن يخدم الشعب صانع الحياة الخيرة المعاصرة . ومهما يكن الامر ، فانهم عندما يفهمون ذلك فهما جيدا يضعون كل طاقتهم في عرض المواضيع المعاصرة ويوجهونها صوب النظارة وسعادتهم العظمى .

ويساعد على هذا التحول آلاف الشبان مثل لاماي ، وهم شبان مفعمون بالحيوية والنشاط ، وقد كرسوا انفسهم تماما في سبيل الحياة الجماعية ، فمهروا كمزارعين وحذقوا كمطربين وراقصين. بيد ان اكثرهم نشيطون جدا في مجال نشاطات الهواة الثقافية . ومثلهم مثل لا ماي ، فانهم صبورون في مساعدة الفنانين الفولكوريين القدامى بالاضافة الى انهم تواقون للتعلم منهم في نفس الوقت .

تلك هي النتائج التي تعطيها الثورة الثقافية في الصين ، وهي كما نرى تخلق جيشا شعبيا عاملا وفنانا في وقت واحد ومتى درسنا بقية اساليب التثقيف في احاديث مقبلة فسوف نرى ان العامل الفنان هو في نفس الوقت معلم وجندي وفلاح وناقد اجتماعي .. وان اعتماده على اكتشاف ((**التراث**)) الجيد ، وتطويره وتقديمه باسلوب حديث هو اعتماد ناجح ومسهم في الثورة الثقافية .

ولكن هل للادب والفن والتعليم كل هذا الاثر في بناء المجتمعات ؟ قد يبدو السؤال صحيحا لمجرد طرحه بعيدا عن التحليل الواقعي لدور الادب والفن والتعليم في صياغة الفكر والذوق ومعاني الحياة ..

وبعبارة اوضح ، فان عزل الادب والفن والتعليم عن المهامالتوجيهية يبعد هذا البناء الفوقي للمجتمع عن غاياته وينحط به الى مدارك المتعة والتزين !!

وما دام الادب والفن اداتين للتعبير وليسا مجرد اداتين للاثارة الفارغة ، فهما مؤثران عظيمان في فلسفة الحياة .

وبما ان التعليم هو الغذاء الذي يحيا به كل من الادب والفن ، فهو اذن الذي يوجههما لخدمة السياسة او لخدمة الفردية والذاتية ..

اذن متى وضعنا للحياة هدفا ، وجب علينا الاعتراف بان لكل جسد نوعية غذائية تنميه او تتركه معتلا ، أو تقضي عليه .

وغذاء النظم كافة وغذاء الجماهير الفكرية الداعم للنظم هو الادب والفن والتعليم ، وكما تقوم حروب في سبيل الحصول على المواد الاولية للصناعة ولصناعة الغذاء ، هكذا تقوم حروب في سبيل الغذاء الفكري .

وكما تقوم ثورات لمحاربة الاقطاع والرأسمال والاستعمار ، واستثمار الانسان للانسان ، هكذا تقوم ثورات ثقافية لمحاربة كل مايجعلالانسان راضيا عن الاقطاع والرأسمال والاستعمار ، أي لمحاربة الادب والفن البرجوازيين ..

هذه هي حقيقة الثورة الثقافية ، وهذه هي حقيقة الدور الذييحتله الادب والفن والتعليم في بناء الانظمة ، ولذا فكل حرب ، وكل ثورة ضد أي ثقافة رجعية تدعم اعداء الاشتراكية هي حرب عادلة ، ويجب ان ندعمها ، لانها بالتالي ، سوف تدعم نضالنا ، وتبعد الاعشاب السامة عن رياض مجتمعنا الثوري .

وجهتا النظر الثقـافية

قلنا أن لكل نظام فلسفته النظرية ، ومثالياته الروحية التي تدعمه ، وتشق له طريقه الى قناعة الجماهير به .

ولقد وضعنا وجهتي النظر الرأسمالية والاشتراكية في الادب والفن والتعليم امام القارىء ضمن اطار تاريخي وواقعي مبسط محاولين بذلك الكشف عن الحرب الثقافية الدائرة بين النظامين السائدين في العالـم اليـوم ..

والحقيقة ان تبرير الثورة الثقافية بعرض تاريخي وواقعي لا يقربنا من طبيعة الصراع الفكري في عصرنا الحاضر .

ان علينا تفهم وجهة نظر كل طرف في الادب والفن والتعليم ، ومدى ارتباطها بالسياسة ، لنصل في النتيجة الى اهـــداف ومرامي الثورة الثقافية .

ان اقرب الطرق الى توضيح ذلك هو الرجوع الى طبيعة كل مـن النظامين .

اذن ماهي الاشتراكية أولا ؟

الاشتراكية ذوبان الطبقات في مجتمع قيمة الانسان فيه على قـدر عمله ، وقيمة العمل فيه على قدر الحاجة اليه .

ومن كل على قدر طاقته ، ولكل على قدر عمله . وليس لانسان حق استثمار غيره او تسخيره في سبيل مصلحة ذاتية أو ربح ذاتي ، وليس للفرد وجود مستقل ومنافع مستقلة عن وجود الجماعـــة ومنافعها ، وليست سعادة الجماعة غير سعادة الافراد ، لان المجتمع السعيد هـو الذي كل افراده سعداء ، والذي انتفت فيه مبررات واسباب الالم بسبب شقاء وتعاسة الاخرين .

ولقيام مثل هذا المجتمع يجب تجنيد كل الطاقات البشرية في الانتاج، وقلب المفهوم الطبقي لقيمة العمل ، والقضاء على الطبقات بما فيهـــا تلك التي تعيش على الغيبيات او تعطي التخصص قـدسية الغيبيـات ومعمياتها !!

والمجتمع الذي يرفض استثمار انسانه لانسانه ، حري به ان يرفض تلقائيا استثمار الاجنبي له .

وليس المجتمع الاشتراكي مجتمعا آليا حديديا ، وانما هو مجتمع

فكر وفلسفة وتأمل ، انه مجتمع روخاني واقعي ، يستخرج مثالياته من قلب واقعه المعاشي ومن اهدافه المثالية السامية .

وتمر المجتمعات ، كالانسان ، في دور الحضانة ، ثم الفتوة ، ثم المراهقة ، وتعطيها الثورة المستمرة علاجا وقائيا ضد الشيخوخةوالموت !

وكما يصان الرضيع من كل الجراثيم ويحقن بالمقويات والمغذيات والمنميات ، هكذا يمر المجتمع الاشتراكي بنفس الادوار ويحاط بنفس العناية .

واذا كانت رعاية الطبيب ، في أي مرحلة من مراحل نمو الانسان أو حياته تسمى ب ((**التحكم**)) ـ الديكتاتورية ـ فان مراحل الحفاظ على الاشتراكية يمكن بل يجب ان تسمى نفس التسمية .

ولكن الحقيقة تؤكد لنا ، ان الوقاية ليست طبيعة مجردة من المؤثرات الخارجية ، ولهذا فهي عملية دفاع وليست أبدا عملية تحكم ولا ديكتاتورية !

ووقاية المكتسبات الاشتراكية من اعدائها تخضع لنفس تحليل وقاية الانسان من الامراض ، وديكتاتورية الطبقة العاملة هي نفس ديكتاتورية الطبيب .

ولو أن أعداء الاشتراكية كفوا عن التآمر الفكري والحربي اذن لما كان ثمة حاجة الى أي نوع من الديكتاتوريات ، ولكن ليس في وسع أيانسان، وبالتالي ليس في وسع أي نظام ، أن يقف مكتوف الايدي امام حراب الفكر والاسلحة المدمرة التي تدعمه ويدعمها ..

وكل من يطلب الغاء ديكتاتورية الطبقة العاملة ، هو تماماكالذي يطلب من الانسان تجريد نفسه من حق الدفاع ضد عدو شهر عليه آلة قاتلة ..

تلك هي طبيعة النظام الاشتراكي .

ولكن لماذا وكيف تنبثق النظم الاشتراكية ؟!

ان توضيح ذلك يسهل كثيرا عندما ندرس طبيعة النظام الرأسمالي.

فما هي الرأسمالية ؟!

الرأسمالية هي نظام قائم على تحكم رأس المال بالعمال عن طريق السيطرة على ادوات الانتاج ، ثم امتصاص اجورهم عن طريق التجارة والربح غير المشروع .

وبقدر ما ينمو رأس المال بقدر ما يوسع من مجالات نشاطه الابتزازي .

أي ، ان المجالات الحيوية للرأسمال هي السيطرة على القدرة الشرائية عند الشعوب وابتزاز مداخيلها .

ولقد مرت الرأسمالية في ثلاث مراحل ، الاولى مرحلة النشوء والاستثمار المحلي . والثانية مرحلة النمو والتوسع واستثمار الثروات الطبيعية والمواد الخامية اللازمة للتصنيع والثالثة مرحلة الازدهار والاسهام في تنمية القدرات الشرائية للشعوب الى حد يحول دون المزاحمة وذلك بقصد تأمين استمرار تصريف الانتاج .

ومن هذه المراحل الثلاث يتوضح دور الاستعمار فيدعم الرأسمالية .

فلقد أدى الاستعمار في الدورين الثاني والثالث اللذين اجتازتهما الرأسمالية فنمت اجزاء متقدمة صناعيا فقيرة بالمواد الاولية على حساب الرأسمالية فنحت اجزاء متقدمة صناعيا فقيرة بالمواد الاولية على حساب اجزاء متخلفة صناعيا **غنية بالمواد الاولية .**

وحين عجزت التجارة الحرة عن تأمين ارخص الاكلاف للانتاج الرأسمالي ، قام الاستعمار المسلح بمهمة اكراه الشعوب على وضع ثرواتها تحت سيطرة الرأسمالية العالمية ، واخضاع الطاقات البشرية الى نظام السخرة في جميع مواطن الثروات .

وحين نمت يقظة الشعوب المسروقة ، وادركت مخاطر الرأسمالية التي يدعمها الاستعمار ، وبدأت تمارس حقها فيالثورة من اجل الحريتين السياسية والاقتصادية ، قام صراع تخلله الكثير من المراوغة والخداع ، وانتهى الى وجود الاستعمار الجديد الذي شوه معالم الحرية السياسية بواسطة الحكام العملاء ، واستعاض عن الحكم الاستعماري المباشر بحكم رجعي تابع ، ولم يكتف بذلك كله ، بلعمد الىتشويه الحرية الاقتصادية، فخلق صناعات لم يعد في حاجة الى انتاجها ، في بلدان ما زالت فقيرة الى أي نوع من انواع الصناعة ، وربط هذه الصناعات الخفيفة بالتجارة التي يسيطر على مناطقها حتى الان ، وأنشأ بذلك طبقة رأسمالية من مصلحتها تنمية القدرة الشرائية في بلدانها ، وارتباط الاقتصاد الوطنيبالرأسمالية العالمية .

وحين نما الوعي الثوري في الشعوب المتخلفة ذاتالاستقلال الناشيء، عمدت الرأسمالية العالمية الى خديعة « **الاشتراكية الاصلاحية** » كأداة

للتخدير ضد الاشتراكية العلمية اولا وكوسيلة خبيثة لمضاعفة القدرات الشرائية عند الفلاحين وتمكينهم من استهلاك الانتاج الرأسمالي المحلي وبالتالي استهلاك فائض الانتاج الرأسمالي العالمي .

وحين فطنت الرأسمالية العالمية الى ادراك الشعوب لخطورة اخضاع فلاحيها ، عن طريق الاصلاح الزراعي ومنع انشاء الصناعات الثقيلة الى تحكم الرأسمال ،الوطني والاجنبي ، سلطت سلاحها التآمري العدواني ، وبدأت باغتيال القادة الاشتراكيين ، وتنظيم الانقلابات الرجعية ،وتغذية الرجعيات للحيلولة دون الزحف الاشتراكي ، ومطاردة المصالح الرأسمالية الاستعمارية .

تلك هي طبيعة النظام الرأسمالي وهي طبيعة من شأنها ايقاظ الشعور الطبقي على المستوى العالمي والمحلي ، وخلق التربة الصالحة لنمو الاشتراكية الثورية .

وجميع محاولات القادة والزعماء والمفكرين واصحاب الرسالات والمخططين للجنات العلوية والارضية كانت تهدف الى ايجاد المجتمع السعيد نتيجة للشعور بالظلم الذي كان يسود مجتمعاتها ...
والاشتراكية هي الحل العملي والنهائي لتلك المحاولات التي جرت عبر التاريخ .

فوجود الاشتراكية اذن هو تطور طبيعي للفكر البشري ومستقر نهائي له ، والظلم الذي مارسته الرأسمالية بواسطة الاستعمار ساعد على سرعة خلقها ، واعطى المبررات لتلك السرعة .

ولعلي أوافق كتاب وفلاسفة الرأسمالية على زعمهم بأن الاشتراكية غير الثورية هي الحل البعيد المدى للمشاكل الانسانية .

وعلى قدر صحة هذا الرأي — **الذي يؤكد حتمية انتصار الاشتراكية اخيرا** — تفوح رائحة الخبث والانتهازية من خلال كلماته ، ذلك لان الرأسمالية تريد تطورا سلميا غير ثوري يساعدها على كبح الحركات الثورية ، وخنق الفكر الثوري ، ومد أمد استثماراتها .

بينما لم يعد في طاقة الشعوب ما يمكنها من الصبر على الظلم مدة أطول .

اذن لا بد من الثورة ، ولا بد من الثورة الاشتراكية بالذات ولكن لماذا ؟ !

بالعرض الموجز لطابعي الرأسمالية والاشتراكية مكنا القارىء من المفاضلة بين النظامين .

ولكن ليست المفاضلة هي غايتنا الاساسية من الحديث ، وانما الكشف عن التربة التي تقوم عليها الثورة الثقافية هو الغاية الرئيسية ، او الوحيدة في حديثنا هذا .

ولمجرد وضعنا طبيعة النظامين امام بعضهما نتتهي الى الحقيقة التالية :

لاحياة للرأسمالية العالمية بعيدا عن التسلط على ثروات الشعوب ، ولا قدرة للرأسمالية العالمية على الصمود امام المباراة السلمية للانتاج والتطور بعيدا عن السيطرة على المواد الاولية والجهد البشري بقوة الاستعمار القديم والجديد والامبريالية لخدمتها .

اذن ما هو الحل ؟

الحل هو الواقعية النضالية التي تمارسها شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية حاليا . . .

انه الثورة المسلحة والحروب العادلة .

بعد كل هذا نستطيع طرح السؤال التالي :

ماهو مدى الحق في الحرب الاشتراكية العادلة ضد المؤامرات الاستعمارية الرأسمالية ؟

او بعبارة أوضح ، هل الثورة الثقافية ذات صلة بالمؤامرات الاستعمارية الرأسمالية ، وهل هي حرب عادلة تخوضها الثقافة الاشتراكية ضد الثقافة الرأسمالية ؟ !

اتضح لنا من العرض الموجز لطبيعة الرأسمالية استحالة الاعتماد على المناظرة الحرة ، والمسابقة السلمية ، والمباراة العادلة في تقرير أي النظامين أقدر على الحياة . . .

واتضح لنا كذلك ان العدوان الفكري والمسلح هو اداة الرأسمالية في صراعها من أجل السيطرة واقصاء التيارات المعادية .

واتضح لنا ان الشعوب كلها ضحية الرأسمالية والاستعمار وانها كلها في حالة ثورة عليهما .

ومن استعراض سطحي لكل الانتكاسات والثورات المعاكسة ،

والمؤامرات والتكتلات الرجعية في البلاد النامية نجد دورا رئيسيا واساسيا الرأسمالية والاستعمار في خلقها وتغذيتها وتحريضها .

ومن دراسة للجاسوسية ، ولحركات التخريب في داخل المعسكر الاشتراكي ، نجد تلاحما افقيا وعموديا بين الصراع الطبقي المجرد عن العمالة ، وبين الرأسمالية العالمية ونجد الى جانب ذلك نفس التلاحم بين المخربين العملاء وبين الرأسمالية العالمية .

ومن تحليل اساليب التسلل والترابط التآمري العفوي او المنظم المأجور نجد دورا رئيسيا واساسيا للثقافية الرأسمالية العالمية .

اذن ما قلناه عن الوقاية ، هو ما نريد قوله الآن عن مبررات الثورة الثقافية .

ولقد قال لينين : يجب ان نفعل بأعدائنا اليوم مايمكن ان يفعلوه بنا غدا أو تمكنوا منا ...

ذلك هو المبرر الحقيقي والوجداني للثورة الثقافية .

الاتجاهات الثقافية

لنبدأ الحديث الآن في الاتجاهات الاشتراكية الصينية للأدب والفن والتعليم محاولين ما استطعنا القاء نظرة خاطفة على الماضي مع شرح مختصر بقدر الامكان لمعطيات تلك الاتجاهات واثرها في التراث ، ثم لاثرها في تكوين الذوق الجديد ، والجيل المثقف الجديد .

وقبل مباشرة الحديث ، يتحتم علينا الاعتراف بأنه مهما دلت البداية على معالم وصور النهاية ، الى الغاية ، فانها لا تمثل ذروة الابداع .

وفي سبيل تفهم هذه الحقيقة يجدر بنا الاعتراف بأن لكل بداية مصاعبها ، ولكن كل بداية اذا اقترنت بتوعية لما تستهدفه خلقت حماسة كفيلة بالتغلب على مصاعبها .

ونحن الذين نعيش في المجتمعات ذات النظم الطبقية مهما كان تكويننا الثقافي الادبي والفني والتعليمي اشتراكيا نخضع في تذوقنا أي عمل ثقافي لمقاييس الرواسب البرجوازية التي في اعماقنا ، ثم نخضع لميزان الذوق البرجوازي الذي رباه في اعماقنا تذوق الفن البرجوازي والحياة الجنسية البرجوازية التي نعيشها .

ولست استطيع شخصيا انكار الملل الذي انتابني وانا في الصين خلال تكرار ماشاهدته من الاوبرات والتمثيليات القصيرة والطويلة والرقص

والغناء والعزف وكذلك ألعاب خيال الظل ، وألعاب الدمى ، وغير ذلك من الفنون التي تبنت جميعها الثورة الثقافية ، وتعمل لخدمة التوجيه الاشتراكي .

لقد تسامحت في الاسبوع الاول والثاني مع نفسي ، كضيف ، وتقبلت كل ما أشاهده على أنه تعبير عن ثورة هادفة ، ولكني في الاسبوع الثالث وما تلاه بدأت أبحث عن قطعة لحم يمكن أن ينكشف عنها ثوب راقصة ... ثم رحت ابحث عن ((**صريع الغواني**)) فلا أجده لا على المسرح ولا على ألسنة المطربات ...

والغريب انني كنت أشعر بالوحدة والعزلة وعدم مشاركة أحد لي في شعوري هذا ...

ان الشعب يقبل على ما مللت مثل اقبالي على ما لا أجد ...

معطيات التجربة

واذكر فيما أذكره من احاديثي ومناقشاتي حول هذا الموضوع ، ما قاله لي أحد كبار المهتمين في شؤون التمثيل حول تطوير الجديد من القديم وخلق الجديد من واقع الحياة الشعبية ، وحول الاسلوب المتبع لتحقيق هذه الاهداف وهو يتلخص فيما يلي :

لقد بدأ تقديم المسرحيات العصرية في أوبرا بكين عام ١٩٦٤ واخذت حركة التأليف والفن تخطو خطوات جديدة نحو خدمة الاشتراكية والعمال والجنود .

وانه لمفهوم ان نجد أناسا لا يزالون متأخرين في عقليتهم وتصرفاتهم في حين نبني الاشتراكية بخطى سريعة اليوم . والمسألة انما هي كيف نجعل للنظارة أمثلة عبر الفن المسرحي تمثل المتقدمين في التفكير ، ليروا ان الافكار الاقطاعية والفردية والرأسمالية لا تتفق مع الاشتراكية ، ولا بد من استئصالها .

لقد اتخذنا وسيلة المبالغة الفنية للمسرحيات الهزلية التقليدية كما استخدمنا مزايا اوبرا ((**طبل الزهر**)) الغنائية الراقصة ، فجعلنا العقلية المتأخرة تبدو مضحكة جدا عبر مقارنتها بالعقلية المتقدمة ، وكانت نتيجة ذلك ان تثقف النظارة بالتربية الاشتراكية وسط الفرح والضحكات . يضحكون مع تمجيد لتساي جيو الذي روض امرأة انانية سليطة وحمى المصلحة الجماعية . ويضحكون في بهجة وسرور ، ليقلعوا مع العمة ليو عن

تلك العقلية البالية التي تقسم العمل الى رفيع ووضيع .

وكل من هذه الاوبريات يظهر فيها عدة أشخاص فقط ، وهي لاتتطلب غير قليل من لوازم المسرح . وعندما نعرضها في الريف كان من السهل ان نقيم المسرح بجانب حقل أو في مكان من الارض خال . واذا دوى الطبل والناقوس وزمر في سونا (**نوع من المزماز**) نجد الفلاحين يجتمعون حولنا من القاصي والداني . ولا أزال اذكر ان عجوزا بلغت من العمر ستين سنة ، جاءت لحضور احدى حفلاتنا الاستعراضية من وراء جبل ، جاءت وهي محمولة على ظهر ابنها .

هناك أكثر من ستين فرقة مسرحية من نوع فرقتنا في مقاطعة هونان تعرض مثل هذه الاوبريات . ولقد قامت هذه الفرق باستعراضات في نحو ثلاثة آلاف حفلة خلال سنة واحدة باستثناء الحفلات الاستعراضية من فرق الهواة من الفلاحين انفسهم . يحب الفلاحون مثل هذه الاوبريات ، لانها لا تأخذ كثيرا من أوقات عملهم وان الغناء والحوار فيها سهل الفهم .

ولما كانت اوبرياتنا تمجد العمل العادي ، كان عمال رتق القدور في تشانغشا عاصمة مقاطعة هونان يفتخرون بعملهم بعد ان شاهدوا « **رتق القدور** » وقدموا لنا راية ثنــاء ، وكذلك العمال في حقول الخدمات الاخرى كانوا يترددون كثيرا الى استعراضاتنا . وكان كاتب حسابات لفرقة انتاج في محافظة ايانغ ، قال انه مصمم على الاقتداء بتساي جيو بعد ان شاهد « **دق الناقوس** » . وفعلا راح يدخل خنازيره في الزريبة ويحض الآخرين على ذلك ايضا ، لئلا يأكل ذلك الحيوان من الحقول .

وفي محافظة بينغجيانغ ، ذهب فلاحون الــى فرقة الاوبرا المحليــة بالمحافظة ، وقالوا لرجالها ان في كومونتهم اكثر من واحد مثل لين شي نيانغ ، ويطلبون من الفرقة ان تذهب الى هناك كي « **تدق الناقوس** » . وفي قرى هونان ، اذا فعل شخص اناني فعلا يضر المصلحة العامة ، يقول له الناس : « **حذار من ناقوس تساي جيو !** » .

والآن ، اعترف وانا استعيد ذكريات ذلك الحديث بأن ثمة اشياء كثيرة يجب ان تتبدل في نظرتي اليها ، وفي مقدمتها الفن والادب الاشتراكيين ، كي استطيع وضع نفسي عمليا في خدمة شعبي المتشوق الى النظــام الاشتراكي ...

تلك هي قصة الفارق بين ذوقين ، وثقافتين ، واتجاهين ...
نحن الاشتراكيين الذين لم تخضع بعــد كل طرف من اطراف الفكر

والعمل لنواميس الاشتراكية ولمتطلبات البناء الاشتراكي مازال كل هدف اشتراكي حلما يداعب خيالنا ، ويقبله تفكيرنا ، ولكن ثمة عوامل نفسية تربوية كونتها البيئة تشدنا الى ((**التراث**)) أو ((**المثيرات**)) وتعزلنا عن الشعور العام لممارسي البناء الاشتراكي .

واغلب الظن أننا لسنا وحدنا ، نحن ابناء مجتمعات ((**مثيرات الجسد والجنس**)) الذين نعزف عن الفن الاشتراكي فكثيرون ، وكثيرون جدا مثلنا يعيشون ويسهمون في البناء الاشتراكي وما تزال اذواقهم مرضى رواسب ماضيهم تخضع ميلهم لنواسمها ...

وليس ما أقوله مقصورا على أفراد معينين من الشعب وانما ثمة قادة فكريون وطليعيون يعانون نفس المرض ...

بل ان في عداد المرضى اشخاصا ذوي مراكز عالية جدا ومسؤولين عن صياغة الفكر والثقافة ودفع العمل والانتاج في خدمة الاشتراكية ، ما زالوا يعانون مرض الانحراف اليميني .

ان هدف الثورة الثقافية الصينية الحالية هو دراسة أسباب ذلك الانحراف ، ومحاولة القضاء عليه .

يقول اعداء الاشتراكية : انه يستحيل على أي نظام ((**قولبة**)) الانسان وجعله موحدا في تفكيره واتجاهاته وذوقه وميله ...

ومهما تكن نوايا الذين يقولون هذا سيئة وهادمة لتقويض الاشتراكية فان كلامهم يبقى صحيحا في حدود استمالة صياغة شعب بكامله صياغة متشابهة او موحدة !

ولكن هل تهدف الثقافة الاشتراكية الى مثل هذا التوحيد ؟ !

هل تعزف كليا عن الرومانتيكية والمثالية ؟!

ابدا ليس من أهداف الاشتراكية أن تجعل البشر صورا متشابهة مملة ...

حتى وان بدا ذلك في بداية البناء الثقافي الاشتراكي واصبح مملا ، فانه ليس سبيلا ولا غاية للثقافة الاشتراكية .

إن التثقيف الاشتراكي يهدف الى خلق مثاليات انسانية جديدة نابعة من اعماق اهدافه ، ولكل انسان في حدود هذا ، ان يعبر عن فكرته بالطريقة التي يراها ، أو تنسجم مع شخصيته !

ليست غاية الاشتراكية خنق ، او قتل الميزة الشخصية للانسان .

ان الذين يقولون هذا ، فئتان ، الاولى جاهلة للاشتراكية والثانية عدوة لها .

والحقيقة هي أن غاية الاشتراكية خنق الذاتية وقتل الانانية والاثـرة الذاتية واخضاع الشخصية للانسانية جمعـاء .

وهذا الجوهر لم ينكره الرأسماليون ولا المستعمرون وانما يدعونه لانفسهم كلما حاولوا تبرير جرائمهم ، فما معنى نكران وتشويه حقائقه بالنسبة لسواهم ؟ !

ولكن اختلاف مفهوم ((**الانسانية**)) واختلاف جوهـر ((**العـدل**)) واختلاف اهداف ((**الحافز الفردي**)) وكذلك اختلاف مفهوم ((**الصالح العام**)) بالنسبة للنظامين هو السبب في هذه الحملة الشنعاء القاسية التي يشنها الرأسماليون والمستعمرون على تفسير اشتراكي لاي من هـذه المفاهيم والنواميس !

لنتمعن في تفسير ((**الحرية**)) عند الاشتراكيين والاستعماريين ...

ان أحدا لا يصيب كبد الحقيقة من مفهومي الحرية عند الطرفين مثلنا نحن الذين ما نزال في مرحلة التحرر الوطني السياسي والاقتصادي ...

طرف ـ **هو الاستعمار** ـ يفهم الحرية في كل ما يمكنه من استعبادنا وابتزاز ثرواتنا ، وقتل مناضلينا .

وطرف ـ **هو الاشتراكية** ـ يفهم الحرية في كل ما يدعم نضالناويمكننا من الانتصار على اعدائنا .

لماذا كل هذا التفاوت في تفسير كلمة واحدة يقدسها الطرفان ؟!

الجواب يكمن كذلك في اختلاف تفسير نفس الكلمة بالنسبة لعلاقات الاشتراكية والاستعمار ببعضهما كطرفين متناقضين .

فالحرية عند المستعمر هي ان تفسح له كل مجالات التخريب فـي العالم الاشتراكي ، وان يتخلى الاشتراكيون عن كل بناء فكري ومادي يؤدي الى عجز الاستعمار عن التسلل عبر الاراضي والثروات والشعب ومحاولة السيطرة والابتزاز ...

والحرية عند الاشتراكيين هي ما يقوض ذلك كله .

فاذا كان هذا الاختلاف على كلمة واحدة هي الحرية قد كشف لنا كل هذه الحقائق ، فأي حقائق سيكشفها بحث طرق العدوان والدفـاع واساليب بناء الشخصية القادرة على العـدوان او الدفـاع بالنسبة للاستعمار وما يقابل ذلك بالنسبة للاشتراكية ؟ !

لقد آن لنا تجاوز الكليات الى الجزئيات ، والدخول في بحث واقع الثورة الثقافية في الصين !

وآن لنا بالتالي أن نتحدث عن الغاية الكلية للثورة الثقافية .

بنـاء الانسان الجديد

ان الاشتراكية بناء اجتماعي جديد !

وتقوم الاشتراكية على أساس مفهومين وواقعين :

المفهوم الاول : ان السعادة الشاملة هي غاية العمل الفردي .

والمفهوم الثاني : ان العمل شرف يتوج الانسان وعلى اساسه يستحق كل انسان قادر على العمل حق الحياة السعيدة بشرط ان يعطي كل ما في طاقته كيما يعطى كل حاجاته وان استثمار الانسان للانسان عمل شرير يجب ان تتطهر الانسانية من ادرانه .

الواقع الاول : ان العالم منشطر الى شطرين ، مستثمر ومستثمر ، مستعمر ومستعمر ، وان شر ماتعانيه الانسانية هو هذا الانقسام المعيب الذي يحول دون السعادة الشاملة !

والواقع الثاني : هو أن العالم المنشطر الى شطرين ، متخلف مستثمر ومتقدم مستثمر ، يجب أن يتطور وان يتحول الى جنة يعيش فيها الانسان بعيدا عن الخوف وكذلك بعيدا عن التفاخر والتعالي فضلا عن الاستثمار . .

ولبناء المجتمع الجديد لا بد من انسان على مستوي هذا المجتمع . . .

اذن كيف نبني هذا التركيب الانساني الجديد ؟ !

لقد أجابت الاشتراكية على ذلك بوضوح حين قالت أن الانسان الاشتراكي هو طليعة الانسان الجديد الذي يتطلبه المجتمع الجديد .

انه انسان مثقف ، وعامل ، وفلاح ، وجندي ، واديب وفنان في آن واحد . . .

فهو يتقن من كل طرف نسبة معينة ، ولكنه نفسيا وخبرة ، مستعد للتنقل عبر الاطراف كلها ، وسريع الاتقان ثم التخصص في كل عمل جديد ينتقل اليه . . .

وهو اخلاقيا مقدس لكل عمل ، ومقدر كل انسان على قدر إتقانه لاي عمل ، وليس ثمة حاجز يفصل قيمة الانسان عن قيمة العمل ، ولكن كل الحواجز قادرة على الارتفاع في وجه من يقدر على العمل ولا يمارسه !

وبما ان الاجر في النظام الاشتراكي ليس القيمة المقابلة للعمل ، وانما

قيمة العمل هي الحياة السعيدة ــ لهذا فان العمل قد تجرد كليا من المفهوم الانتهازي والاستثماري الطبقي في النظام الاشتراكي .

العمل خدمة اجتماعية يؤديها الفرد لمجرد انها تشكل جزءا من بناء المجتمع .

وحين ترى من يعمل في أي ميدان يتوجب عليك ان تحيي فيه روح العمل لانوعية العمل ولا أجر العمل ! !

هذا هو الانسان الجديد الذي تتوخى الاشتراكية ان يكون دعامة بناء المجتمع الجديد .

وعلى اساس المفهومين والواقعين اللذين يقوم عليهما بناء المجتمع الاشتراكي الجديد لا بد من الصراع بين الاشتراكية واعدائها !

إن أجيالا فسخها التثقيف الرأسمالي مستعدة للوقوف في وجه المجتمع الاشتراكي الجديد !

واجيالا اكثر عددا ، وأقوى ثقة ، واوضح مستقبلا واعمق حقا تقف في وجه اعداء المجتمع الاشتراكي الجديد ...

واجيال الاشتراكية لاتخلو من مرض اليمينية كما ذكرنا ... كما ان أجيال الرأسمالية والاستعمار بدأت تصحو وتقدر مصلحتها وتعرف عدوها ، وتتلمس معالم المستقبل الذي لن يتحمل وجودها ، ولهذا بدأت تنضم الى جبهة الاشتراكية بشكل أو آخر ، ولسبب او آخر ، وعلى مستوى أو آخر ، ولكنها النتيجة بدأت تشكل القوة الداخلية الاشتراكية في قلب العدو المشترك ! !

ان أصواتا تتعالى من كل جانب من جوانب العالم الرأسمالي اشفاقا على مثقف أو عالم أو عامل انكشف تواطؤه مع الاستعمار وحرم من بعض مجالاته أو امتيازاته أو حقوقه ...

ان الاصوات الاستعمارية المشفقة على من تتناولهم عملية التطهير السلمية التي تتعالى عن اراقة الدم ، الا في حالات الخيانة والتآمر ، هي نفسها الاصوات المشجعة التي تتعالى لتأييد العدوان على الفيتنام ، وتبرير قتل ٧٠٠ الف انسان في اندونيسيا ، لاعطاء الانقلابات المأجورة في افريقيا وامريكا اللاتينية التي يراق في كل واحد منها دماء مئات الآلاف المناضلين .

وانني كانسان ، اتساءل في كثير من الحياء من انسانيتي عن نوعية

النواب في الكونغرس الامريكي الذين يطالبون باستعمال القنابل الذرية في الفيتنام ثم لايستحون من ابداء رأي في ثورة ثقافية ، أو في تشريع اشتراكي اصلاحي أو في تعديل في أسس اتجاهات فنية أو موسيقية ، ويسمون ذلك عدواناً آثماً على تقاليد الانسانية ، فهل قتل ١٧٠ ألف انسان في هيروشيما بقنبلة ذرية امريكية واحدة ، وقتل ٧٠٠ ألف انسان في اندونيسيا بثورة تعصبية ذميمة مدعومة بالدولارات الامريكية وقتل آلاف البشر في الفيتنام ، ولاووس ، وكمبوديا ، فضلا عن سرقة ثروات القارات الثلاث ليس عدوانا على تقاليد الانسانية ، أم أن القتل والسرقة والاستعمار من أساس التقاليد الانسانية في نظر هؤلاء المجرمين ؟ !

هذا هو الصراع بين المعسكرين ، وهذا هو الدافع الى بناء الانسان الجديد القادر على الصمود امام مهمتي تخريب وهدم كل بناء عدواني استثماري داخلي او خارجي ، وبناء مجتمع جديد ترفرف السعادة على كل ابنائه بفضل العمل الجماعي والسمو الانساني ...

كيف ينمو الانسان الجديد ؟

والآن كيف يبنون الانسان الجديد ؟ !

تقوم المجتمعات على الفئات الرئيسية التالية :

١ ــ العمال .
٢ ــ الفلاحين .
٣ ــ الجنود .
٤ ــ الكسبة .
٥ ــ المثقفين .

ونتساءل أين هو الحزب ، واين هم القادة في جدولنا هذا ؟ !

ان الحزب وقادة بناء المجتمع والانسان الجديد هم حصيلة بل عطاء كل فئة من هذه الفئات !

ليس الحزب قطاعا خاصا ، وليست القياة طبقة خاصة ، وانما الحزب والقيادة ، كلاهما نقابتان تشكلهما الفئات الخمس وتدفع بهما الى التفرغ للشؤون العامة ، لعملية الربط بين هذه الفئات ، ثم تفرض عليهما رقابة شديدة ودقيقة وتخضعهما بفضلهما لعملية ((**الغربلة المستمرة**)) حتى يكونا دائماً وأبداً في خدمة الفئات جميعاً .

والسؤال الجدير بالجواب عليه هو ، هل كل فئة من هذه الفئات

الخمس منعزلة عن بقية الفئات ، او يجب ان تظل منعزلة عنها ؟

ابدا لا يمكن ان نعزل فئة من هذه الفئات عن اخواتها ، لاننا اذا فعلنا ذلك أحدثنا تشكيلا طبقياً جديداً بينما نحن **ـ وهذا جد هام في نظرتنا الاشتراكية ـ** اعداء تعدد الطبقات .

ثم نحن اذا عزلنا فئة ، او اكثر ، عن الفئات الخمس المذكورة ، نكون قد جعلنا عمليا من الحزب والقادة طبقة ممتازة ، لأن عدم ذوبان الفئات الخمس في بعضها ، وعدم مشاركتها لاعمال بعضها سوف يجعل كل فئة عاجزة عن اعطاء الحزب والقيادة اشخاصا قادرين ، ثقافيا وفنيا ، عن تفهم وقيادة البناء الاشتراكي الجديد .

ولكن كيف نذوب الفئات في بعضها وكيف نعدد التخصص والكفاءات في الفرد الواحد ؟

ذلك هو جوهر وغايات الثورة الثقافية في الصين .

ما هو السبيل المسلوك اليها ؟

النظريـــة أولا

لقد اعتمدت الثورة الصينية عامة على النظرية الماركسية اللينينية وعلى تطوير الرئيس ماو تسي تونغ لها وجعلها منسجمة واوضاع الصين وظروفها الخاصـــة .

وضع ماوتسي تونغ تطويره الماركسي الليني وضعاً كاد يمس كل جوانب التطوير المنشود للمجتمع الصيني .

واتخذت نظريات ماو تسي تونغ المطورة للماركسية اللينينية شـــكل الدستور الموجه لكافة الشعب لسبب رئيسي هو أنهـــا خضعت لمناقشة حرةوعلنية من قبل كل الذين اشتركوا في الثورات الوطنية والديموقراطية والاشتراكية ونالت تأييدهم جميعا . ثم مرت بالاختبار التنفيذي فاعطت أحسن النتائج العملية وحققت الكثير من النصر في قطاعات متعددة منها العسكرية والزراعية والصناعية والثقافية .

وهكذا تكونت لـــدى الشعب الصيني نظرية لا هي محرفة ، ولا هي ذاتية كليا ، فسهل على كل صيني تفهمها ، كما سهل عليها هي التمركز في اعماق كل صيني على أساس أنها حقيقة وطنية وأممية في آن واحد .

وبالتالي فان احتلال النظرية مكانها المؤثر قد خفف الكثير من الاعباء

على طليعة وقادة البناء الاشتراكي وربط بينهم وبين الشعب بوثاق مقدس لدى الجميع .

لقد ادت النظرية الشاملة مهمة الحكم بين الخطأ والصواب في كل اجتهاد ، سواء أكان نظريا أم انتاجيا ، ولم يعد للعاطفة أي تأثير في النتائج والحلول .

الأدب والفن

وبالنسبة للأدب والفن فان الرئيس ماوتسي تونغ بنشره عام ١٩٤٢ مؤلفه الخالد « **أحاديث حول الادب والفن في ندوة يينان** » التي تضع الادب والفن في خدمة السياسة قد خطط المهمة الملقاة على عواتق الادباء والفنانين ، وهو التخطيط الذي يجعل الادب والفن في خدمة العمال والفلاحين والجنود والكسبة وكافة فئات الشعب .

إنها نظرية صحيحة وعملية في تكوين الادب والفن والعاملين في حقليهما، ولكن كيف ينساق التيار في هذا الاتجاه الجديد ؟

لن نبحث المصاعب ، ولا أعمال التخريب ، ولا طرق معالجة التعثر والعرقلة ، فذلك له حديث آخر في موضوع الثورة الثقافية الحالية ، وانما سنكتفي الآن بابراز معالم التخطيط والتوجيه .

والمشكلة الرئيسية التي لا بد وان يعانيها حتى متقبلو هذه النظرية الجديدة هي :

كيف يكتشف الادباء والفنانون مناهل عملهم ؟

لقد اسهم الرئيس ماوتسي تونغ اسهاماً كبيراً وغير محدود في تقديم الحل العملي لهذه المشكلة .

فقد بحث من جميع النواحي الطريق التي يتبعها الادب والفن في خدمة الشغيلة ووضع الصلة الديالكتيكية بين التعميم والسمو في الادب والفن ، واكد تأكيدا جازما في جميع المشاكل على المسألة الاساسية وهي كيف يربط العاملون في حقل الادب والفن أنفسهم بجماهير العمال والفلاحين والجنود والكسبة وكيف يصلحون بذلك نظرتهم الى العالم ، وكيف يخرجون بابطال لأدبهم وفنهم .

لقد أكد الرئيس ماوتسي تونغ بان العاملين في حقل الادب والفن يستطيعون فقط عن طريق الاندماج بالعمال والفلاحين والجنود ايجاد أغنى مناهل العمل الخلاق ، لأنهم بهذا فقط يصبحون على إلمام بالحياة

الجديدة والناس الجدد ، ولأنهم بهذا فقط يستطيعون انتاج اعمال تصور باخلاص العمال والفلاحين والجنود وتكون أعمالهم محبوبة ومفيدة للشعب .

ومرة ثانية لن نتحدث هنا عن المصاعب التي واجهها حتى تطبيق هذه النظرية ، ولا عن عملية الزيارات البرجوازية للمعامل والمزارع واخفاقها في تكوين الاديب القادر على استنباط الابطال من اغوار مشاق العمل ، وانما سنقدم التخطيط الذي أوضح للادباء والفنانين طريقهم الى أدب واقعي ملتصق بحياة الجماهير .

لقد قال الرئيس ماوتسي تونغ عام ١٩٥٧ : يجب ان لا يذهب الكتاب والفنانون الى المصانع والقرى ككتاب وفنانين ((**لتجربة الحياة**)) ولكن كشغيلة عاديين للعمل والعيش مع الشعب والاشتراك في عمله المنتج .

وبهذا توضحت الغاية الرئيسية للادب والفن الاشتراكيين ، وهي تثقيف الشعب بروح النظرية الاشتراكية ، كما توضح طريق العاملين في الادب والفن الى تأدية هذا الواجب الذي يفرض عليهم ان يتعلموا من الشعب بممارسة العمل المنتج معه ، ثم أن يتعلموا صفات الشعب الطيبة وحماسته في العمل ، وروحه الكفاحية فيحولوا النظرية من الورق الى نظرية حية من لحم ودم .

وبذلك تأكد ان عملية تعمق العاملين في حقلي الادب والفن بواسطة الاندماج بين العمال والفلاحين والاشتراك في العمل هي عملية معرفة العمال والفلاحين وما هو أهم من ذلك ، تغيير مفهومهم عن العالم .

وفي عام ١٩٥٦ رفع الرئيس ماو تسي تونغ شعار : دع مئة زهرة تتفتح ومئة مدرسة فكرية تتبارى ، وطور الجديد من القديم .

كما دعا لأن يعكس الادب والفن صورة العصر بشكل أفضل وان يخدما الجماهير الغفيرة من الشغيلة وقضية الاشتراكية بصورة أكثر فعالية وان تدمج الواقعية الثورية بالرومانتيكية الثورية . وكان الرئيس ماوتسي تونغ يهدف الى تحقيق مبدأ التوفيق مابين نظرية الثورة المتواصلة ونظرية تطور الثورة على مراحل ، وعلى أساس قوانين تطور الادب والفن ذاتيهما ، وعلى ضوء حاجات النضال الثوري الراهن وتطبيق مبدأ التوفيق ما بين الروح الثورية والمعالجة الواقعية وحد ديالكتيكيا اسلوبي الواقعية والرومانتيكية الفنيين في الادب والفن وذلك من أجل تصوير العصر الراهن بصورة أفضل ، واستيعاب جميع التقاليد الممتازة

في الارث الادبي والفني بصورة شاملة ، وتطوير مختلف الخصائص الفردية والاساليب للكتاب والفنانين بصورة أفضل ، فانفتح عالم حر فسيح من الادب والفن الاشتراكيين وثبت ان الدمج ما بين الروح الثورية والمعالجة الواقعية ينطبق لا على الابداع الادبي والفني فحسب بل وعلى النقد الادبي والفني كذلك .

وأكد الرئيس ماوتسي تونغ على ضرورة مزاولة الادب والفن مهمة خلق شخصيات تستطيع ان تجسد المثل الثورية للكادحين افضل تجسيد وقال ان هذه الشخصيات يجب ان لا تكون حصيلة خيال الكتاب وانما يجب ان تمثل رجالا ونساء جددا برزوا من خلال النضال الواقعي ، وان تكون مزية هذه الشخصيات الاكثر روعة كامنة في أنها لا ترهب الصعاب ابدا ، ولا تتراجع امامها ، كما أنها لا ترضى بالانتصارات التي حققتها وتوقف بذلك تقدمها . وعلى هذا يكون تعريف الاديب كما يلي : إنه الواقعي الثوري الاكثر صفاء وهو في نفس الوقت المثالي الثوري الأغنى مثلا .

وبالطبع لم تسر الامور في حقلي الادب والفن على ما يرام ، لان تخريبا متواصلا قد حاول اعاقة هذا التطوير فبعض الذين خبت حماستهم نحو الاشتراكية او الذين حنوا الى ادب الجنس والرومانتيكية المجردة من الواقعية ، وبعض وارثي رواسب العهود السابقة للثورة قد عملوا على عرقلة التطوير ، وراحوا ينظرون اليه من زوايا نفايات التاريخ ومصاعب بداية البناء ، فضاقت عيونهم عن استيعاب اشراقة الفجر وضاق خيالهم عن تأمل صور الغد المنير وراحوا يصورون الادب والفن الاشتراكيين وكأنهما صورا متشابهة وطراز من الكتابة الآلية الخالية من العاطفة ومن الحقيقة المجردة ...

ان هؤلاء تناسوا ان الادب الاشتراكي يصور الحقيقة في التطور الثوري والطموح الى مستقبل أفضل ، ويوفق ما بين الواقعية الثورية والرومانتيكية الثورية ولا يخلق ابطاله خلقا كاذبا ، ولا يتخيل لابطاله عواطف زائفة ، وانه يستخدم لغة بطولية ونغمة قوية وألوانا حية لأطراء ووصف العصر ، بمنجزاته وابطال تلك المنجزات ، انهم لم يؤمنوا ايمانا كافيا بابطال العمل والحرب والثورة الاحياء ، لأنهم بالاصل لم يؤمنوا بالاشتراكية ايمانا صادقا ومطهرا لهم من كل رواسب الماضي القاتم .

وتناسوا ما هو أعظم من ذلك ، هو ان عليهم ان يأخذوا مكانهم في طليعة نضال الشعب الثوري ، وان يكونوا آلة محركة لضمائر الشعب الكادح كيما يحفزوه على مضاعفة الانتاج واتقانه وتخفيف اكلافه وتقصير

مدة انجازه وتبادل التعليم المهني حتى تلد الخلية المنتجة آلاف الخلايا الانتاجية ويعم التخصص وتتضاعف ورشات العمل ، ويؤمن التطور والرخاء للجميع .

ولم يعر هؤلاء الكتاب بالاً الى أن مهنتهم ، الأدب والفن ، شكل من أشكال البناء العقائدي يعود الى البناء الفوقي ، وهما انعكاس للاساس الاقتصادي وعصب النضال الطبقي ، وبالتلخيص انهما طريقة التفاهم ما بين النظرية والتطبيق وما بين النظريين والكادحين .

ولم يقدر هؤلاء الكتاب والفنانون المرحلة التي تعيشها بلادهم الصين وهي مرحلة تحتم بناء البلاد بأقصى سرعة ممكنة تسمح بها الظروف الموضوعية لتصبح بلدا اشتراكيا قويا ذا صناعة وزراعة وعلم وثقافة حديثة كلها ، واعداد الظروف للتقدم الى ما بعد الاشتراكية واتاحة الامكانات المادية والمعنوية لمشاركة الصين في الحركات الثورية العالمية المعادية للاستعمار والرأسمالية تحقيقا لسلم عالمي دائم .

لقد وضعوا كل ذلك خلف ظهورهم ونظروا الى عملهم وكأنه عملية صياغة كلمات ورصف جواهر وعرض نماذج بشرية مثيرة يكفي لانجازها جميعا قليل من التأمل في ساعات فراغ ، وفي ساعات غيبوبة تسببها الخمرة أو غيرها من المكيفات ثم تساق ممهورة بخاتم كاتبها ، وتعرض ليقرأها المترفون العاطلون عن العمل من امثالهم ، ويتلقون عليها المديح والثناء من زملاء همهم مقايضة ومقارضة هذا النوع من الدعاية وغايتهم تكوين قلة من ((**الموهوبين**)) اصحاب ((**الشهرة**)) الذين يعتبر نقدهم كفرا بالمثل العليا التي توزعها الابراج العاجية من فوق رؤوس الشعب !!.

والاهم من ذلك كله ان هؤلاء لم يقدروا الظروف الموضوعية لبلادهم ، فظنوا ان مجرد انتصار الثورة الديموقراطية ومباشرة البناء الاشتراكي يعني القضاء على الطبقات وعلى الصراع الطبقي ، ولو أنهم وعوا قول زعيمهم ماو تسيي تونغ بأن الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية والصراع الطبقي بين القوى السياسية المختلفة والصراع الطبقي في الميدان الايديولوجي بين البروليتاريا والبرجوازية ((**في الصين**)) سوف يستمر الى وقت طويل ويكون ملتويا بل ويصبح حادا جدا أحيانا ه ان النضال لاعلاء الايديولوجية البروليتارية وتصفية الايديولوجية البرجوازية في الجبهة الثقافية يشكل جانبا هاما للصراع الطبقي بين طبقتين ((**البروليتاريا والبرجوازية**)) وبين طريقين ((**طريق الاشتراكية وطريق الرأسمالية**)) وبين ايديولوجيتين ((**الايديولوجية البروليتارية والايديولوجية البرجوازية**)) . فالبروليتاريا

تسعى لتغيير العالم وفق نظرتها للعالم وكذلك تفعل البرجوازية . والثقافة الاشتراكيةتخدم العمالوالفلاحين والجنود وتخدم السياسة البروليتارية وتخدم توطيد وتطوير النظام الاشتراكي وأنتقاله التدريجي الىالشيوعية. أما الثقافة البرجوازية والتحريفية فتخدم البرجوازيين والاقطاعيين والفلاحين الاغنياء والمعادين للثورة والعناصر السيئة واليمينيين وتمهد الطريق لعودة الرأسمالية . فالموقع الثقافي ان لم تحتله البروليتاريا فلا بد ان تحتله البرجوازية . انه صراع طبقي حاد . ولما كانت بقايا القوى البرجوازية في بلادنا لاتزال قوة لايستهان بها وعدد المثقفين البرجوازيين عندنا لايزال كبيرا الى قدرما وتأثير الافكارالبرجوازية لايزال شديدا بعض الشيء وطرقهم في محاربتنا تزداد مكرا وخبثا والتواء وخفاء فان أقل غفلة وتراخمنا سيجعلمن الصعبانرى انتصاراتالنضالالقائم وقد يجعلنا من ضحايا رصاصات البرجوازيين الملبسة بالسكر بل وقد يفقدنا موقعنا . وفي هذه الناحية فان مسألة من هو المنتصر الاشتراكية أم الرأسمالية لم تحل بعد . فالنضال لا مفر منه . وعدم اتقانه قد يسبب الانحراف لو أنهم وعوا هذا الكلام لأدركوا أية جريمة يرتكبونها في حق نظامهم ووطنهم ، ولعادوا الى المشاركة في الثورة الثقافية المستمرة وأسهموا في بناء الانسان الاشتراكي الجديد الذي يتطلبه بقاؤهم كدولة اشتراكية متطورة ...

مدارس نصف عمل ونصف دراسة



العاملات والعمال في ساعة الدراسه التي ترافق عملهم في الكومونات الشعبية ، وبواسطة هذه الدراسة تزول برجوازية المثقفين على العمال والفلاحين ، ويتم خلق الانسان المتطور من كل الجوانب

التعليم الاشتراكي

يعتبر التعليم الاشتراكي سلاحا قويا من اسلحة تبديل المجتمع القديم وبناء المجتمع الجديد .

وهدف الثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكي هو التخلص من كل الطبقات المستثمرة ، وكل انظمة الاستثمار وبقاياها ومحو الفروق القائمة بين المدينة والريف ، وبين العمل الذهني والجسدي وليس غير التعليم الاشتراكي قادرا على تحقيق هذا كله .

والتعليم اما أن يدار من قبل الافراد والمؤسسات الحرة كما هو الحال في العالم الرأسمالي ، واما ان يدار من قبل الحزب والمؤسسات الشعبية كما هو في العالم الاشتراكي .

وفي التجربة الاولى ثبت ان خبراء التعليم يخضعون في رسمهم للسياسة التعليمية للاتجاهات السياسية الاقتصادية والعسكرية التي تخدم الرأسمالية والاستعمار .

كما ثبت ان طريقتهم في التعمية على هذه الحقيقة لاخفائها هي رفع شعار ((**العلم للعلم**)) والتعليم لا يدار الا من قبل الخبراء .. وان التعليم والعمل العضلي شيئان منفصلان ... وان السياسة والتعليم ضدان لايجتمعان ...

فاذا كانت كل هذه الآراء حقائق يمكن قبولها ، اذن كيف يبنى المجتمع ؟ ومن يطوره ؟ ومن يعبر عن آراء الجماهير الكادحة ؟ وكيف يحصل العامل والفلاح والجندي والخادم الاجتماعي على ثقافة تغذي ثوريته ودفاعه عن حقه ضد مستثمريه ؟!

أليس معنى هذا انه يجب حصر حق التعلم في فئة معينة من الشعب ، أو يجب تسميم أفكار الشعب حين تعليمهم بآراء ونظريات تجعلهم يؤمنون بأن دفاعهم عن حقوقهم يخالف طبيعة الاشياء ويعرض الاقتصاد والامن الى المخاطر ...

ان الشعور الطبقي الذي يعيش في أعماق كل انسان في العالم الرأسمالي هو حقيقة لاينكرها التعليم الرأسمالي ويضع في موضعها عدالة وطبيعية

الوجود الطبقي واستحالة القضاء عليه فاذن هل تظل الطبقات نهب الصراع الاستثماري ويظل الفقير المنهوب فقيرا منهوبا الى مالا نهاية ؟!

ان مجتمعا شبه اقطاعي شبه مستعمر حقق بالثورة الوطنية الحرية السياسية وحقق بالثورة الديموقراطية القضاء على استثمار الانسان للانسان ، ويريد أن يحقق بالثورة الاشتراكية زوال الطبقات بين الشعب وزوال الفوارق بين المدن والارياف ، ان مجتمعا كهذا لايستطيع بلوغ ما يريده الا بنوعية جديدة للمعرفة يتمتع بها جميع الشعب ليهدر كفرد واحد في اتجاه موحد نحو الغاية المشتركة .

ولهذا كان لابد للحزب من ان يكون المسيطر على مناهج التعليم ، والرقيب على تنفيذ تلك المناهج ، باعتباره الممثل الوحيد للثورة ، والقائد الطبيعي نحو الغاية المشتركة لكل الشعب ، وباعتباره المؤتمن الوحيد على الثقافة الاشتراكية .

للتعليم تاريخه ... هذا حق ، ولكن تاريخ التعليم يجب أن يتوقف ليطوي برفق حينما يكون عاجزا عن الاسهام في بناء الانسان الجديد الذي يتطلبه البناء الاشتراكي . وبالطبع ان القوانين التي حكمت التعليم وتحكمه في مجتمع الطبقات ، لا يجب ان تكون هي نفس القوانين التي تحكم التعليم الاشتراكي .

والواقع التاريخي للتعليم لاينفي ان التعليم كان خاضعا للمستعمر ، أو لرجال الدين ، أو كان في مراحله الطفولية سبيلا لتكسب فقراء المتعلمين . اذن كيف يمكن لمثل هذا التاريخ ان يصمد أمام نظرية التعليم لكل الشعب ، ومن أجل مصلحة الشعب ، وانه لابد وان يحقق وضوح مفاهيم الصراع الطبقي والتحرري لكل الشعب .

ان التعليم في مجتمع الطبقات يقسم الخريجين الى طبقات ويضع حواجز دون كل طبقة فيعجز كل طبقة عن تفهم الطبقة الثانية ، ومعرفة اعمالها ، فضلا عن ممارسة بعضها اذا فرضت الازمات الاقتصادية عليها ذلك ...

وهذا واضح جيدا من هجرة ابناء الريف الى المدن . فهم بحكم جهلهم للصناعة يتحولون الى متسولين أو عتالين ، أو خدم ، أو عمال لشق الطرقات او يشكلون مظهرا من مظاهر البطالة والازمات الاقتصادية .

وكذلك الحال مع العمال حين تضطرهم الازمات الى البطالة فانهم بسبب عجزهم عن التحول الى عمال زراعيين ، أو الى غير الحرفة

التي زاولوها يعانون نفس المصير الذي يعانيه زملاؤهم الفلاحون ..

أما المثقفون ، والمتعلمون اطلاقا فانهم حين تواجههم أزمة البطالة بسبب انغلاق أبواب التوظيف الذي هو أملهم الوحيد وغايتهم الرئيسية من الثقافة فانهم بتأثير جهلهم للحرف الصناعية والزراعية يتحولون الى متسكعين في الطرقات أو الى عالة على أوليائهم أو الى مجرمين ومخربين وعملاء ...

هذه هي نتائج التعليم في المجتمعات الطبقية ..

ان الاشتراكية تسخر التعليم في مهمة منع كل هذه المخاطر ..

انها تطلب منه ان يخلق المواطن المتطور من كل الجوانب ...

وجوهر التطور من كل الجوانب هو ان على الطلاب تحصيل معرفة أوسع نسبيا وان يصبحوا أناسا متعددي القابليات ، قادرين على التنقل من فرع للانتاج الى آخر بالتتابع حسب متطلبات المجتمع ، أو وفق نزعاتهم الخاصة .

كما ان التطور من كل الجوانب يعني في جوهره ان لاتكون المعرفةالتي تعطى للطالب ذات جانب واحد ، ومتجزئة ، بل معرفة كاملة نسبيا وذلك يقضي أن يخدم التعليم السياسة وان يقترن بالعمل المنتج .

ولقد وضح ماوتسي تونغ في مقاله ((**الحل الصحيح للمتناقضات بين الشعب**)) السياسة التعليمية بقوله : يجب أن تتيح سياستنا التعليمية لكل امرىء يحصل على التعليم أن يتطور خلقيا وذهنيا وجسمانيا وان يصبح عاملا ذا ثقافة وذا فكر اشتراكي ...

ولقد خاطب المعلمين بقوله : على هؤلاء الذين يعلمون الآخرين أن يثقفوا هم-أنفسهم ... ((**ولعله ناداهم لان يؤمنوا بالقفزة الكبرى التي شعارها : علو في الروح وقوة في الارادة وحزم في التصميم .**))

ولقد قال الرئيس ماوتسي تونغ في السياسة التعليمية : والعامل ذو الثقافة والفكر الاشتراكيين هو رجل مثقف وواع سياسيا وهو قادر على أن يقوم بالعمل الذهني والعضلي كليهما ، وهو من نعتبره متطورا من كل الجوانب وكفوءا سياسيا ومهنيا ، انه عامل مثقف ، ومثقف عامل.

ولكن ماهي الطريقة الى خلق مثل هذا الانسان ..

الطريقة هي أولا في انقاذ التعليم عامة من أيدي الاخصائيين والثقاة، واخضاعه لادارة الشعب وملكيته اذا امكن .

ثم انقاذ السياسة التعليمية من تخطيط علماء تاريخ التعليم ووضعه في ايدي الحزب صاحب المصلحة الرئيسية في نمو القوى الواعية المثقفة والعاملة في آن واحد. وأخيرا دمج التعليم بالعمل المنتج مع كافة المستويات، واستثمار كافة اوقات فراغ العمال والفلاحين والجنود والكسبة في سبيل تطويرهم علميا وجسديا ، وذلك عن طريق التعلم والعمل وبلوغ مستويات التخصص والابداع الفني .

وأخيرا ، وضع التعليم في خدمة الصراع الطبقي سياسيا وفي خدمة الانتاج اقتصاديا ، وفي خدمة المثل الاخلاقية العليا تربويا وهذه النواميس الثلاثة هي التي عناها الرئيس ماوتسي تونغ بقوله : « علو في الروح وقوة في الارادة ، وحزم في التصميم ... » .

وفي نهاية عام ١٩٥٧ اتخذ اجراءان ساهما في تقدم هذا النوع من التعليم : احدهما تطبيق مبدأ اقران الدراسة بالعمل المنتج في جميع المدارس ، وثانيهما انشاء المدارس المتوسطة الزراعية .

وبالتدريب على العمل أثناء الدراسة أخذ التعليم في المدارس الاعتيادية يقترن بالعمل المنتج ، وحطم ذلك التقاليد القديمة للمدارس ، تلك التقاليد التي كانت تحتقر العمل العضلي وغير جو المدارس وكان له تأثير طيب جدا في المحيط الاجتماعي .

وفيما يلي مثل على نجاح هذه العملية :

أنشأت مدرسة بكين الابتدائية النموذجية رقم ٢ مصنعا صغيرا في حرم المدرسة ، مجهزا بمختلف الانواع من الماكينات الصغيرة ومناضد العمل فتوافدت عليه جماعات من الاحداث الطليعيين ذوي الاربطة الحمراء، حيث قبعوا يعملون وكأنهم عمال تماما .

وذات مرة ، طلب مصنع الادوات الكهربائية الواقع قرب المدرسة من العمال الصغار مساعدة عمال المصنع على وصل الخيوط المقطوعة داخل المصنع الصغير . ورغم ان هذا العمل كان بسيطا ، الا ان النوعية التي يتطلبها كانت عالية . وفي بادئة الامر ، كانوا يعملون بجد وحماس ، غير انه ، بعد عدة مرات ، شكا بعض التلامذة قائلين : « هذا شيء لايذكر .. يجب أن نترك التلميذات يعملنه . » وعلى مسمع ذلك ، بادر المعلم الى تنظيمهم في زيادة اقسام المصنع هادفا من وراء ذلك الى تعميق معرفتهم بأهمية مباشرة الاعمال البسيطة . وما أن رأوا بأم أعينهم اعمامهم العمال هناك يلفون محولات الكهرباء بخيوط مقطوعة تم وصلها على أيدي الاطفال، حتى ذرعهم السرور من الرأس الى أخمص القدم . وعلى هذا النحو عرفوا ان أي نوع من الاعمال سوف يكون من شأنه زيادة قوة البناء الاشتراكي .

وفيما بعد طلب المعلم منهم ايصال الخيوط الى العمال لكي يفحصوها. ولكنهم وجدوا ان جزءا كبيرا من تلك الخيوط غير مرغوب فيه فانتابهم حزن شديد لانه تبادر الى اذهانهم ان مهماتهم لم تنجز كما يتمنى لهم أعمامهم العمال ، ولكن هذا الامر لم يثبط من همتهم بل جعلهم يجدون في العمل أكثر فأكثر . ولم يمض على ذلك سوى وقت قصير ، حتى كتب اعمامهم العمال في المصنع رسالة الى المدرسة أطروا فيها هؤلاء الاطفال لدأبهم في العمل ولكونهم مساعدين صغارا لهم . وحيال ذلك تأثروا الى أبعد الحدود، فكتب أحدهم في موضوع الانشاء : «**يجب علينا أن نتقن العمل العادي من هذا النوع ، لان البساطة قد تؤدي الى العظمة كما قال العم لوي فونغ .. ذلك الجندي الجيد للرئيس ماو . »**

اما المدارس المتوسطة الزراعية فهي مدارس حرفية (فنية) اقامها الناس بأنفسهم على أساس جزء من الوقت للعمل وجزء للدراسة . ومثل هذه المدارس تشبع رغبة الطلاب في الاستمرار بدراستهم واعداد فنيين زراعيين ايضا ، وهي سهلة الانشاء نسبيا ، تسد الاحتياجات الفعلية الراهنة ، ولا تتطلب ان تصرف الدولة عليها مالا ، كما انها تقلل من العبء الاقتصادي على اسر الطلاب ، وهكذا اخذت هذه المدارس تنهض مثل أعواد الخيزران منذ اللحظة التي شجعت الحكومة الناس على انشائها ، وبلغ عددها في أشهر قليلة الآلاف ولم يعد متخرجو المدارس الابتدائية قلقين على اكمال دراستهم ، كما ازداد عدد المدارس الابتدائية التي يديرها الناس بانفسهم زيادة عظيمة .

ولسد احتياجات الانتاج المتزايدة عني بتعليم الكبار في حملة عظمى لمكافحة الأميـة .

وكذلك انشئت مدارس التعليم في أوقات الفراغ ، وبعضها قريب من المعامل ، وبعضها تابع للمعامل !

وتتبنى الكومونات الشعبية في الريف حملة توسيع التعليم على نفس المستويات ، والاختصاص .

ولكن هل سار هذا كله في المنهاج المقرر له ؟

وهل أعطى الثمرات التي كان منتظرا ان يعطيها ؟

ان الجواب على ذلك طبعا هو « لا ... » اما لماذا ، وكيف عولجت هذه القضية ، فالجواب على ذلك سيجيء في بحث الثورة الثقافية الحالية.

ولكننا سنكتفي الآن بالقول ان هذه السياسة التعليمية الجديدة اقتضت في عامي ١٩٥٧ ــ ١٩٥٨ عملية تطهير على مستويات اجهزة التعليم جميعا ، ومع هذا فان الاعشاب السامة عادت الى النمو واضطرت الى مواجهة الثورة الثقافية الحالية .

الجيش الاشتراكي

هنالك نوعان من الجيوش في العالم ، واحد اشتراكي عقائدي تدعمه النظرية التي تربطه مع الشعب ، وآخر عسكري لايفهم غير فنون الحرب.

وبالتحليل النهائي لتكوين الجيش يتضح ان هنالك جيشا اشتراكيا مهمته بناء وحماية المكتسبات الاشتراكية وجيشا استعماريا مهمته صناعة الموت . . .

وكما تختلف مهمتا الجيشين كذلك تختلف طريقة اعداد وتربية الجيشين .

فالجيش العقائدي لا يستطيع كما لا يجب ان يعزل نفسه عن الحياة والاحداث اليومية لشعبه ولشعوب العالم وان لا يعتبر نفسه قوة معزولة عن قوة الشعب . وانما يعتبر نفسه قوة منبثقة ومثقفة للشعب عسكريا واقتصاديا وفنيا ، ولهذا ليس لديه سرية في التدريب ولا في التنظيم ، ولا في الاتجاه والتوجيه ، وانما يضع ذلك كله تحت بصيرة الشعب ، بل ويدرب أفراده حتى يكون هو والشعب جميعا قوة يمكن استنفارها والاستفادة من خبرتها وقدرتها على الدفاع العملي المنتج .

وبخلاف ذلك فان الجيش الاستعماري لايستطيع أن يدمج نفسه مع الشعب ولا ان يتبنى شيئا من شعاراته ، بل يحرم عليه حتى مناقشة وتفهم الحياة اليومية والاتجاهات العالمية والسياسية الاقتصاديةوالثقافية والعسكرية لبلاده وللعالم .

ويتكون الجيش العقائديفي قلب المعارك الثورية ، أو بالتثقيفالنظري الحزبي ، بينما يتكون الجيش الاستعماري من المحترفين لصناعة الموت ومن الملزمين على الخدمة الاجبارية .

وتحدث تناقضات بين الشعب والجيش العقائدي عندما تقتضيبعض الظروف تأجيل سوق بعض من يجب سوقهم الى الخدمة العسكرية ، فان ذلك يعتبر نوعا من هضم الحق ، يدافع الشعب والشبان ضده بحماسة، الامر الذي يوضح الرابطة العميقة الجذور بين الشعب والجيش وهضم الشعب لمفهوم الخدمة العسكرية ، ويقابل ذلك في الجيوش الاستعمارية، مانسمعهونقرأه عن حركات التمرد والتحايل للتهرب من الخدمة العسكرية

ثم ما نسمعه ونقرأه عن تمزيق بعض الجنود الامريكان مثلا لهوياتهم العسكرية احتجاجا على اعمال عدوانية يساقون اليها عن غير قناعة وجدانية من قبلهم .

وتكوين الجندي العقائدي يختلف كليا عن تكوين الجندي الاستعماري، فالاول انسان مندمج بقضايا شعبه ، وملتصق كليا بمصالح الانتاج الوطني والعمل الثقافي ، ثم هو دائم الاتصال والمشاركة في كافة أعياد وافراح ونشاطات الشعب الثقافية ، كما ان الجندي الاشتراكي لا يعدم روحه الفنية المرحة ولا نظرته الانسانية الرومانتيكية للحياة وانما يستطيع ممارسة كافة الفنون ممارسة حية ، كما يستطيع التحول من جندي الى عامل وفلاح ومعلم وفنان ولا يشعر هو ولا الشعب بتكوين نفسي مغاير لتكوينه النفسي ولسلوكه الاجتماعي عندما ينتقل الجندي من عمله الى عمل آخر وعندما ينزل الى الحياة العملية ليشارك الشعب ، كواحد منه، في الاعمال اليومية المنتجة .

بينما نرى الجندي الراسمالي عاجزا عن كل ذلك ، ويجد نفسه غريبا عن طباع وتكوين الشعب النفسي ، لانه يتميز بالقسوة والعصبية وحب التأمر والتسلط كما يحل أكثر مشاكله اليومية مع الناس حلا ينفر كل انسان منه .

ان الطبيعتين المتغايرتين ليستا غير حصيلة المثل التي توضع لأهداف الجندية عند الطرفين .

ولا شك فانني حين أعدّ اعدادا يجعلني خادما للشعب ومشاركا له في الدفاع عن مكتسباته جميعا ، وحين أكون مع الشعب في أفراحه واتراحه ، وحين أضع تحت تصرف الشعب كل جهودي وأهدافي لمناقشتها وتصميمها ، وحين يعرف الشعب انني غير مستعد للقتل الا في حالة الدفاع وهي حالة لا أتميز بها كجندي وانما يجب ان تكون خلقا شعبيا شاملا كل فرد ، في هذه الحالة فقط يستطيع الشعب ان يعترف بأنني لست طبقة منعزلة عنه ، ولست قوة مسلطة عليه ، ولست مؤسسة تحترف القتل وتعمل لحساب طبقة استثمارية لايهمها في سبيل الربح ان تقتل شعوبا وتسلبها حرياتها ، وانما يقبل على عملي ، ويمارسه في ساعات فراغه ويحوله الى هوايات رياضية تمكنه ممارسته لها من ان يتحول بسرعة الى جندي عامل يتقن استعمال كافة الاسلحة ، ويقبل بنشاط واندفاع وجدانيين نابعين من القناعة الوجدانية على مشاركتي في جميع نشاطاتي . .
وبالعكس ، فان الشعب حين يراني عالة عليه ، أطعم عاطلا عن العمل

المنتج ، لمجرد انني مهيأ للسوق الى ميادين حروب غير عادلة ، وليس للشعب اية مصلحة من انتصاراتها ، وحين يراني الشعب اضع جميع انتصارات الحروب غير العادلة في خدمة استثمارات الرأسمالية التي هي عدوتي وعدوته في آن واحد ، فانه اي الشعب يشعر بأنني أجلب له العار وأسبب له سوء السمعة أمام الشعوب التي أقهرها وأسلبها حرياتها وثرواتها .

وبنظرة الى أقوال الرئيس ماوتسي تونغ في مفهوم غايات الجيش ترى أي فارق بين جيش اشتراكي وجيش استعماري فقد قال في القرار الشهير الذي اعلن في مؤتمر قويتان : ((**لا يقاتل الجيش الاحمر لمجرد القتال ، بل من أجل أن ينشر الدعاية بين الجماهير وينظمها ويسلحها ويساعدها على اقامة سلطة سياسية ثورية ، وبدون هذه الاهداف يفقد القتال معناه ويفقد الجيش الاحمر أسباب وجوده .**))

ولقد حدد الرئيس ماو لجيش التحرير الشعبي الصيني ثلاث مهام هي : القتال ، والعمل الجماهيري ، والانتاج . وأوضح ان الجيش قوة محاربة دائما وابدا وفي نفس الوقت هو قوة عمل سياسي وقوة انتاج .

وعشية انتصار الثورة الصينية قال الرئيس ماو : ان الجيش مدرسة . . وعلينا ان ننظر الى جيوش الميدان بتعدادها البالغ مليونين ومئة الف رجل كمدرسة هائلة للملاكات . هذا ما نشرته جريدة جيش التحرير اليومية الصينية في أول آب ١٩٦٦ وقد علقت عليه بعد ذلك حينما حاولت شرح مبدأ الرئيس القائل بأن على الجيش ان يكون جيشا مقاتلا وجيشا منتجا في آن واحد فقالت ان الرئيس ماو علمنا انه ينبغي ان يكون جيش التحرير الشعبي مدرسة كبرى ، ويجب أن يدرس في هذه المدرسة الكبرى : السياسة والشؤون العسكرية والثقافية وان يستطيع مزاولة الانتاج الزراعي والانتاج الاضافي وان ينشىء مصانع متوسطة الحجم وصغيرة لانتاج قدر معين مما يحتاج اليه من المنتجات ، وكذلك المنتجات التي يتبادل بها مع الدولة بالقيمة المتساوية ، وعلى هذه المدرسة الكبرى أن تكون قادرة على القيام بالعمل الجماهيري والاشتراك في حركة التثقيف الاشتراكي في المصانع والريف ، وعندما تنتهي حركة التثقيف الاشتراكي يكون لديها عمل جماهيري تقوم به في كل وقت حتى يكون الجيش والشعب مندمجا بعضهما في الاخر دائما وابدا ، وعليهما ايضا ان يكونا على استعداد في كل وقت للاشتراك في النضال الثوري الثقافي لنقد البرجوازية . وهكذا تجمع بين الشؤون العسكرية والدراسة والزراعة والصناعة والعمل

الشعبي . وطبعا يجب أن يكون هناك تنسيق مناسب ، ويجب أن يكون هناك تحديد لمن يكون التابع والمتبوع ، فلا يمكن لقوة من قوات الجيش الا أن تقوم بجانب أو جانبين من الجوانب الثلاثة أي الزراعة والصناعة والعمل الشعبي ، اذ لايمكنها أن تقوم بهذه الجوانب الثلاثة معا .

أوردنا هذه الفقرات من كلمات الرئيس ماوتسي تونغ ومن تعليقات جريدة جيش التحرير اليومية لتوضح علاقة الجيش بالثورة الثقافية .

اما هل يقوم الجيش الصيني بهذه الاعمال كاملة وفق تعليمات الرئيس ماوتسي تونغ ، وهل تتعرض محاولته تلك لاعمال المخربين وتآمرهم ؟

ليس من حقنا الآن توضيح ذلك ، فان حديثنا عن الثورة الثقافية واسبابها له مكان آخر ، ولكن من حقنا الآن فقط أن نوضح أسس تكوين الجيش الصيني وعلاقة العمل بالجندية ، ثم توضيح التركيب الاخلاقي والثقافي للجندي الصيني ، لنبين الفارق بين الجيش العقائدي والجيش الاستعماري ، ومن خلال ذلك يستطيع كل قارىء معرفة مبررات تدخل الجيش في الثورة الثقافية الدائرة الآن في عموم الصين .

والشيء الجدير بالشرح الآن هو كيف يقوم جيش التحرير الشعبي الصيني بواجباته هذه ؟

بما ان جيش التحرير هو جيش قتال وعمل وثقافة ، فان عملية اعداد الجندي تشمل تثقيفه عسكريا وصناعيا وزراعيا وثقافيا .

وعملية الاعداد ليست نظرية كلها ، وانما هي عملية منتجة دائما .

وليست عملية الاعداد العملي المنتج الجندي رمزية ، أي تتناول المشاركة الاسمية التظاهرية، وانما هي عملية اسهام عملي ، فعلي ، مادي، محسوس وملموس ، ومستمر في الانتاج .

ففي الزراعة ينزل الجيش بكامله في مواسم الحصاد الى العمل مع الفلاحين فيحصد المواسم واياهم .

وفي اعمال السدود واستصلاح التربة ، وشق الطرقات ، وبناء الوحدات السكنية ، وانشاء المعامل يكون للجيش دوره الانتاجي الفعلي البارز .

وفي الصناعة ، فانه فضلا عن المعامل الخاصة بالجيش ، فان مشاركة مرموقة في الانتاج الصناعي يتولاها الجيش ، سواء عن طريق التمرن في المعامل ، أو تمرين الفنيين في معامله ، أو في الاسهام بالاعمال الجسدية للمعامل الضخمة .

وفي أعمال النقل والتسويق فان بواخر وطائرات وسيارات الجيش مع عمالها العسكريين تكون دائما في خدمة الانتاج .

وفي الاعمال الثقافية فان للجيش حلقاته التي تستمع وتدرس وتنتقد كل انتاج ثقافي ، أدبي أو فني يقوم به فرد من أفراده .

وللجيش جرائده اليومية ، ومجلاته الادبية الدورية ، وله كذلك جرائد الجدران ، وله بالاضافة الى كل هذا تشكيلاته الفنية والادبية ، كفرق الرقص ، والغناء ، والموسيقى ، والتمثيل على مختلف المستويات بداية بالاوبرا ونهاية بالعزف والاداء الفرديين .

ولا ينغلق الجيش على نفسه في هذه المجالات الثقافية ، أي ليست هذه الفرق وقفا عليه ، وعلى تسليته ، وانما تقوم فرقه الثقافية ، الادبية والفنية والرياضية ، بخدمة الشعب فتذهب في جولات الى المزارع والكومونات والى المدن ، وتقيم الحفلات في الهواء الطلق ، او على المسارح، وتخضع كافة نشاطاتها ، لنقدها الذاتي ، ولنقد جماهير الشعب ، دون ان تجللها ستائر السرية العسكرية والرهبة الكلاسيكية من الطابع العسكري .

وينزل الجيش ، افرادا وجماعات ، وفرقا منظمة وكأشخاص الى الساحات العامة ، والى الحدائق ، والى الشوارع ، والى المدارس ، وحتى الى روضات الاطفال ، خلال الاعياد القومية والسياسية ، وخلال التظاهرات التأييدية التي ينظمها الحزب،او تنظمها المؤسسات السياسية والثقافية ليشارك الشعب نشاطه : النضالي او الترفيهي ، وبذلك يعمق الوحدة بينه وبين الشعب .

ويمارس الجيش نقد كل ما ينشر في الصحف اليومية والاسبوعية الاخرى من مقالات واخبار سياسية وأدبية وفنية ، وتكون ممارسته هذه على المستويات التالية :

النقد في حلقاته الخاصة ، وفي اجتماعاته العامة ، وفي مجلاته وجرائده او في المجلات والجرائد غير العسكرية .

وينزل الجيش الى الاسواق ، ويمارس عمل البيع ، أو مساعدة البائعات والباعة ، كما يمارس مهمة تنظيف الشوارع أو مساعدة الكناسين ، ويسهم بعد ذلك في نقد العلاقات الاجتماعية سواء منها ما يتعلق بالسلعة كنوع وسعر أو ما يتعلق بأسلوب العرض وطريقة معاملة الزبائن .

ولقد أعطى القرار الاخير بالغاء الرتب العسكرية وازالة الشارات من على الثياب العسكرية والغاء التحيات من الادنى الى الاعلى اعظم النتائج النفسية ، لانها ازالت الشعور الطبقي بين افراد الجيش الواحد، مع الحفاظ على الانضباط الذي انحصر في العلاقات الفنية ضمن اطار العمل وممارسة المهام العسكرية .

ان ممارسة كل من هذه الانواع لو حاولها جيش تابع لمجتمع الطبقات، أي لمجتمع رأسمالي استعماري لاعتبر عملا قسريا مفروضا على الشعب بقوة السلاح .

ولكن الشعب الصيني ، الذي ادرك ان الغاية من ممارسة جيشه لهذه النشاطات ليست التدخل في اموره وحياته وعلاقاته كقوة متسلطة ، وانما الغاية منه هي مزاولة الحق الطبيعي لافراده كمواطنين ، ثم صقل النفس وتحريرها من رواسب الطبقية ، واخيرا جعل الجندي انسانا اجتماعيا غير بعيد عن مصالح واعمال الشعب ، وغير عاجز عن التحول من عمل منتج الى غيره متى انهى واجبه العسكري وعاد الى الشعب ، ان ذلك هو الذي اعطى عمل الجندي قيمته لدى الشعب ، خصوصا وان العمل منتج وله تأثيره الملموس في تنمية الانتاج وتذليل صعابه .

وقبل انتهائنا من الحديث عن التكوين النفسي الجديد للجندي الاشتراكي ، يجدر بنا القاء بعض النور على مبدأ « **الشعب المسلح المدرب والمتاهب دائما للمعركة ، والخبير باستعمال جميع الاسلحة ، وممارسة كافة الاعمال العسكرية** » .

كيف تتحقق اهداف هذا المبدأ وكيف يجري تمرين كل الشعب ؟!

لا شك في ان شرحا كاملا لهذا يستلزم دراسة شاملة ودقيقة للتنظيمات التي يقوم عليها النظام الاشتراكي .

ولاستحالة بحث مفصل من هذا النوع بسبب بعده عن موضوعنا ، نكتفي بالاشارة الى ان مبدأ « **العلم والعمل والتدريب العسكري** » هو المبدأ الشامل لكل تنظيم ولكل قطاع .

فثمة ساعات للتعلم ، وثمة ساعات للعمل المنتج ، وثمة ساعات للتدريب العسكري ، تحسب وتنظم ، وتمارس فيها كل هذه المهام ، يوميا ، او اسبوعيا ، او شهريا ، او سنويا ، وفي خلال العمل ، او في ساعات الفراغ ، او خلال العطلات ، ولا يكون لهذا التنظيم المسبب لمزج

العلم بالعمل بالتدريب العسكري اي اضرار بمصلحة الانتاج او في أي واجب من الواجبات .

ويبدأ التدريب العسكري حتى في المدارس الابتدائية ، وبواسطة مشرفين اجتماعيين عسكريين ومدنيين ، ويكون اما في المدارس او في حدائق مخصصة لهذا الغرض ، وباسلحة من نوع العاب الاطفال .

ويجري مع التدريب العسكري تثقيف سياسي عسكري ، يوضح معنى ومفهوم العداوة ، وصفات واعمال العدو ، كما يوضح جرائم العدو ضد الشعوب الصديقة .

وبالنسبة للتعليم الثانوي فان اسلحة حربية حقيقية موضوعة تحت تصرف التلامذة ، يتمرنون بواسطتها على مختلف الواجبات العسكرية ، وتمارس في هذه المرحلة كذلك مهمة التثقيف السياسي ، وتشرح الاوضاع السياسية اليومية ، الداخلية والعالمية ، ويتعرف التلامذة من خلال ذلك على اعمال العدوان ، والاتجاهات السياسية المعادية للصين ، ولشعوب العالم الثائرة .

وبالنسبة للتعليم العالي ، فان التوجيه العسكري يكاد يكون نوعا من الممارسة الفعلية الكاملة للجندية مع التثقيف الايديولوجي الراقي .

وبالاضافة الى منظمات ((**الشيوعيون الحمر**)) و ((**الفتيات الثوريات**)) و ((**حراس الوطن**)) وغيرها من المنظمات التي تمارس الاعمال العسكرية المسلحة بشكل كامل ، وتمارس كذلك مهمة تمرين المستويات الادنى منها وعيا وتنظيما وعمرا ، فان هنالك نظام الكومونات الذي ساعد على تقسيم ساعات اليوم الى ساعات عمل ، وساعات تثقيف ، وساعات تمرين عسكري .

وتعتبر الكومونة الشعبية ، وحدة اقتصادية زراعيا وصناعيا ، وتجاريا ، ووحدة ثقافية مدرسيا وفنيا وادبيا وتوجيهيا ، كما تعتبر وحدة عسكرية بكل ما لهذه الكلمة من معنى . . .

ولقد قام الجيش بالتعاون مع اجهزة كل كومونة على تنفيذ مبدأ ((**الشعب المجند كله**)) تنفيذا عمليا ، فارسل المدربين ، وكامل الاسلحة الثقيلة والخفيفة ، وكذلك طائرات التمرين ، الى كل كومونة ، وجعل التمرين عليها احدى مهام كل كومونة .

ان الجيل الجديد في الصين ، يمارس الان اعمال وخبرات الجنود

تماما كما لو كان قد انهى دراساته وتمرىناته العسكرية بشكل نظامي داخل الثكنات .

ولا يستطيع حتى الجيش الصيني معرفة كم هو عدد القادرين على ممارسة اعمال المظليين فعليا ، لان هذا العمل تحول الى هواية ، بل الى رياضة يتقنها عدد لا حصر له من افراد الشعب شبانا وصبايا ..

أما كم هو عدد السباحين الماهرين ، وكم هو عدد الرماة المتفوقين ، وكم هو عدد قادة الدبابات والمدافع ، ومستعملي مختلف الاسلحة فذلك في نظري على الاقل ، ما يعجز حتى المسؤولون عن احصائه .

ان الشعب كله تقريبا يتقن كل شيء من اعمال الجندية ، وهـذا شيء عظيم ، وعظيم جدا لبلاد اخذت على نفسها عهدا بان ترعى حركتي التحرر الوطني ومساندة وحماية الاشتراكية في العالم فضلا عن مهمة مكافحة الاستعمار وحفر قبره الابدي ..

ولكن الاهم من هذا كله ، بالنظر لموضوعنا الخاص بالثورة الثقافية هو زوال الشعور الطبقي ، والتخصص الدفاعي وبرجوازية الجندي القادر على حماية الشعب ، وفي معزل عن مشاركة الشعب .

ان هذا الذي يتميز به الجيش العقائدي الاشتراكي ، هو خطوة عظمى في طريق المجتمع المتحرر من الطبقات ، ومن الشعور الطبقي .

وفي مجتمع مثل هذا ، ألا يحق للمواطن العادي ان ينظر الى اسهام الجندي في مختلف النشاطات المدنية نظرة التعاون المثمر ، والاخاء ووحدة الهدف ؟!

ان هذا هو حصاد مبدأ دمج العمل بالعلم بالجندية ، الذي نادى به الرئيس ما وتسي تونغ .

ولا نستطيع الزعم بأن هذا النداء قد نفذ كليا ، وانه ليست هنالك اعمال تخريبية للحيلولة دون جني ثمرات هذا المبدأ ، فنحن لو زعمنا هذا الزعم نفينا الاسباب الموجبة للثورة الثقافية التي شملت حتى الجيش ومنظماته ، ولكننا نكتفي بترديد قول الرئيس ماو تسي تونغ : قد تكون قدرة الانسان كبيرة او صغيرة ، ولكن ما دامت عنده هذه الروح فهو شخص نبيل وفي ، وذو خلق ومتخلص من الميول الدنيا ومفيد للشعب .

وهو كلام يهدف ترديدنا له هنا الى القول بان ثمة مخلصين ذوي قدرات متباينة يعملون ويؤثرون ، ولكنهم يواجهون بعض المصاعب ، وهي مصاعب لا سبيل الى تجنب التعرض لها ، ما دام صراع الطبقات ، والنضال من اجل تصفية الطبقات هو الطابع المميز لعصرنا الحالي .

العمال والفلاحــون

العمال والفلاحون فئتان تكونان الغالبية العظمى من كل شعب في العالم ، ولو انصفنا بالنسبة للواقع العددي لقلنا ، انهما الشعب كـل الشعب !

والعمال والفلاحون في المجتمعات الرأسمالية طبقتان من الطبقات الدنيا المحرومة ليس من حقوقها الطبيعية فحسب ، بل والمسلطـة على طبقاتها الداخلية في سبيل تأمين المصالح الرأسمالية وتدعيم الاستعمـار ضد الشعوب الاخرى .

انها في بلادها محرومة من الحرية بكل ما لهٰذه الكلمة من معنى ، ومحرومة حتى من حق تجاوز الطبقة لان الفرص المتكافئة لكل الشعب مفقودة ، ولان طبيعة التعليم البرجـوازي هي تحديد الاستفادة مـن الظروف المناسبة لتنمية المعرفة والخبرة وتأمين التطور .

ان المجتمعات الطبقية ، الرأسمالية الاستعمارية ، تمن على المعرفة العالمية ، بأخبار بعض اشخاص تجاوزوا طبقاتهم ، وبلغوا حتى مراتب القيادة العليا .

ان كلمة ((**بعض**)) لا تعني الانفتاح الكلي ولا اتاحة الفرص ((**للكل**)) ولا عبرة للشاذ أو للحوادث المحدودة العدد في وضع عام وقواعد اساسية تعتبر غالبية الشعب ضحيتها ..

والعبرة كل العبرة للمبدأ الذي يقوم عليه تنظيم المجتمع ، وما اذا كان يقوم على مبدأ الغاء الطبقات ام انه يدعم وجود الطبقات ؟!

واذا كنا لا ننكر وجود بعض التنازلات الرأسمالية الهادفة الى رفع المستوى المعاشي للعمال ، كما لا ننكر وجود بعض التنازلات الرأسمالية في سبيل الترفيه عن بعض العمال ، فانه يتوجب علينا ان لاننكر حقيقة ان الشعب كل الشعب يخضع في العالم الرأسمالي الطبقي الى طبيعة الانسان الآلي الذي أخذ العمل ، والخوف من البطالة والمرض كل تفكيره ، وحول حتى الرفاهية المعطاة له الى معطيات يتنازل عنها في بحران التفكير في الخوف أو التحرر من متاعب العمل . .

وما لم يأخذ ((**الحق**)) شكل القانون ، وتتاح فرص التمتع به لكل

الشعب بقوة النظام ، فان كل عطاءات الرأسمالي ، وتنظيمه المادي والثقافي لمصالح الاشخاص الذين يستثمرهم ، يظل نوعا من الرشوة الرخيصة التي لا تحول دون تصاعد النضال الطبقي نتيجة للشعور بالحرمان ، وبالفارق الاجتماعي ، وبكل ما يجعل العامل والفلاح اسيري العمل والطبقة المنتميين اليهما .

ان الشعور الطبقي عند العامل والفلاح ليس وليد الوعي الاجتماعي النامي فحسب ، وليس كذلك وليد الشعور باختلاف المستويات المعاشية فحسب وليس اخيرا وليد البحث عن مصير فائض القيمة الذي هو حق طبيعي للعامل والفلاح ، وانما الشعور الطبقي بالاضافة الى ذلك كله هو وليد التكوين النفسي الثوري الذي احدثه نظام الطبقات ، وحدد معالم الطبقة ، واقام الحواجز دون تجاوزها وبعبارة واضحة انه الثورة على الحواجز التي اصطنعها النظام الرأسمالي بين الطبقات .

ان العمل حق وواجب ، وقيمة العمل تكمن في حاجة المجتمع اليه وليس في ربحه ولا في نوعيته ، ويفقد العمل قيمته ومعناه الاجتماعي الانساني متى تحول الى أجر يقابل حق الحياة .. أي الى ثمن للحياة ..

هذا هو المصدر الاساسي للشعور الطبقي وللثورات الطبقية ..

وهذا هو العدو الاساسي للاشتراكية .

أن اعيش لاعمل ، مبدأ لا يستوي مع ان اعمل لاعيش ...

لان المبدأ الاول يجعل العمل خدمة اجتماعية لا يقابلها الخبز . بينما المبدأ الثاني يجعل الانسان اسير رب العمل ، ويحرمه حتى من ربح عمله .

وما ظل مبدأ « **اعمل لاعيش** » هو السائد فان مبدأ الرفاه النسبي ، وارتفاع مستوى المعيشة لعدد من العمال ، يظلان عملين لا يقبل عليهما العامل والفلاح بنفس رضية راضية .

ان يحمل الرأسمالي اليَّ كل وسائل التسلية في ظروف وساعات تحددها مصلحته ، وان يزيد اجري في ظروف وحالات تقدرها مصلحته ، كل ذلك لا ينفي انني مسروق ..

اما ان اشعر بان العمل الفني مصنوع من اجلي ، وخاضع لنقدي ومؤلف نتيجة لاندماجي الثقافي والمصلحي فيه ، ذلك هو الرفاه ..

والآلة التي اديرها ، والارض التي ازرعها ، كلتاهما اذا لم تنبتا لي الشعور بالملكية ، والسيطرة على الربح وحق تجنيد ذلك الربح في خدمات

تطور كل اخواني العمال والفلاحين والجنود والكسبة والمثقفين فان تكويني النفسي سيظل خاضعا للشعور بالحرمان .

ان الصراع الطبقي الذي تميز في عصرنا الحالي بظاهرة الثورية المسلحة هو حصيلة الشعور بتساوي الانسان مع الآلة ، وفقدان الشعور الانساني كليا ..

ان النظام الطبقي يسير الى نهايته لان قوة في الارض لا يمكن ان تقنع المسروق بحق اللص في امواله ، ولان الف قرش رشوة لا يمكن ان تلغي قرش دين واحد !!..

وبما ان العمال والفلاحين هم الكثرة الغالبة في كل مجتمع ، ولهذا كان من حق النظام الاشتراكي ان يسمي نفسه مجتمع العمال والفلاحين.

ولاقامة مجتمع عمالي فلاحي عادل لابد من دراسة طبيعة التكوين الطبقي وما احدثه من جراثيم طبقية حتى في الوسط العمالي والفلاحي..

ومتى تحرر كل عامل وفلاح من روح التبعية ، واحس بوجوده الانساني كمالك لكل وسائل الانتاج ولكل ما يتألف منه مفهوم الوطن ، واستطاع التحكم بكل نزعة نفسية وانتاجية وسيرها لصالح وحدة المجتمع غير الطبقي ، عندها يكون الانسان الجديد ، انسان الاشتراكية قد ولد ...

ان ولادة هذا الانسان الجديد هو غاية النظام الاشتراكي . اما كيف تتم عملية توليد المجتمع القديم وولادة المجتمع الجديد ، فذلك هو التطبيق الاشتراكي .

وتتعاظم مهمة هذا التوليد في مجتمع تعداد ابنائه ٧٠٠ مليون ، خضعوا جميعا وبنسبة ٩٧ في المئة للنظام الاقطاعي وشبه الرأسمالي وشبه المستعمر آلاف السنين ، ومن تعاظم مثل هذا النضال تبدو أهمية دراسة مثل هذه التجربة !

ولتوضيح معالم التجربة ، لابد من دراسة شاملة للثورات الصناعية ، والزراعية بداية من النضال الوطني ، فالنضال الديموقراطي ، فالنضال الاشتراكي ، مرورا بالثورات المحلية ، فالحرب ضد الاستعمار ، فالحرب ضد الاقطاع والرأسمالية ، فتأليف الشركات المشتركة ، فالتعاونيات الدنيا فالتعاونيات العليا ، فالكومون وهو ارقى واعلى درجات الانتقال نحو الاشتراكية في عصرنا الحديث ..

ولكن هل في وسعنا تلبية رغبة القارىء في مثل هذا الحديث ، وهل

يدخل مثل هذا الحديث في مهمتنا الهادفة الى شرح معالم الثورة الثقافية الحالية في الصين ؟!

ان كل ما نستطيعه ، او مايجب علينا تبيانه ليس الفارق بين العامل والفلاح في ظل البناء الاشتراكي وما سبقه من انظمة ، وانما تبيان ما احدثته الاشتراكية في ميدان خلق الانسان الجديد ، وتوليد المجتمع القديم لاستحداث المجتمع الجديد .

ان هدف الاشتراكية هو ازالة الفوارق بين القرية والمدينة ، ولتحقيق مثل هذا الهدف لابد من الشعور بخضوع الزراعة للصناعة والصناعة للزراعة وذلك باقامة تعاون وثيق بينهما كقطاعين متلازمين في عملية تبادل وسائل الانتاج والمواد الخامية .

فوضع الصناعة في خدمة الزراعة مبدأ رفعه الرئيس ماو تسي تونغ واتبعه بشرح يؤكد ان الزراعة اساس والصناعة متمم ، وهكذا فرض واجب التعاون بين القطاعين دون اي تمييز بينهما .

فالزراعة اساس لان الصين مجتمع زراعي ، والصناعة متمم لانه لابد للصناعة من ان تلعب دورها في تصنيع الزراعة .

ووحدة العمال والفلاحين كوحدة المحراث والارض ، ولهذا يجب ان تتجاوز المجتمعات الاشتراكية مرحلة الحلف العمالي الفلاحي ، وتدخل مرحلة وحدة الطرفين الكادحين .

وحين يتحقق هذا الهدف تذوب طبقتان كانتا تستثمران بعضهما في طبقة واحدة ، وبهذا الذوبان تتحقق منجزات التطور الاشتراكي .

ولكن كيف تذوب العمال والفلاحين في بعضهم ، والاولون يسكنون المدن ويديرون الصناعات الفنية ، والثانون يسكنون القرى ويفتقرون الى الخبرة الفنية للصناعات ..

ان المنهاج التثقيفي لدمج العمل بالعلم قد تولى ذلك .. وجاء نظام الكومونات الشعبية ليضع التجربة الاولى في العالم في خدمة الانتاج والتطوير ، واذا بالنتائج تعطي اعظم الثمرات ، واذا بالعامل يشعر بالقدرة على الزراعة ، وكذلك الفلاح يشعر بان الآلة ليست شيئا مخيفا كما كان النظام الطبقي يوحي الى الناس .

وكثيرون من الفلاحين الذين ارعبتهم النظرة الاولى لدوران دولاب المحرك في آلة من الآلات اصبحوا الان يصنعون ليس الدولاب وانماالمحرك نفسه ..

والذين كانوا ينظرون الى الحاصدات الالية نظرتهم الى الشيطان اصبحوا الان لا يصنعونها في معامل القرية فقط ، انما يرون ان الشيطان وحده هو الذي كان يحرمهم ويخيفهم منها ..

لقد تحولت الكومونات الشعبية الى مجتمعات صناعية زراعية ثقافية عسكرية متكاملة وشبه مستقلة .

فالجندي الذي كان يقول انه لا يتقن غير صناعة الموت اصبح يؤمن بأنه يتقن كذلك صناعة الحياة .. انه يعمل الى جانب الفلاح والعامل وينتج ما يصنع الحياة عمليا ..

كذلك الفلاح والعامل اللذان كانا يظنان انهما خلقا للارض او الآلة ، وكانا ينظران الى الاديب والفنان والمتعلم نظرتهما الى قوة الهية منقمصة في انسان لا يزاحم على مواهبه ، اصبحا يمارسان الكتابة والشعروالرقص والغناء والاوبرا وكذلك التعليم ..

وجميع هؤلاء الذين كانوا ينظرون الى السلاح كأداة لاخضاعهم للاقطاعي او الرأسمالي الوطني او المستعمر ، وكانا ينظران الى الجندي وكأنه سلطة تسندها القوى الالهية المتمثلة بالامبراطور الاله ، اصبحوا جميعا يستعملون السلاح ويعايشون هذا الجندي ويتعلمون منهويعلمونه.

ان انسانا جديدا ولد في ظل الكومونات الشعبية التي برهنت على انها أقصر الطرق الى تذويب الطبقات ، والى تطوير المجتمع ، والى خلق الحكم الشعبي الصحيح .

كان الامر الذي يصدر من الملاك او من امير الحرب ، قدرا سماويا لا سبيل الى مناقشته ، اما في ظل الكومونات الشعبية فان كل مهام صناعة الحكم تمارس في الكومونة ، وان كل فلاح ، او عامل ، اصبح يشعر انه هو الذي يخطط وظائف ومهام الدولة ..

شيء عظيم احدثته الكومونات الشعبية ..

ان عملية ولادة الجديد من القديم قد تمت ، وعملية تكوين الانسان الجديد قد بدأت ..

لقد اصبح من حق بل من واجب كل كومونة ان تؤسس لنفسها كل اجهزة الادارة والتشريع والحكم وان ترسل الى العاصمة نوابا يسهمون في رسم حتى سياسة البلاد العليا .. وحين يعود النواب الى الكومونة الشعبية يخضعون الى مناقشة الشعب العلنية ، وكثيرا ما يوجهون

اليهم اللوم على اساس انهم خدام لا حكام الشعب ، وعلى اساس انهم وكلاء الشعب لا متحكمون في امره ..

واصبح الفلاح والعامل يرى من واجبه ليس مضاعفة العمل فحسب، وليس تطوير نوعية الانتاج فحسب ، وانما التغلب على الطبيعة واعاقة كوارثها عن احداث أي ضرر في الانتاج ..

قامت السدود الصغيرة والكبيرة .. وانشئت خزانات الماء ، ونسفت جبال واقيمت طرقات ، ونظمت التجارة المحلية ، وتشكلت الشرطة الكومونية وكذلك جيش الكومون العسكري ، ومدارسه المهنيةوالنظرية ، وبدأت حتى ممارسة نقد الاجهزة العليا .

شيء عظيم حدث في تكوين المجتمع الصيني الذي كان قبل ١٧ عاما مجتمع الفوارق الطبقية وعبودية العمل وارباب العمل والاقطاع !!

ان كلمة جد عذبة تتعالى الان من افواه واقلام العديدين والعديدات من ابناء الكومونات ، الذين تحولوا الى مسؤولين وقياديين وعمال مهرة ونموذجيين ..

هذه الكلمة العذبة هي لقد كنت « **قنا** » وها أنا سيد بلادي اسهم حتى في توجيه الاقتصاد وخلق الثقافة وأمد يدي الى ما وراء حدودي لاشارك في تحرير الذين مازالوا اقنانا ..

أليست هذه الكلمة اعذب من تلك التي يقولها أي مسؤول في عالم رأسمالي ، وهي « **سأقتل اكبر عدد ممكن من ابناء الشعوب التي تقاوم استعماري** » ؟

هذا هو الفارق بين النظامين وهذا هو سر الصراع بينهما ..
ولكن كيف تحقق ذلك ؟

لقد تحقق بفضل التمسك بتعاليم الرئيس ما وتسي تونغ التي تقول :

العمل الشعبي الجسدي

« على ابناء الشعب كافة ان يجعلوا المصانع والكومونات الشعبية الريفية والمدارس ودوائر التجارة والخدمات العامة وهيئات الحزب والحكومة مدرسة ثورية كبرى مثل جيش التحرير .

ان على العامل ، الى جانب مزاولته الصناعة كجانب رئيسي من عمله ، ان يتعلم ايضا الشؤون العسكرية والسياسية والثقافية وكذلك

ان يقوم بحركة التثقيف الاشتراكي وينتقد البرجوازية وحيث تتوفر الشروط عليه ان يزاول كذلك الانتاج الزراعي والانتاج الاضافي كما تفعل حقول الزيت في واتشينغ مثلا .

وان على الفلاح في الكومونات ان يزاول الى جانب عمله الاساسي في الزراعة ، تعلم الشؤون العسكرية والسياسية والثقافية وحيث تتوفر الشروط يجب انشاء مصانع صغيرة من قبل الهيئة الجماعية وان يزاول انتقاد البرجوازية ايضا .

وعلى الطالب ان يتعلم اشياء اخرى الى جانب الدراسة كواجبه الاساسي ، أي ان لا يتعلم الثقافة فحسب ، بل ان يتعلم كذلك الصناعة والزراعة والشؤون العسكرية وان ينقد البرجوازية كذلك .

ويجب ان تقصر مدة الدراسة وان يقام بالثورة في التربية والتعليم ولا يصح ابدا ان تبقى تلك الحالة أي حالة فرض المثقفين البرجوازيين حكمهم على مدارسنا .

وان على العاملين في دوائر التجارة والخدمات العامة وفي هيئات الحزب والحكومة ان يفعلوا الشيء نفسه اذا توفرت الشروط في الدوائر وفي الهيئات التي يعملون فيها » .

ولقد علقت على ذلك جريدة جيش التحرير اليومية (١) آب ١٩٦٦ بما يلي :

وبالعمل وفق ما قاله الرفيق ماو تسي تونغ نستطيع تعجيل التصفير التدريجي للفوارق بين الصناعة والزراعة وبين المدينة والريف وبين العمل الجسماني والعمل الذهني ونستطيع تجنب التطور الشاذ للمدينة والصناعة ونستطيع تصيير المثقفين عاملين جسمانيين والعاملين الجسمانيين مثقفين ونستطيع اعداد مئات ملايين من الاشخاص الجدد الشيوعيين ذوي وعي سياسي عالي ومتطورين من جميع الوجوه .

وبالعمل وفق ما قاله الرفيق ماو تسي تونغ نستطيع جعل كل الشعب جيشا وتعزيز استعدادنا للحرب تعزيزا كبيرا . واذا تجرأت الامبريالية على الاعتداء علينا فانها ستغرق في خضم الحرب الشعبية .

وبالعمل وفق ما قاله الرفيق ماو تسي تونغ سيكون السبعمائة مليون من ابناء شعبنا كلهم ناقدين للعالم القديم وبناة للعالم الجديد ومدافعين عنه . وعندما يحملون المطرقة يكون في استطاعتهم مزاولة الصناعة وعندما يحملون المعزقة والمحراث يكون في استطاعتهم مزاولة الزراعة . وعندما يحملون البندقية يكون في استطاعتهم قتال العدو . وعندما يحملون القلم يكون في استطاعتهم كتابة المقالات .

مراحل المؤامرة في الادب والفن

عرفنا الخط الفاصل بين الادب الثوري والادب البرجوازي ، وعرفنا مهمة الادب والفن في ميادين البناء الاشتراكي ، وتأكد لنا من خلال تحليلنا للظروف الموضوعية للصين حاليا ، وهي ظروف بناء الاشتراكية أن الادب والفن لابد من أن يخدما هذا البناء بدعمهما للطبقة العاملة في نضالها للسيطرة على الحكم والقضاء على الطبقات السابقة المتحكمة ، وللصمود في وجوه ورثة تلك الطبقات الذين يشكلون الطرف المعادي في الصراع الطبقي . وكان حريا بقادة الادب والفن الذين يحتلون مراكز رئيسية في الحزب والاعمال التثقيفية والتربوية ان يلتزموا هذا الخط وان يرتفعوا بأدبهم الى هذا المستوى ، كيما يخدموا البناء الاشتراكي اولا وليكونوا نماذج لادباء الشعب من العمال والفلاحين والجنود والكسبة .

ولكن الذي حدث هو العكس تماما فخلال البضعة عشر عاما منذ تأسيس جمهورية الصين وجد في الدوائر الادبية والفنية خط اسود ضد الحزب والاشتراكية معاكس لافكار ماو تسي تونغ . وهذا الخط الاسود مزيج من افكار البرجوازيين والمحرفين المعاصرين حول الادب والفن ومن المسمى بأدب وفن الثلاثينات من هذا القرن . ووجهات نظرهم تتمثل في نظريات مثل ((**الكتابة الصادقة**)) و ((**الطريق الواسع الواقعية**)) و ((**تعميق الواقعية**)) و ((**معارضة الموضوع**)) وان مادةالموضوع هي العامل الحاسم و ((**اشخاص الوسط**)) ومعارضة ((**ما يفوح برائحة البارود**)) و ((**مزج روح العصر**)) . ومعظم هذه الافكار قد فندت منذ زمن بعيد في مؤلفة الرئيس ماو ((**أحاديث في ندوة الادب والفن بينان**)) . وفي الدوائر السينمائية أناس يدعون الى ((**نبذ الادبيات الكلاسيكيةوالتمرد على الادبيات المتزمتة**)) وبعبارة اخرى مبدأ ((**الادبيات الكلاسيكية للماركسية اللينينية وافكار ماو تسي تونغ والتمرد على الادبيات المتزمتة**)) للحرب الشعبية الثورية . وكنتيجة لتأثير وتحكم هذا التيار المعاكس في الادب والفن أي تيار البرجوازيين والمحرفين المعاصرين .

لا نجد من بين الاعمال الادبية والفنية بعد التحرير حول الحرب الشعبية وقوات الشعب المسلحة وحول الموضوعات العسكرية الاخرى

غير عدد قليل هو الجيد او الجيد بوجه عام الذي يمجد حقا الابطال الثوريين ويخدم العمال والفلاحين والجنود ويخدم الاشتراكية والكثير منها في حالة الوسط بينما البعض هو اعشاب سامة مناهضة للحزب والاشتراكية . والبعض من الاعمال يشوه الحقائق التاريخية مركزا في وصف الخطوط الخاطئة بدل الخطوط الصحيحة والبعض يصف اشخاصا ابطالا يهتكون النظام او يخلق أبطالا ثم يجعلهم يموتون في نهاية مؤسية مصطنعة . والبعض لا يكتب الاشخاص الابطال بل يكتب فقط أشخاص ((**الوسط**)) وهم في الحقيقة متأخرون تقبيحا لصورة العامل والفلاح والجندي وفي وصف العدو فلا يكشف طبيعة العدو الطبقية كمستغل ومضطهد للشعب بل يذهب لحد تجميله . كما نجد اعمالا اخرى لا تصف غير الحب والغرام والميول المبتذلة زاعمة بأن ((**الحب**)) و ((**الموت**)) هما موضوعان خالدان . ان هذه الاشياء كلها برجوازية تحريفية يجب معارضتها بحزم .

والذي كان يقود هذه الاتجاهات المعاكسة هو تشو يانغ الذي يعتبره الصينيون زعيم الخط الاسود ضد الحزب والاشتراكية ، واما فريقه فيتألف من المنحرفين المعادين للحزب والاشتراكية والعاملين في اوساط الادب والفن والتعليم امثال يتان خان ، وشيان يان ، ويانغ خان شنغ ، ولين موخان ، وشاو تشوان لين ، وونغ توه ولياد موشا ، وجميعهم يحتلون مراكز قيادية في الاوساط الادبية .

ولقد كانت خطة تشو يانغ متضمنة ما يلي :

١ ــ معارضة ابراز افكار ماو تسي تونغ في توجيه الادب والفن .

٢ ــ معارضة التزام الادب والفن خدمة العمال والفلاحين والجنود ووضع بديلا عنه شعار((**الادب والفن لكل الشعب**)) بحجة ان موضوع الخدمة الان ، بعد انتصار الثورة ، هو خدمة الشعب كله وجعل الادب والفن مقبولين من كل انواع الناس .

٣ ــ اقامة حاجز محكم ضد لجنة الحزب المركزية واعتبار لجنة الحزب في بلدية بكين مملكة مستقلة يحق لها ان تبت بكل الامور دون الرجوع الى اللجنة المركزية .

٤ ــ عارض خطة التعليم ومزج العلم بالعمل المنتج وحاول عرقلة سير هذه الخطة لمدة طويلة .

٥ ــ شوه مبدأ **((دع مئة زهرة تتفتح ومئة مدرسة فكرية تتنافس))** . وهو شعار يهدف الى التسابق في حدود الخط الرئيسي لادب وفن خدمة

الشعب والثورة والحزب ولقد جعله تشو يانغ يهدف الى الادب الذاتي البرجوازي والى صراع المذاهب الرأسمالية والبرجوازية والاقطاعية ، كما سمى قيادة الحزب للادب والفن جمودا عقائديا ، واحتكارا ايديولوجيا .

٦ ـ وانكر تشويانغ مبدأ الصراع الطبقي في طبيعة الادب ، ولم يعترف بان الانسان في المجتمع الطبقي يعيش كعضو في طبقة معينة ويفكر متأثرا بمصالح تلك الطبقة ، ودعا تشو يانغ الى ان تعبر الاعمال الادبية والفنية عن الطبيعة الانسانية وان لا تلتزم التعبير عن الطبيعة الطبقية ، ودعا الى ايجاد الانسان الحقيقي ذى الطبيعة الانسانية نسبيا . .

وحض على الكتابة للتعبير عن عقل الطفل البرىء والكتابة عن الانسان الحقيقي والقلوب الحقيقية واخاء الرجال ، كما روج لنظرية التفكير التصويري معارضا بها نظرية المعرفة ونظرية الانعكاس وداعيا للتجريدية في الادب والفن .

ونتيجة لذلك روج لنظرية كتابة الاشخاص الوسط معارضة الكتابة عن ابطال العمل والانجازات الاشتراكية التي يعتبرها البناء الاشتراكي اساسا لنشاطاته الفكرية والمادية في حقول الادب والفن والعمل والجندية

وحض تشو يانغ على كتابة « **العيوب الخلقية** » للفلاحين والعمال والجنود وافراد الحزب .

وقال تشو يانغ ان بين ممثلي الاقطاع والبرجوازية كثيرين اصحاب مواهب واخلاق سامية يمكن ابرازهم في الادب والفن .

وصور تشو يانغ مبدأ دراسة التحولات الاشتراكية بواسطة العمل المنتج مع العمال والفلاحين ومشاركتهم افراح الانتصارات ومصاعب التغلب على الكوارث واستنباط ابطال من معارك العمل ، صور ذلك بالمواضيع الضيقة ودعا الى نظرية المواضيع الواسعة ، والى ان يكون للاديب والفنان ((**الحرية التامة**)) في اختيار المواضيع ، متناسيا بذلك مرحلة البناء الاشتراكي ، وكاشفا عن طبيعة التعبير عن الالتزام الطبقي الذي يدين به .

٧ ـ لقد كان تشو يانغ يغلف دعواته هذه بستائر استثارة الاعجاب والارتفاع بمستوى الذوق ، وسمى الانتاج الادبي والفني الذي يدعو اليه ((**اللاضار**)) .

٨ ـ عارض تشو يانغ رقابة وتوجيه الحزب للادب والفن ، واعتقد

بان العلاقات بين الادب والفن والسياسة يجب ان تكون علاقة ((**تقـديم الطلب للحصول على البضاعة**)) وبذلك نفى كون الادب اندفاعات وجدانية ناتجة عن التزام الخط السياسي العام ، وبطولات الانجازات العمالية ، وجعل الاديب والفنان بيروقراطيين لا يكتبان الا اذا طلب اليهما ذلك ، او يكتبان ما يروق لهما ، ثم يكتبان ما يطلب اليهما كتابته ((**وفق الطلب**)) وأكد على هذه النظرية بقوله : ان العمل بدون مضمون سياسي يمكن ايضا ان يخدم السياسات .. ولـذا يجب ان لا يلتزم الاديب ويجب ان يعطى حتى حرية قبول او رفض ما يطلب الحزب او المنظمات الحزبيـة والعمالية كتابته ..

٩ ــ وفي حمأة هذه الدعوات ، القى بمبدأ ((**تمجيد أدب الاجداد**)) و ((**تمجيد ادب الغرب وكل آداب ما وراء الحدود**)) غير مهمل الاشادة بأدب البرجوازية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وضرب مثلا قصة روميو وجولييت ، واثيلو والملك لير ، ولانرافياتا ، وغيرها .

١٠ ــ وقال تشو يانغ ان استغلال التراث له تأثـيره في الشعور الوطني الشعبي ، ولذا دعا الى احياء المسرحيات التقليـــدية والاوبرا التقليدية متناسيا مافيها من تمجيد للنظام الامبراطوري ولصراع الالهة مع الشياطين ، واسلطان الاقطاع والرأسمال على الالهة ، وغير ذلك مما لا ينسجم ليس مع الخط الاشتراكي فحسب بل لا ينسجم حتى مع الذوق الثقافي الحديث .

ودعا تشو يانغ الى وراثة القيم الاخلاقية القديمة متناسيا قـول الرئيس ماو تسي تونغ عام ١٩٤٤ بان التاريخ هو من صنع الشعـب واما المسرح القديم فقد اظهر الشعب في مظهر الاوغاد .. وبالنسبة للثقافة الاجنبية فمن الخطأ ان نغلق دونها الابواب بل ينبغي علينا بقدر المستطاع الاستفادة من الثقافة الاجنبية التقدمية في تطوير ثقافة جديدة للصين ، كما انه من الخطأ نقلها بعمى بل ينبغي علينا الاستفادة منها بصــورة انتقادية على اساس الاحتياجات الحقيقية للشعب الصيني ، وكذلـك الحال بالنسبة للثقافة الصينية القديمة لا ينبغي ان ترفض كليا ولاينبغي ان تقبل بعمى بل يجب قبولها بالتمييز حتى تساعد في تقدم الثقـافة الجديدة للصين .

١١ ــ قاوم تشو يانغ مبدأ النقد للادب والفن وفق النظم البروليتارية الموضوعة له ، والهادفة الى تنمية الايديولوجية على مستوى كل الشعب، ولقد تناسى تشو يانغ عن عمد مبدأ ((**ليس هناك بناء بدون هدم ولا جريان**

بدون سد ، ولا حركة بدون سكون » الذي اعلنه الرئيس ماو ، وقال تشو يانغ في صدد النقد الادبي واستغلاله في معركة تعميق الايديولوجية في اوساط الشعب « **هنالك مواضيع مفيدة ومواضيع غير ضارة** » ولذا لابد في نظره من حماية « **الثقاة** » المبرزين اصحاب « **الشهرة** » من موجة النقد التي عمت كافة القطاعات العمالية والفلاحية والعسكرية والثقافية .

١٢ ــ وحول خضوع الادب والفن للسياسة التي لخص الرئيس ماو تسي تونغ جذورها وحقيقة وجودها حتى في المجتمع الرأسمالي والطبقي بقوله : ان لكل طبقة في المجتمعات الطبقية مقياسها السياسي والفني الخاص ، ولكن جميع الطبقات في كافة المجتمعات الطبقية تضع مقياسها السياسي في المكان الاول ثم المقياس الفني في المكان الثاني .

ولقد اعلن تشو يانغ مبدأ « **لا يمكن ان تضع السياسة في المكان الاول الا اذا كان الفن جيدا** » ..

١٣ ــ وفي مجالات الصراع الطبقي ، وهل يجب استمراره بعد نجاح الثورة الاشتراكية في الصين أم لا ، فقد اظهر تشو يانغ رأيا مناقضا يكفي وحده لأتهامه بمحاولة تقويض اسس النظام القائم والدعوة الى النظام الرأسمالي الاقطاعي السابق .

لقد قال تشو يانغ ان الطبقة والصراع الطبقي لم يبقيا ابدا في صفوفنا في الادب والفن وان الصراع الطبقي قد اخمد الى الابد .

ان شر هذه الدعوة لا يقتصر على حث الادباء والفنانين على التخلي عن مهمة المشاركة في الصراع الطبقي الهادف لبناء مجتمع الصين الجديد وانما يتجاوزه الى عزل الادباء عن الشعب من جهة ، والى تكوين ادباء برجوازيين يعملون على تسميم اتجاهات الشعب الذي هو القارىء الاساسي للادب والمتذوق الاساسي للفن ، والذي بدونه لا معنى للادب ولا للفن ..

ولعلها جرأة فعلا من تشو يانغ حين يتحدى اسسا نظرية مقررة بالنسبة لمجتمعه والمبدأ الذي يدعى اعتناقه وهذه الاسس هي التي وضعها الرئيس ماو تسي تونغ عام ١٩٥٧ في مقاله « حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين الشعب » والتي اشار فيها الى ان التحويل الاشتراكي في الصين قد انجز اساسا من ناحية نظام الملكية . بيد أن الصراعات الطبقية الجماهيرية بشكل عاصف على نطاق واسع خاصة في الفترات الثورية في المجال الرئيسي قد انتهت ايضا . بيد ان بقايا

طبقات ملاك الاراضي والكومبرادوريين مازالت قائمة وان الطبقة البرجوازية تظل موجودة وان البرجوازية الصغيرة تبدأ فقط فورا في تصليب نفسها . وان الصراع الطبقي لم ينته وان الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية والصراع الطبقي بين القوى السياسية المختلفة والصراع الطبقي في المجال الايديولوجي بين البروليتاريا والبرجوازية سيظل موجودا لمدة طويلة ومتعرجا وفي بعض الاحيان قد يكون حادا للغاية . وان البروليتاريا تسعى الى تحويل العالم وفقا لنظرتها العالمية وكذلك فان البرجوازية تفعل بالمثل . اما مسألة من الذي سينتصر في هذا المجال أهي الاشتراكية ام الرأسمالية فلم تسو تسوية حقيقية بعد .

١٤ ــ ولعل تجاوز تشو يانغ ساحة العمل الفكري الى ساحة التجميع والتكتيل الفكريين المناقضين للمبادىء والخطط العامة لمهام الادب والفن الاشتراكيين اذا دل على شيء فانه حتما يدل على التآمر ، والنوايا التآمرية الهادفة الى تأسيس نواة انقلابية خبيثة ، فجمع نفايات المجتمع اليميني والخونة والمرتدين وادباء البرجوازية الرجعيين وبقايا الماضي وسلطهم على الادب والفن كزمرة ((**الثقاة الاخصائيين اصحاب الشهرة**)) .

كما استخدم النخر الايديولوجي والتحويل السلمي عبثا في محاولة لجعل صفوف العاملين الثوريين في الادب والفن يغيرون لونهم .

وانه عارض دراسة مؤلفات الرئيس ماو تسي تونغ وتباهى بان العاملين في الادب والفن يكرسون وقتا كبيرا جدا لدراسة المؤلفات التي كتبها مؤلفون اجانب في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر ((**حتى المؤلفات الرجعية**)) .

وقاوم تشو يانغ التعميق الى الحياة والاصلاح الفكري ودعا تشو يانغ الناس بان يغلقوا انفسهم في دراستهم و ((**ينهمكوا في تطور مهارتهم**)) في عزلة .

١٥ ــ وفي سبيل استثارة عطف الكتاب والفنانين عليه ، وجذبهم اليه ، طالب بأجور اضافية تعطي لكل منهم علاوة على اجورهم الشهرية التي يتقاضونها لقاء تفرغهم للعمل الادبي والفني ..

ومن خبث دعوته هذه انه مزجها مع الدعوة الى حرية استجابة او عدم استجابة الاديب والفنان ((**لطلب**)) الانتاج الثقافي الملتزم للسياسة

مزجها بالدعوة الى المرتفعات الثلاثة وهي الرواتب العليـا ـ الاتاوات العليا ـ والمكافآت العليا .

وفي سبيل مزيد من الاغراء ومزيد من الشعبية الذاتية على حساب المبدأ العام دعا تشو يانغ الى المبادىء الثلاثة المعروفة باسمه وهي « **ان يبذل الشبان كل جهودهم ليكونوا** » :

١ ـ كتابا مشهورين .
٢ ـ مخرجين مشهورين
٣ ـ ممثلين مشهورين .

وهكذا جعل الربح والشهرة اساسا لكل عمل ثقافي .. تماما كما هو الاساس البرجوازي والرأسمالي ..

لقد نسي تشو يانغ عن عمد ان النظام الاشتراكي يقوم على الحركات الثورية الثلاث الكبرى وهي :

١ ـ الصراع الطبقي .
٢ ـ النضال في سبيل الانتاج والتجربة العلمية .
٣ ـ النضال الناري للعمال والفلاحين والجنود .

أما الشهرة والمال فهما غايتان من شأنهما جعل الفكر تحت الطلـب أي في خدمة من يدفع ويستطيع الدعاية الاوسع ..

١٦ ـ وفي سبيل الحد من سلطان الحزب ، عمل تشو يانغ على اقصاء الحزب عن حق توجيهه ونقده للاداب والفنون وللادباءوالفنانين . متناسيا دور الحزب في بناء المجتمع الاشتراكي .

لقد لجأ تشو يانغ الى خدعة « التخصص » وزعم ان الحزبلايستطيع ممارسة النقد ولا التوجيه لانه غير متخصص في شؤون الفن والادب ، وما تدري كيف تكونت هذه الفكرة في رأس تشو يانغ وهو يعلم ان افراد الحزب هم الطليعة المختارة الممثلة لكل فئات العمل في الشعب ، وفئات الادباء والفنانين في جملتها ، وان وجوده هو في مراكزه الثقافية والحزبية دليل على واقعية ذلك ؟!

ثم ألا يعرف تشو يانغ كيف تتكون ثقافة ومعلومات الرجل الحزبي؟! وبدون ان ينكر طبيعة تكوين النظرية الماركسية الشاملة للادب والفن والفلسفة والعلم والعمل والجندية لا يستطيع ان ينكر كفاءات الحـزب والحزبيين في مختلف الميادين .

ولكن استعمال « **التخصص** » كان خديعة كبرى ، لجأ اليها تشو يانغ

للاعتداء على واجبات الحزب ودوره التوجيهي في مرحلة بناء المجتمع الاشتراكي والصراع الطبقي .

وحين نادى تشو يانغ بأن قيادة الحزب في الادب والفن سلمت الى الخبراء في داخل الحزب وخارجه والى القيادة المشتركة مع الشخصيات في خارج الحزب ((**عن طريق المجتمع**)) وعن طريق لجنة الفنون ، فقد كان يريد ان يحرض العاملين في الادب والفن على ان لا يتبعوا اوامر الحزب .

ولم يكتف بهذا وانما استثمر شعار الرئيس ماو تسي تونغ حول ((**الانفتاح الواسع**)) وراح يدعو الى انفتاح الحزب والسماح لكل الاتجاهات والاجتهادات حتى المعادية للاشتراكية بالاعراب عن آرائها وان يكون الشعب هو الحكم فيمن هو المحق ، ومن الذي على صواب ؟!

ولقد اجابت جريدة الشعب اليومية في بكين يوم ٤ حزيران ١٩٦٦ بمقال رئيسي على هذه الدعوة فقالت :

وتتحدثون بطلاقة أيها السادة ((**الثقاة**)) البرجوازيون عن ((**الحرية**)) وتركزون كثيرا على سياسة ((**الانفتاح الواسع**)) في محاولة مبيتة قذرة لتشويه سياسة الحزب هذه وطمس مضمونها الطبقي . ان ((**انفتاحكم الواسع**)) يهدف الى تلبية حاجات طبقتكم وتحقيق الليبرالية البرجوازية. انها تعارض قيادة الحزب وديكتاتورية البروليتاريا وافكار ماو تسي تونغ .

((أليس ((الانفتاح الواسع)) من سياسة الحزب لقد طرح هذه الحجة السادة ((الثقاة)) البرجوازيون . نعم نحن نؤيد بحزم سياسة الانفتاح الواسع . فقد قال الرئيس ماو .. ((نختار سياسة الانفتاح الواسع لانها السياسة التي ستساعد على توطيد بلدنا وتطوير ثقافتنا)). وقال ايضا : يعني ((الانفتاح الواسع)) السماح لجميع الناس بالاعراب عن ارائهم بحرية حتى يجرؤوا على الكلام والانتقاد والنقاش)) .

وفي بحث هذه المسألة اوضح الرئيس ماو بشكل خاص انه : **((لايزال علينا خوض نضال طويل الامد ضد الايديولوجية البرجوازية والبرجوازية الصغيرة . ومن الخطأ عدم فهم هذا والتخلي عن النضال الايديولوجي . ويجب اخضاع جميع الافكار الخاطئة وجميع الاعشاب السامة والوحوش والشياطين والاشياء المنحطة للنقد ويجب ان لا يسمح بالانتشار دونما وازع بأي ظرف من الظروف)) .**

وسياستنا في الانفتاح الواسع سياسة طبقية بروليتارية حازمة وتتميز بمقاييس سياسية بروليتارية . بيد ان ((**انفتاحكم الواسع**)) المزعوم يشجع البرجوازية وحدها وليس البروليتاريا . انكم تسمحون فقط لمثل هؤلاء ((**الثقاة**)) و ((**الاخصائيين**)) و ((**العلماء**)) البرجوازيين مثلكم بنشر السموم دون السماح لجماهير العمال والفلاحين والجنود والكوادر الثورية والمثقفين الثوريين في الرد عليهم . وبكلمة مختصرة انكم تقاومون فعلا الحزب والاشتراكية بحجة ((**الانفتاح الواسع**)) .

لقد كانت جريدة الشعب اليومية على حق في هذا الجواب ، لان العصابة لا ترفع علم الحرية في الادب والفن لمجرد الحرية حتى بمفهومها البرجوازي ، وانما ترفعه لتفسح المجال لسمومها كيما تتسرب الى الشعب .

ولقد وضح ذلك ليس فقط فيما طالبت به من حرية بل بما عاملت به انتاج العمال والفلاحين والادب والفن الثوريين ، اذ كانت تسمى كل ذلك ((**مادية مبتذلة ـ مبسطة جدا ـ عملية ـ مثالية**)) ثم تلقي به الى سلة المهملات ... بينما كانوا هم يتبارون في تبادل المدائح وفي التغطية على اخطائهم بتلك المدائح ..

والمفرح ان الشعب الصيني لم يقف مكتوف الايدي امام هذه المؤامرات بل المفرح اكثر ان العمال والفلاحين هم الذين كشفوا هذه المؤامرات فقد نشر لربينغ سلسلة من المقالات بعناوين مختلفة كان احدها بعنوان « وصفة طبية » تحدث فيها عن مرض النسيان الذي كثيرا ما يصيب الزعماء الكبار والقادة العظماء ، او البارزين واقترح للشفاء من هذا المرض ان تصب على رأس المريض كمية من دماء الكلاب ، وزعم ان هذه وصفة من الطب الصيني التقليدي ، ثم قال واذا لم تشف هذه الوصفة المريض اذن لابد من اللجوء الى ((**الطب الغربي**)) واستعمال وصفته التي تقول بضرب رأس المريض بعصا غليظة حتى يموت او يشفى من مرضه ..

هل في هذا شيء من الطب ، وهل هذا هو باطن الدعوة الى ((**الاخاء**)) والى ((**الانسانية**)) التي رفع لواءها افراد هذه العصابة ؟!

مرة ثانية كيف بدأ كل هذا ؟

لقد بدأ كل هذا من القاعدة ، من جماهير العمال والفلاحين والطلاب الذين كانوا ينتقدون المقالات المنشورة والكتب المطبوعة والافلام والمسرحيات

المخرجة وكذلك الخطب والتوجيهات ، وكانوا يلقون على انتقاداتهم هذه اما الاهمال او اللوم ، الامر الذي كان يحرضهم على متابعة شكاواهم ورفعها الى لجنة الحزب في بلدية بكين ، ولكن حتى في هذه اللجنة كانوا يلقون نفس المصير ، لان الحفنة سيطرت عليها ، وتمكنت من حبس كل الشكاوى ومنعها من التسلل الى بقية الاعضاء ، او الى اعضاء اللجنة المركزية .

وفي الحادي عشر من شهر مايو شباط ١٩٦٦ انفجرت جميع الصحف الصينية بمقال موحد انتقدت فيه مقالا حول ((**قرية العائلات الثلاث**)) وفضحت الطبيعة الرجعية ((**لاحاديث السمر في يانشان**)) و ((**خواطر من قرية العائلات الثلاث**)) وكان كاتب المقال ((**ياو ون يوان**)) قد نشر مقاله هذا في صحيفتي ((**التحرير اليومية**)) و ((**نهويباو**)) الصادرتين في شنغهاي ، وكشف عن طغمة كل من ونغ توه ولياو موشا وو وخان وكان ذلك بداية للحملة الشعبية العلنية على هذه الطغمة ، وكذلك بداية لعملية التطهير .

النقد الذاتي

ولقد سبق هذا النقد العلني بواسطة الصحافة ، نقد علني تزعمه الرئيس ماو تسي تونغ بالذات وذلك خلال اجتماعات الحزب ، فادركت هذه الطغمة ان الوضع غير مناسب لها للاستمرار في مؤامرتها فعمدت في شهر نيسان ١٩٦٦ الى خدعة النقد الذاتي الكاذب بواسطة جريدة ((**بكين اليومية**)) ومجلة ((**الجبهة الامامية**)) وقدمت ماسمته نقدالاحاديث السمر في يانشان وخواطر من قرية العائلات الثلاث وذلك في سلسلة من المقالات كتبها افراد الطغمة نفسها .

وكانت غايتها من هذا النقد الذاتي استبعاد غضب الجماهير ، والخلود الى الراحة في ظل رضا القادة عن هذا النقد الذاتي ، بانتظار فرص اكثر ملاءمة لتجديد العزيمة واستئناف التآمر .

قصة خان اللصوص

ولكن مقال ياو ون يوان في جرائد شنغهاي فضح بشكل منتظم القصة الداخلية ((**لخان اللصوص**)) التي كتبها افراد هذه الطغمة ، وكشف عن كيفية ظهور احاديث السمر في يانشان ، وخواطر من قرية العائلات الثلاث ، كما فضح مناورات التراجع ، واهداف المؤامرة منذ بدايتها حتى

انكشافها . وبذلك حطم خديعة النقد الذاتي ووضع القضية في قبضة الشعب ، وكان المحرك الرئيسي للحركة الجماهيرية للثورة الثقافية وعملية التطهير .

تسلسل التآمر

وكي نعطي القارىء صورة واضحة عن تسلسل التآمر في حقل الادب والفن بواسطة هذه الطغمة نضع تلخيصا لما جاء في مقال ياو ون يوان الذي نشرته جميع صحف الصين بعد نشره في صحف شنغهاي .

« كيف ظهرت « **احاديث السمر في يانشان** » التي ضمت اكثر من مائة وخمسين مقالا كتبها دنغ توه وحده و « **خواطر من قرية العائلات الثلاث** » التي كتبها دنغ توه بالاشتراك مع لياو مو شا و وو خان ؟

لقد بدأت هذه المقالات بالظهور في اعقاب «**طرد هاي روى من منصبه**» وقد وجهت هجوما رئيسيا متعمدا مرسوما منظما على الحزب والاشتراكية اوحت به « **قرية العائلات الثلاث** » بالتفصيل .

وفي يناير عام ١٩٦١ انتج وو خان مسرحية اوبرا بكين « **طرد هاي روى من منصبه** » التي زورت التاريخ حول طرد احد المسئولين في عهد اسرة مينغ قبل اربعمائة سنة وذلك في محاولة لالغاء القرارات الصحيحة حول الانتهازيين اليمينيين داخل الحزب الذي طردوا من مناصبهم في عام ١٩٥٩ بسبب نشاطاتهم المعادية للحزب والاشتراكية ولمساندة جهودهم من اجل العودة واعادة الرأسمالية . وفي اعقاب نشر قصة « **طرد هاي روى من منصبه** » التي اثارت هبة من الرياح السموم ظهر لياو مو شا على المسرح وكتب على الفور مقالات تشجيعا لوو خان . وفور ذلك طلع الجنرال القائد دنغ توه على المسرح وظهرت « **احاديث السمر في يانشان** » الى العلن . وفي اكتوبر عام ١٩٦١ عندما شددت الطبقات الرجعية في الداخل والخارج هجماتها افرد دنغ توه علنا باب « **قرية العائلات الثلاث**» في مجلة يحررها نفسه « **الجبهة الامامية** » التي نشرت « **خواطر من قرية العائلات الثلاث** » الرجعية . ومنذ ذلك الوقت حولت طغمة « **قرية العائلات الثلاث** » مصنعها السري الى شركة مساهمة علنية وركزت نار الشركاء الثلاثة على الحزب .

وخلال الفترة الواقعة بين شهري مارس ويونيو او يوليو من عام ١٩٦١ عقب ظهور « **احاديث السمر في يانشان** » الى العلن مباشرة طرح

دنغ توه شعار مرحبا ((**بالعلماء المتنوعي المعرفة**)) من هم هؤلاء العلماء المتنوعو المعرفة ؟!

لقد ذكر دنغ توه بانهم اولئك العلماء الذين هم على حظ وافر من المعرفة ويعرفون مجموعة نتف من كل شيء . وقال : ويمكن تقريبا تصنيف كل العلماء البارزين في سالف الازمنة كعلماء متنوعي المعرفة . واضاف محذرا الحزب بانه ستحدث خسارة كبيرة اذا لم يتم تقدير الاهمية الكبرى للمعارف الواسعة لدى العلماء المتنوعي المعرفة بالنسبة لكافة انواع العمل القيادي وعمل الابحاث العلمية .

واشار مقال ياو ون يوان ، ومن كلمات دنغ توه هذه يتضح تماما ان العلماء المتنوعي المعرفة ليسوا غير العناصر الضالةمن طبقتيالبرجوازية وملاكي الاراضي ومثقفي هاتين الطبقتين وحفنة من الشخصيات ذات الماضي السياسي الغامض وكذلك الرجعيون من امثال علماء طبقتي ملاكي الاراضي والبرجوازية .

ومضى المقال قائلا : ان مطالبة دنغ توه منا بأن نعترف بالاهمية الكبرى للعلماء المتنوعي المعرفة بالنسبة للعمل القيادي كان في الواقع مطالبة بان يفتح الحزب الباب لاولئك العلماء المتنوعي المعرفة الذين سلكوا الطريق الرأسمالي ويسمح لهم بقيادة كافة انواع العمل القيادي وعمل البحث العلمي وبكلمة اخرى الميادين الاكاديمية والايديولوجية وذلك لتحضير الرأي العام لاعادة الرأسمالية . وكتب يا ون يوان يقول : وفي ذلك الوقت كانت بعض العناصر البرجوازية تحث القيادة بحماس لتحترم معرفتهم الواسعة في كيفية القيام بالاستغلال الرأسمالي وقد ارادوا استخدام معرفتهم هذه لتغيير المؤسسات الاشتراكية الى مؤسسات رأسمالية .

وبعد ذلك طالب دنغ توه في مقال له بأنه ينبغي توجيه كل شيءبنشاط لتسهيل تطوره بيسر وسهولة . وقال المقال ان هذا يعني بأنه ينبغيعلينا تسهيل التطور بيسر لكل شيء بما في ذلك الاشياء المعادية للاشتراكية أفلم يكن دنغ توه يطالب بوضوح بانه ينبغي علينا معارضة الليبرالية البرجوازية وان نركع ونستسلم للرياح السموم التي كانت تهب في تلك الاونة ، رياح فليمض كل في طريقه أي اعادة الاقتصاد الفردي ؟

وخلال هذه الفترة افترى كذلك دنغ توه على الخط العام لبناء الاشتراكية والقفزة الكبرى الى الامام على انهما لا يقدران طاقة العمل .

وادعى بان الطبقات الحاكمة في الازمنة القديمة اكتشفت قوانين موضوعية معينة تضبط زيادة نقصان طاقة العمل وطالب بانه ينبغي علينا ان نستخلص تنويرا جديدا من تجربة القدماء وان نهتم بان نعمل اكثر بكل الميادين لتقدير طاقة عملنا .

وقال المقال ان هذا بمثابة المطالبة بضرورة نبذ الخط العام وسياسة الاعتماد على النفس الثورية وبدلا من ذلك ينبغي استخدام تجربة طبقة ملاكي الاراضي كحكام لتقويض ديكتاتورية البروليتاريا .

● ففي شهري حزيران وتموز من عام ١٩٦١ كانت القوى الرجعية المحلية والانتهازيون اليمينيون المطرودون من مناصبهم الذين لا يرضون بفشلهم ، يحاولون على نحو أشد من أي وقت مضى لالغاء القرارات السابقة .

وفي هذه اللحظة بالذات اطلق الاخوة في قرية العائلات الثلاث سهاما مسمومة كثيفة نحو لجنة الحزب المركزية تأييدا للانتهازيين اليمينيين .

● وفجأة ذكروا على وجه الخصوص في مقال كتب تمويها في ذكرى يوكيان احد المسئولين في اسرة مينغ الذي كان قد طرد من منصبه ذكروا انه قد اعيد اليه اعتباره وان اعداء يوكيان السياسيين قد فشلوا الواحد تلو الاخر وانه فضلا عن ذلك قد عين وزيرا للحربية وزيرا للدفاع الوطني . ومرة أخرى ذكروا قضية تشن جبانغ ووانغ كنع من أسرة سونغ التي وصفوها بأنها قد جرى تضخيمها وتعقيدها ليعنوا بذلك ان الانتهازيين اليمينيين قد عوملوا معاملة غير عادلة .

● وفي هذه الفترة خرجت قرية العائلات **الثلاث بمقال مناهض** للشيوعية يتميز بحقد بالغ جاء تحت عنوان معالجة خاصة لمرض النسيان وتهجم هذا المقال على قادة الحزب بانهم يعانون من مرض النسيان واقترحوا ضرب المرضى على رؤوسهم بعصا خاصة لتسبب حالة هزة وكتب ياوون يوان يقول : أنهم لم يكونوا يستخدمون فقط نفس لغة الانتهازيين اليمينيين تماما للافتراء على لجنة الحزب المركزية التي يمقتونها بل وكانوا يريدون في الواقع القضاء على المكافحين الثوريين البروليتاريين بضربة واحدة . وقال ان هذا المقال كان كشفا شديدا لحقدهم الطبقي العميق للحزب وهجوما على حزبنا شن تماما من موقف ملاكي الاراضي والفلاحين الاغنياء والمعادين للثورة والعناصر السيئة واليمينيين .

● وخلال الفترة من شهر اغسطس عام ١٩٦١ عندما ظهرت خواطر

من قرية العائلات الثلاث على المسرح وحتى شهر مارس عام ١٩٦٢ عندما اجتمعت الدورة الثالثة للمجلس الوطني الثامن لنواب الشعب كان هجوم قرية العائلات الثلاث في اقصى حدته . فأولا عزز الامبرياليون والرجعيون وكل اعدائنا في الخارج خلال هذه الفترة جوقتهم المعادية للصين التي كانت شديدة الضجيج لحين من الوقت ، فاستفادت الطبقات الرجعية في الصين وعملاؤها السياسيون الذين يستهدفون العودة للسلطة من كوارث الطبيعة الخطيرة التي شهدت خلال السنوات الثلاث المتوالية لشن هجوم شامل اعنف في الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية في محاولة فاشلة للاطاحة بقيادة الحزب وديكتاتورية البروليتاريا في نفس الوقت الذي كان يجري فيه تطبيق سياسة تعديل وتوطيد وملء ورفع المستوّيات . وكان تقدير تنغ تو للوضع في هذه الفترة « ... سيبدأ الذوبان حالا في هذه الارض .

● وبهذا التقدير للوضع شنت قرية العائلات حملتها الشاملة الوحشية مهاجمة بحقد بالغ افكار ماوتس تونغ . والمثال النموذجي على هذا مقال ((كلام فارغ كبير)) الذي كتبه دنغ تو ونشر في خواطر من قرية العائلات الثلاث في شهر تشرين اول عام ١٩٦١ . ولدى نقده ظاهريا لقصيدة طفل ندد في هذا المقال على نحو غير مباشر بعبارة ان الرياح الشرقية جالبة الخير لنا والرياح الغربية عدوتنا ، على انها كلام فارغ و رطانة وكليشيهات ومباهاة . ان هذا لتنديد بالموضوعية العلمية الماركسية اللينية القائلة بان الرياح الشرقية تتغلب على الرياح الغربية .

وتساءل مقال ياوون يوان : ماذا كان هدف دنغ تو ؟ واجاب يقول : لقد كان الهدف هو الافتراء على الافكار العظيمة لماوتسي تونغ في حياتنا السياسية على انها كلام فارغ وحملنا على نبذ افكار ماوتسي تونغ في حياتنا السياسية ونبذ الخط الماركسي اللينيني . وقد ذهب الى حد المطالبة بغطرسة بأنه ينبغي على حزبنا ان يقول أقل ويخلد الى الراحة عندما يحين وقت الكلام .

فمضى المقال يقول : « فاذا اهملت افكار ماوتسي تونغ أفلا يصبح من الممكن ان تنتشر الافكار المنحرفة ؟ ان هذا التنديد اليائس بأفكار ماوتسي تونغ لا يمكن ان ينال منها ابدا . وعلى النقيض من ذلك فقد أظهر بوضوح اكثر ان افكار ماوتسي تونغ هي سلاح ايديولوجي ذو قوة ثورية لا حد لها يجعل كافة الوحوش ترتعد من الخوف !

١٣ ــ وأوضح المقال انه قد جرى كل شيء في احاديث السمر في

يانشان وخواطر من قرية العائلات الثلاث لنشر الافكار الرأسمالية والتحريفية ولدفع التحول السلمي . وقد تحدثوا في المقالات حول الشعر الطويل للنساء ونشروا آراءهم في الانسانية بأن كل الناس يولدون طيبين وأغروا الشباب على ان يصبحوا علماء و أشخاصا مشهورين . ودفعوا الشباب على ان يصبحوا تلامذة قرية العائلات الثلاث ومدحوا فلسفة الحياة الاقطاعية للشعب مثل سلامة الاخلاق والسمو والترفع والصبر و جمع الاموال وهلم جرا ... فلسفة الحياة المتعفنة هذه . وحتى انهم طالبوا علنا بضرورة كتابة تواريخ حياة افراد طبقة ملاكي الاراضي .

وقال المقال : ان قوام التكتيك المزدوج لقرية العائلات الثلاث هو استخدام السهام الحادة وكافة انواع دس السم بالدسم وبالاضافة الى الكتابات المعارضة للحزب والاشتراكية فقد تضمنت اعشابا سامة للغاية في شكل ما يسمى بالبحث الاكاديمي والبحوث النصية والاسترخاء . وشنوا تحت ستار **(تعلموا معارف مفيدة قديمة وحديثة على حد سواء)** هجمات شاملة على الاشتراكية . وبتنسيق مع الخط الاسود في المعارضة الشائنة للحزب والشعب والاشتراكية استخدموا ستار التاريخ والمعرفة والاشياء التي تثير الاهتمام لاضعاف اليقظة الثورية لدى الشعب ..

وهذا في حد ذاته هو اسلوبهم : اسلوب دق الاعناق بلطف للقيام بهجمات شاملة على الخط البروليتاري الذي يتمسك به الحزب والرفيق ماوتسي تونغ بدأب في مختلف الميادين وقد استخدموا افكار طبقة ملاكي الاراضي والطبقة البرجوازية لافساد الكوادر الثورية والثوريين بكل الطرق من أجل دفع التحول السلمي .

● وقال المقال لقد استساغت قرية العائلات الثلاث تصوير كل ما هو بائد ورجعي وهذا يفضح نظرتها الرجعية للعالم . وقد انهمكت في الاكل والشراب واقتناص الملذات وثرثرت حول تربية القطط والكلاب ومدحت ملاكي الاراضي وجمعت العاديات ولعبت القمار وانغمست في التجارة لقد استطاعت الانغماس في كافة انواع هذه الاشياء العفنة . وقد تعفنت ارواحها .

● في ايلول عام ١٩٦٢ عقدت الدورة الكاملة العاشرة للجنة الحزب الشيوعي الصيني المركزية الثامنة . وفي تلك الدورة اصدر الرفيق ماوتسي تونغ النداء العظيم الى جميع الحزب والشعب في جميع انحاء البلاد بان لا ينسوا ابدا الصراع الطبقي . ورفعت عاليا الدورة الراية الحمراء الكبرى لافكار ماوتسي تونغ وردد النداء العالمي للنضال الحازم

ضد القوى الرأسمالية والاقطاع التي تسعى وراء العودة .

وارتعدت الوحوش خوفا وفزعا وقد أرعبهم النداء رعبا عميقا . وبدأت قرية العائلات الثلاث في التراجع وقد لمست اقتراب الطقس الرديء . وفضح المقال التكتيك والمؤامرة التي استخدموها للتراجع بالتنسيق مع بعضهم البعض .

وتساءل المقال : هل يستطيعون الافلات ؟ والجماهير الواسعة من الشعب الثوري التي تقودها وتثقفها لجنة الحزب الشيوعي الصيني المركزية والرفيق ماوتسي تونغ مصممة على استئصال شأفة هذا الخط الاسود المعادي للحزب والاشتراكية . لقد قال الرفيق ماو تسي تونغ «كل شيء رجعي متشابه واذا لم تضربه فلن يقع . ولن تنسحب الطبقات الرجعية وممثلوها بأي حال من الاحوال عن مسرح التاريخ بمحض ارادتهما . وعندما تهب الجماهير الواسعة من العمال والفلاحين والجنود فقط وتخوض نضالات شاقة خطوة خطوة ستتمكن البروليتاريا تدريجيا من استعادة المراكز من هؤلاء العلماء متنوعي المعرفة » .

لماذا التمهل في كشف المتآمرين ؟

ولكن قد يتساءل البعض ولماذا السكوت على هذه الزمرة طيلة هذا الوقت ؟ ذلك ما يجيب عليه المقال بما يلي :

لقد ادركت لجنة الحزب المركزية الخط التآمري لبعض المسئولين الرئيسيين في لجنة الحزب السابقة ببلدية بكين خطوة خطوة . الا ان الكشف التام لحقيقتهم كان يتطلب فترة من الزمن كما يتطلب ظروفا وتربة ومناخا . فالافعى الخبيثة لا تخرج من جحرها الا في ظروف معينة من المناخ . وما أن خرجت هذه الافاعي الخبيثة من جحرها حتى قبض عليها وطوح بها .

ان افتضاح هذه العصابة السوداء من بعض المسئولين الرئيسيين في لجنة الحزب السابقة ببلدية بكين أمر حسن جدا وظاهرة طبيعية في حياة الحزب . فلقد قال الرفيق ماوتسي تونغ منذ زمن بعيد **« انه لو لم توجد تناقضات وصراعات في الحزب فان حياة الحزب ستنتهي . وفي ظل ظروف معينة قد تتغير التناقضات في الحزب فتصبح غير العدائية منها عدائية »** .

أما المراحل التي سبقت الاعلان عن هذه الطغمة كما سبقت انزال العقوبة فيها ، فقد بدأت بالنقد العلني لغاية تصحيح الخطأ ، اذا كان خطأ ، أو للمزيد من التأكد من الانحراف اذا كان انحرافا ، أو للكشف

صراحة وعلانية عن النوايا التآمرية اذا كانت فعلا تآمرية كما ثبت أخيرا .

ونستطيع أن نقدم على سبيل المثال اطرافا من عملية النقد التي بدأت بنقد فلم ((**حياة أوشيون**)) في عام ١٩٥١ .

ونقد كتاب((**دراسات في حلم المقصورة الحمراء**))ونقد افكار هوشيه الرجعية في عام ١٩٥٤ ونقد هو فنغ والنضال ضد طغمة هو فنغ المناهضة للثورة في عام ١٩٥٥ والهجوم المضاد ضد الهجوم الجنوبي الذي قامت به القوى اليمينية البرجوازية على الجبهة الثقافية في عام ١٩٥٧ ونمو عدد من الاعشاب السامة البرجوازية والتحريفية في حقول السينما والمسرحية والمؤلفات الادبية منذ عام ١٩٥٩ والنضال ضدها ونقد نظرية يانغ سيان تشن ((**اثنان مندمجان في واحد**)) عام ١٩٦٤ وتيار المناظرة الكبرى الجارية اليوم بعمق والتي بدأت بنقد مسرحية ووخان ((**طرد هاي روي من منصبه**)) وهكذا يجري صراع في اعقاب صراع وكل صراع اعمق من سابقه ان تلك هي المراحل التي مرت بها عملية تقرير مصير الطغمة التي كانت السبب الرئيسي في الحركة الثقافية وعملية التطهير الجارية الآن في الصين على جميع المستويات وفي كافة القطاعات .

ومن استعراض كل ذلك نرى ان الثورة الثقافية لم تكن عملية ارتجالية ، ولا كانت مقرراتها التطهيرية قرارات عفوية ، **كما نرى ان** الذين تناولهم التطهير لم يؤخذوا بتهم غير ثابتة كما لم **يتعرضوا لاحكام** صادرة من جهة واحدة ، وان ما ذكرناه مفصلا بعض الشيء ، وموجزا بالنسبة للحوادث التي تعيشها الثورة الثقافية يؤكد أن الشعب كله قد شارك في مراحل نقد المنحرفين عن الخط العام ، كما ان الشعب شارك عمليا في اصدار القرارات وفي تنفيذها وهذا امر يمكن ان يوصف بالنصر العظيم لبناء الانسان الجديد في عالم الاشتراكية الجديد .

مراحل المؤامرة في التعليم

اقتضت الثورة الثقافية اعادة النظر في نظم التعليم الصيني وفي قواعد واساليب الامتحانات ، وفي شروط تجاوز المراحل الدراسية عامة ودخول الجامعات بشكل خاص .

فقد أكدت الثورة الثقافية أن الطغمة المتآمرة التي كانت مسيطرة على وزارة الثقافة ، ومتشعبة في جامعة بكين خاصة وبقية الجامعات عامة ، وحتى في المدارس الثانوية والجامعات الليلية قد استثمرت النظم السائدة اشنع استثمار ، وحالت في حدود امكاناتها دون نجاح الطلاب الثوريين وقدمت طلابا اعدتهم هي اعدادا يمكنهم من التحول الى مخربين ساعة تدق ساعة تنفيذ المؤامرةالمبيتة على النظام .

وهذه الحقيقة كشفت اعدادا كثيرة من الذين اسندت اليهم بعض المناصب فور تخرجهم من الجامعات دون أي كفاءات غير ترشيح الطغمة لهم بقصد ملء المناصب بالعملاء كيما يقوموا بعملية التخريب من الداخل والتستر على المخربين في ساعات الخطر .

ونتيجة لهذا كله ، قررت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ومجلس الدولة في الثالث عشر من حزيران ١٩٦٦ اصدار قرار بتغيير اسلوب امتحان الدخول القائم لدى تسجيل الطلاب في معاهد التعليم العالي ، وبتأجيل التسجيل لعام ١٩٦٦ مدة نصف سنة وذلك بقصد اجراء التبديلات الشاملة في نظم التعليم والفحوص وتجاوز المراحل الدراسية .

وسيجمع القانون الجديد لنظام قبول الطلاب للجامعات بين التوصية والاختيار ، وستكون للصفات الاخلاقية والذهنية والجسمانية وكذلك العقائدية المركز الاول للاختيار بعد التوصية .

وسيستخدم نفس الاسلوب في تسجيل الطلاب للمدارس المتوسطة والعاليـة .

وهذا يعني ان العلامات المدرسية التي ينالها الطلاب نتيجة للفحوص، لم تعد كافية لدخولهم المدارس المتوسطة والعالية والجامعات ، لانه في

مجتمع يبني الاشتراكية ، ويهيء الاشخاص الاكفاء لملء الاجهزة والملاكات الحكومية والعمالية والعسكرية والفنية والادبية والمراكز القيادية للحزب والدولة ، وكذلك يهيء ورثة الثورة البروليتارية لا يجوز اطلاقا ان يطرح التكوين العقائدي للشخص جانبا ويؤخذ فقط بالعلامات المدرسية .

ولقد أكدت التجربة في الصين على ان نظام الامتحان وحده يشكل عقبة كؤودا في التعليم الاشتراكي والحركة الثقافية الثورية الشعبية العظمى ، لانه أوصد الباب امام العديد من الطلبة المبرزين من ابناء العمال والفلاحين الفقراء وفقراء الفلاحين المتوسطين في السابق والموظفين الثوريين ورجال الجيش الثوريين والشهداء الثوريين ، كما فتح الابواب على مصاريعها للبرجوازية كيما تربي ورثتها ، وشجع اسلوب **« كل واحد يشق طريقه »** ويحقق الشهرة والثروة والمركز لشخصه .

وطالما ركزت اللجنة المركزية للحزب والرئيس ماوتسي تونغ أهمية كبرى دوما على التعليم البروليتاري والتغيير الثوري لنظام التعليم . وقد طرح الرئيس ماو السياسة القائلة بان التعليم يجب ان يخدم السياسات البروليتارية ويجب ان يرتبط بعمل الانتاج واشار الى انه يجب على سياستنا التعليمية ان تساعد كل شخص يحمل على التعليم على ان يتطور اخلاقيا وذهنيا وجسمانيا لكي يصبح عاملا مثقفا ذا وعي اشتراكي .

وهكذا يمثل تغيير نظام امتحان الدخول الحالي انطلاقا حقيقيا في النضال لتطبيق خط الرئيس ماوتسي تونغ التعليمي بدأب واستئصال الخط التعليمي البرجوازي تماما . وسيكون هذا بداية لثورة تامة في النظام التعليمي القديم بأسره . وليس نظام التسجيل وحده الذي سيتناوله التغيير اذ يجب تغيير كل الترتيبات للدراسة وللامتحان وللاجتياز أو عدم الاجتياز وهكذا دواليك . وكذلك الحال بالنسبة لمضمون التعليم ومحتواه ويجب القيام بتحريات حول كيفية تطبيق سياسة دمج التعليم بعمل الانتاج . ولسوف تلغى كافة مواد التعليم القديمة التي تحيد عن الحركات الثورية الكبرى الثلاث للصراع الطبقي والنضال في سبيل الانتاج والتجربة العلمية او تروج نظرة الطبقية المستغلة للعالم . ستجمع مواد للتعليم بتوجيه مبدأ وضع السياسات البروليتارية في المقام الاول .

ومن أجل تحقيق كل ذلك سيجري تجديد شامل للتثقيف السياسي في كافة درجات التعليم . وسيتخرج الطلاب وهم مؤمنون ايمانا كاملا بانهم عمال وفلاحون مثقفون وجنود مسلحون للنضال الحربي والثقافي والانتاجي وليسوا أبدا طبقة تميزها الثقافة عن بقية الشعب .

ولهذا سيكون كل طالب مزودا حين تخرجه باسلوب العمل المسمى ثلاثة ثمانية ، وبسريات الكفاءات الاربع وبالاولويات الاربع .

أما النقاط الثلاث فهي :

١ ـ التطبيق الحازم للاتجاه السياسي الصحيح .
٢ ـ التمسك بأسلوب المثابرة والبساطة .
٣ ـ البرهنة على مرونة في الاستراتيجية والتكتيك .

والنقاط الثماني هي :

١ ـ الوحـدة .
٢ ـ الديناميكية .
٣ ـ الجديـة .
٤ ـ النشـاط .

وسريات الكفاءات الاربع هي :

١ ـ كفاءة العمل السياسي والايديولوجي .
٢ ـ كفاءة تطبيق اسلوب عمل (**ثلاثة ـ ثمانية**) السابقة .
٣ ـ كفاءة التدريب العسكري .
٤ ـ كفاءات تسيير الحياة .

الاولويات الاربع

١ ـ أولوية عامل الانسان في تنظيم العلاقة بين السلاح والانسانية .
٢ ـ أولوية العمل السياسي في التنظيم بين العمل السياسي والاعمال الاخرى .
٣ ـ أولوية العمل الايديولوجي بالنسبة لاشكال العمل السياسي الاخرى .
٤ ـ أولوية الافكار الحية في العمل الايديولوجي .

وسيكون الطالب بفضل تلك المبادىء وبفضل مبدأ التطور من كل الجوانب الذي سبق شرحه في اكثر من مجال مؤديا واجبه في خدمة البناء الاشتراكي على شكل أفضل .

ذلك لان تطبيق مبدأ التطور من كل الجوانب قد ادى نجاحه خلال القفزة الكبرى الى الامام في الصناعة والزراعة الى حدوث مشكلة تجاوز الحد الاقصى للانتاج ، حتى انه حدث فائض في الانتاج في بعض الاحيان ، الامر الذي ساعد على تطوير القوى المنتجة بصورة مستمرة وارتفاع مستوى

حياة الشعب بصورة دائمة . وغاية الثورة الثقافية هي ان تجعل كل مواطن قادرا على الاضطلاع بحرف عديدة بالاضافة الى تخصصه بفرع او فروع معينــة .

ان الطريقة التي اتبعت في سبيل تحقيق ذلك هي وضع التعليم في خدمة السياسة من جهة ثم جعل التعليم مقترنا بالعمل المنتج وبذلك تحول التعليم الى خدمة الانتاج ، وتحول الانتاج الى خدمة التعليم فنشأ الجيل « **المتعدد الكفاءات** » وذو المعرفة الكاملة نسبيا ، ولم يعد صعبا على الجندي ان يجيد العمل الصناعي والزراعي والثقافي والفني كما لم يعد صعبا على الفلاح ان يكون عاملا وجنديا وفنيا واديبا وكذلك العامل والفني والاديب لم يعد صعبا عليهما أن يكونا ذوي خبرة وكفاءة لممارسة كل ما سبق .

ولقد برهنت التجربة على ان المعرفة بواسطة الكتب دون سواها ليست اكثر من معرفة عامة ولا يمكن ان تحقق مجتمعا متطورا من كل الجوانب ولا اشخاصا متطورين من كل الجوانب .

والمعرفة الذهنية ما لم تقترن بالعمل الجسماني تظل معرفة برجوازية، لانها تحول صاحبها الى مكتبة من الناحية الذهنية ، وتحوله الى انسان غير منتج من الناحية المادية ، وبما ان غاية التعليم الاشتراكي هي الغاء طبقة الثقاة والاخصائيين ليكون كل شخص ثقة واخصائيا منتجا لهذا لم يكن بد من قلب نظام التعليم باخضاعه للسياسة اولا ، وبدمجه بالعمل الجسماني ثانيا ، وبتسليمه للشعب يديره ويوجهه بنفسه دون الاعتماد على برجوازية المعلمين ، ودون الاعتماد على انفاق الدولة وحدها وارهاق التخطيط الصناعي والزراعي لحساب التعليم .

وفي النتيجة ، ان اقتران التعليم بالعمل المنتج سوف يلغي الفارق الطبقي بين العمل الذهني والعمل الجسماني لانه سيدمجهما في بعضهما .

ان هذا عمل اشتراكي صحيح ، ولا بد منه كذلك على اساس « **كل امرىء ذي مقدرة يستطيع أن يعلم** » .

مراحل المؤامرة في الجيش

خلال السنين الستة عشرة التي مرت بها الصين بعد تأسيس جمهوريتها الحالية نشبت ثلاثة صراعات كبرى مع ممثلي الخط العسكري البرجوازي داخل الجيش .

وكانت بداية الصراع الكبير الاول بعد نهاية حرب المقاومة ضد الولايات المتحدة الامريكية ومساعدة كوريا ، فقد رفع بعض العسكريين غير المثقفين ثقافة اشتراكية لواء اعادة تنظيم الجيش ليكون عصريا متشابها مع الجيوش الغربية ناقدة التقاليد الثورية والاسس النظرية العقائدية لجيش التحرير ، ولكن هذه الفئة سحقت في الجلسة الموسعة للجنة العسكرية التابعة للجنة الحزب عام ١٩٥٨ واقرت مبادىء ماوتسي تونغ حول بناء الجيش اسلوبا وفكرا وعملا .. وفي عام ١٩٥٩ بينما كان الحزب يطهر نفسه من اليمينيين والانتهازيين والمتسلطين وينفذ قرارات مؤتمر الحزب في لوشان ضد من تم فضحهم ، في ذلك الوقت قام نفر من العسكريين يطالبون بالغاء العمل المدني في الجيش والغاء قيادة الحزب للجيش الغاء مطلقا كما طالبوا بالغاء القوات العسكرية المدنية والمليشيا .

ولقد اتخذ اجتماع اللجنة العسكرية الموسع المنعقد بعد مؤتمر لوشان قرارات بطرد كافة هؤلاء الاشخاص والتأكيد على سلامة البناء الاشتراكي للجيش وعلى ضرورة الاستمرار في تنفيذ تعليمات الرئيس ماوتسي تونغ بهذا الشأن .

ومنذ تسلم لين بياو أعمال اللجنة العسكرية التابعة للجنة الحزب المركزية نفذ تعاليم الرئيس ماو حول بناء الجيش بشكل أحزم وأوسع ، ففي عام ١٩٦٠ عقدت اللجنة العسكرية التابعة للجيش اجتماعا موسعا برئاسة لين بياو ، واتخذت مواقف تعتبر منطلقا لاجتثاث كل الاتجاهات المعارضة وتصحيحا للعمل السياسي وتطويرا له .

وفي السنوات الاخيرة عمد لين بياو الى تعزيز نظريات الرئيس ماوتس تونغ في بناء الجيش ، وعمم على كافة العسكريين واجب دراسة هذه النظريات ووضع في المقدمة التمسك بالاوائل الاربعة التي تؤكد اولا انه في المقارنة بين الانسان والسلاح تعطى الافضلية للانسان ثانيا في المقارنة بين

العمل السياسي والاعمال الاخرى يوضع العمل السياسي في المرتبة الاولى ثالثا في المقارنة بين المهام النظرية العقائدية والعادية في العمل السياسي تعطى الافضلية للمهام العقائدية رابعا في المقارنة بين الافكار الحية القائمة حاليا في عقول الشعب توضع الافكار الحية في عقول الشعب في المرتبة الاولى .

وعزز لين بياو بوصفه رئيسا للجنة العسكرية التابعة للحزب اسلوب العمل للقواعد الثلاث التي تتضمن :التمسك بحزم بالاتجاه السياسي الصحيح والمحافظة على اسلوب عمل كدود بسيط والمرونةفيالاستراتيجية والتكنيك .

وعمل لين بياو على ان توضع التوصيات الثماني في موضع التنفيذ بالنسبة لمهام الجيش والتي تعني الوحدة والتأهب والجد والنشاط ، ونشر لينبياو على نطاق واسع الديمقراطية في حقول العمل الرئيسية الثلاثة وهي السياسية والاقتصادية والعسكرية ، وشن كذلك حملة السرايا الاربع أي الفضائل الاربع التي تعني السرية الجيدة في العمل السياسي والايديولوجي وفي اسلوب العمل للقواعد الثلاث والتوصيات الثماني وفي التدريب العسكري وترتيبات المعيشة ، وفي السلوك العسكري رفع لينبياو عاليا قواعد النظام الثلاث الرئيسية التي تقول :

١ ــ اطع الاوامر في جميع اعمالك .
٢ ــ لا تأخذ ابرة او قطعة خيط من الجماهير .
٣ ــ اعد كل ماتغنمه .

كما رفع كذلك قواعد صحيحة للانتباه العسكري وهي تنصح بما يلي :

١ ــ تحدث بأدب .
٢ ــ ادفع بعدل ثمن ما تشتريه .
٣ ــ اعد كل ما تستقرضه .
٤ ــ ادفع ثمن كل ماتخربه .
٥ ــ لا تضرب ولا تشتم الشعب .
٦ ــ لا تخرب المحاصيل .
٧ ــ لا تغازل النساء .
٨ ــ لا تسيء معاملة الاسرى .

ومن استعراض كل هذا التوجيه نرى ان لينبياو الصديق المقرب

للرئيس ماوتسي تونغ قد حول مبادىء الرئيس الى قواعد عملية لبناء اخلاق الجيش وعلاقاته بواجباته وببعضه وبالشعب الى مبادىء عملية نافذة وليست مجرد سطور منقوشة على الورق !

ومن طبيعة وضوح اخلاقية العمل في تحول الجيوش من كلاسيكية برجوازية هدفها التسلط والاستعلاء على الشعب الى جيوش اشتراكية ديموقراطية هدفها خدمة الشعب وعدم الانشطار عنه حتى خلال اداء العمل العسكري ، من طبيعة هذا الوضوح ان يحدث هزة ((**مصلحية انانية**)) في اعماق الذين ما زالوا عبيد شعورهم البرجوازي ، ولهذا كان طبيعيا ان ينشب الصراع الكبير الثالث في داخل الجيش وان تتحرك رواسب العسكريين البرجوازيين ضد هذه الاخلاقيات وان يحاولوا عملا تخريبيا .

علانية النقد داخل الجيش

وهذا الصراع الكبير الثالث نشب منذ وقت ليس ببعيد ... ولقد فضح خلال هذا الصراع عسكريون تسلموا مراكز هامة في الجيش وكانوا اعضاء ذوي مناصب هامة في الجيش والحزب .

واعظم ظاهرة تستوجب الدراسة في اعمال هـذه الطغمة ، هي ان افرادها لجأوا الى تشويه وتحريف مبـادىء الرئيس ماوتسي تونـغ واخلاقيات بناء الجيش التي رفع علمها لين بياو في الوقت الـذي كانوا يبشرون لها ويرفعون اعلامها الحمراء ...

ان هذه الظاهرة تؤكد امرين هامين هما حتمية استمرار رقابة الحزب وممارسة النقد وتؤكد واقعية الانشطار التي تسبب دائما جنوح القسم المنشطر الذي لا يمكن فضحه الا بممارسة الديموقراطية في داخل الحزب والجيش .

ولقد برهنت عملية علانية النقد والتطهير في داخل الجيش على أن مردود الديموقراطية اعظم بكثير من مردود التدابير السرية المغلقة مهما اعطت الثانية نقاوة وطهرا للجيش .

لان العلانية تحقق انتصارات ثلاثة في وقت واحد ، اولا تنفي الظلـم لان التطهير يأتي بعد النقد العلني ، ثانيا تنفي عطف الجماهير ونظرتهـا المسحورة الى الرجال المرموقين ، بما يوضع تحت بصيرتها من وقائع ادانة المبعدين . ثالثا يقوم التطهير بعملية التثقيف الجماهيري على نطاق الجيش والشعب .

والآن ماذا كان يريد هؤلاء الذين تناولتهم الثورة الثقافية وعملية التطهير ، ماذا يريدون ان يكون الجيش ؟!

اولا ــ يريدون ان يتخلى الجيش الثوري عن تقاليده الثورية وان لا يكون جيشا في خدمة النظرية والبناء الاشتراكي العضلي خلال السلم ، وجيشا محاربا بعقيدته اكثر من سلاحه خلال الحرب .

ثانيا ــ يريدون منع الحزب من قيادة الجيش كما يقاومون العمل السياسي والخط الجماهيري حتى يتحول الجيش الى آلة لاتزيد قيمتها المعنوية عن قيمة اية قطعة حديدية من اسلحة القتال .

ثالثا ــ اقامة نظام طبقي برجوازي في علاقات الجيش ببعضه وفي علاقاته مع الشعب أي عزل الجيش عن الشعب وعن قضاياه اليومية والفكرية والتخطيطية .

رابعا ــ تشويه مهمة الادب والفن وابعاد العسكريين عن نشاطاتهم وبالتلخيص ارادوا للجيش ان يكون وحدة للتدريب على الخبرة في القتال أيام السلم والمحاربة ايام الحرب ، وهذا طبعا هو الجيش الاستعماري الذي تقوده وتستثمره الرأسمالية العالمية والوطنية في الحروب غير العادلة والتي تستهدف استغلال واستثمار الشعوب وسلبها حريتها وثرواتها .

علنية انتقاد المخربين في الجيش

قد نتساءل الآن عن اسلوب الثورة الثقافية في الصين لدراسة اخطاء المنحرفين ، وتعميق فهم الشعب والجيش لهذه الاخطاء وما يقابلها من خط مستقيم صحيح .

واذا كان الاسلوب الواضح والدائم لا يقتصر في الثورة الثقافية الحالية على عقد الندوات واثارة المناقشات والسؤال والاجابة بحرية وعلانية على كل ما يتعلق بالفكرة والشخص والتهمة ، فان الاسلوب الاوضح هو وضع كل ذلك ، خارج الندوات والمؤتمرات ، تحت متناول الشعب ، وافساح المجال لكل عامل وفلاح ومثقف وجندي ليعرب عن رأيه كذلك بصراحة وعلانية ، وطريقة ذلك هي النشر في الصحافة ثم المراسلة ، ثم المطالبة بعقد الندوات بقصد المناقشة .

وتبدأ هذه العملية عادة ، خارج المؤتمرات بدراسة ما ينشر في الصحف عن الثورة الثقافية ، وتكون هذه الدراسة فردية اولا ، ثم على مستوى اللجان الحزبية داخل دائرة العمل ، ثم داخل دائرة منطقة السكن ، ثم يلجأ صاحب الرأي أو السؤال الى الصحافة ، او الى الحزب او منظمة المجال الذي تجري فيه عملية التطهير فيطرح عليها سؤاله محددا هو نفسه مجال الجواب عليه .

ولعل المؤتمر الذي عقدته الدائرة السياسية العامة لجيش التحرير

الشعبي الصيني في أواخر حزيران ١٩٦٦ في بكين لدراسة الادب والفن الخلاق في الجيش هو المثل الذي يجدر بنا طرحه في حديثنا هذا .

فقد عقد المؤتمر في خضم الثورة الثقافية البروليتارية العظمى المتأججة التي تكتسح بزخم شديد كافة ارجاء الصين . وأولت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني والرئيس ماوتسي تونغ اهتماما كبيرا بالمؤتمر الذي وجهته بشكل مباشر اللجنة العسكرية التابعة للجنةالمركزية للحزب الشيوعي الصيني ولين بياو ولجنة الحزب الشيوعي في الدائرة السياسية العامة لجيش التحرير الشعبي .

وأكد المؤتمر اهميته التاريخية العظمى لتطوير عمل الجيش في ميدان الثقافة والادب .

وعرضت خلال المؤتمر افلام معينة كما تعرضت الاعشاب السامة المعادية للحزب والاشتراكية لانتقاد شامل . وجعل هذا المشتركين يدركون الضرر الخطير الذي الحقه الخط الاسود في الميدان الادبي والفني وتفهموا ما كان أوضحه الرئيس ماوتسي تونغ في عام١٩٢٩ في قرار اتخذ في اجتماع حزبي عقد في كوتيان حول الاتجاه الصحيح للعمل الثقافي للجيش كما توضح للمجتمعين انه خلال فترة الحرب الفلاحية الثورية لعبت فرقدعاية الجيش الاحمر دورا كبيرا في العمل السياسي والايديولوجي للجيش وفي القيام بالدعاية بين الجماهير وانه في حربالمقاومة ضد العدوان الياباني ١٩٣٧ حتى ١٩٤٥ وفي حرب التحرير ١٩٤٦ حتى ١٩٤٩ توضح عمليا ارتباط العمل الثقافي للجيش بمبدأ خدمة العمال والفلاحين والجنود وخدمة الحروب الثورية والالتحام بالعمال والفلاحين والجنود وبذلك تكونت التقاليد الثورية المجيدة للجيش الاشتراكي تلك التقاليدالتيرسمها الرئيس ماو في مقاله « حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين الشعب » . وفي مقاله « خطاب في الاجتماع الوطني للحزب الشيوعي الصيني حول عمل الدعاية » وقد نشر كلاهما بعد التحرير وكانا احدث تلخيص للتجارب التاريخية التي كرستها حركات الايديولوجية الثورية والادب والفن في الصين والعالم لانهما يشكلان تطورا جديدا في النظرة الماركسية اللينينية المعاصرة للعالم ونظرية الفن والادب وذلك باشارتهما الى اتجاه اوضح لعمل الجيش في الادب والفن في الحقبة التاريخية الجديدة وأكد المؤتمر ان الرئيس ماو لم يكن خلال الستة عشر عاما ونيف الماضية بعيدا عن الثورة الثقافية فقد وجه شخصيا النضالات ضد اليمينيين وحملات التقويم في الدوائر الادبية والفنية . كما اصدر عددا من التعليمات لها . واشار مرارا الى انه لا يجب ابدا نسيان

الصراع الطبقي وانه يجب ان تتوفر اليقظة ازاء المحاولات الخبيثة التي يقوم بها الاعداء الطبقيون لاستخدام الفن والادب كسلاح للقيام بعودة معادية للثورة ، واشار المؤتمر الى اتفاق القرار حول تعزيز العمل السياسي والايديولوجي في القوات المسلحة الذي اتخذه الاجتماع الموسع للجنة العسكرية التابعة للجنة الحزب المركزية في عام ١٩٦٠ وكذلك توجيهات لين بياو حول عمل الجيش في الفن والادب في عام ١٩٦٤ تتفق مع افكار وتعليمات ماوتسي تونغ حول الفن والادب . كما انها مبنية على تلخيص تجربة الجيش في العمل الفني والادبي . وهي تحدد بوضوح مهمات العمل الثقافي في للجيش في الفترة التاريخية الجديدة .

واسترشادا بهذه المهام لعب العمل الثقافي في الجيش دورا هاما في عمله السياسي والايديولوجي وفي توطيد ورفع قدرته على القتال . كما ذهب افراد الجيش على كافة المستويات ليعيشوا في وحدات السرايا وفي القرى والمصانع واشتركوا بنشاط في حركة التوعية الاشتراكية واندمجوا مع العمال والفلاحين والجنود . وبذلوا جهودا اكثر من أي وقت مضى لتصليب انفسهم واصلاح تفكيرهم وبذلك شحذوا وعيهم البروليتاري . وقد أنتجوا أعمالا درامية وقصصا رائعة وعددا من الريبورتاجات القيمة . وقصائد الجنود والموسيقى والرقصات واللوحات والرسم . وقد دشن على وجه الخصوص العدد الكبير من الاغاني والقصائد التي كتبها قادة وجنود الجيش ونشرت في صحف الحائط والسبورات ، دشنت عهدا جديدا في المضمون والشكل على حد سواء .

وبفضل هذه المعلومات اكتسب الذين اشتركوا في المؤتمر شعورا عميقا بحقيقة ان الجيش لا يعيش في الفراغ وان الصراع الطبقي في الميدان الايديولوجي والثقافي لا بد وان ينعكس داخل القوات المسلحة .

وانتهوا الى انكار الاعشاب السامة في ميدان الادب والفن . واعلنوا بالاجماع ان ظهور هذه الاعشاب السامة يستجيب لحاجات الاعداء الطبقيين في الصين والخارج ويسعى لتمهيد الطريق لاعادة الرأسمالية . ومصدر هذا الخط الاسود يمكن العثور عليه بين « **الاختصاصيين والثقاة والحماة والسادة الموقرين** » المزعومين في فن وأدب الثلاثينيات ... ممثلي البرجوازية الذين اندسوا في الحزب ، والذين اصبح النضال ضدهم يعتبر صراعا طبقيا صراع حياة او موت تكتنفه محاولة البرجوازية لاعادة الرأسمالية وجهود البروليتاريا للحيلولة دون تلك الاعادة .

وقد شاهد المشتركون في المؤتمر تمثيليات اوبرا بكين حول المواضيع الثورية المعاصرة((**المصباح الاحمر وشاتشيانغ**)) والباليه الثورية المعاصرة ((**فصيلة النساء الحمراء و الفتاة ذات الشعر الابيض**)) وغيرها من البرامج الرائعة . كمازاروا معرض تماثيل الفخار في ((**فناء دار جمع ريع الاراضي**)) وقد أشادوا جميعا بهذه الاعمال الفنية كامثلة رائعة للفن الاشتراكي الجديد وكأعمال جيدة رائدة تتمثل فيها الاشادة بابطال العمال والفلاحين والجنود وخدمة العمال والفلاحين والجنود وتلقى منهم ترحيبا حارا ، كما اعلنوا جميعا انه من المهم التعلم بهمة ونشاط من الروح الثورية لهذه الاعمال الرائعة وبسالتها في خلق اعمال بروليتارية واشتراكية اصيلة جديدة .

وعقدوا العزم على ان يشتركوا بنشاط في الثورة الثقافية وفقا لتوجيهات الرفيق لين بياو وتأييدها تأييدا تاما وليقفوا مع جماهير العمال والفلاحين في الجبهة الامامية للثورة الثقافة البروليتارية الكبرى ويرفعوا عاليا الراية الحمراء العظمى لافكار ماوتسي تونغ وليقفوا مع البندقية في يد والقلم في اليد الاخرى على كافة الوحوش في كل من الميدانين الثقافي والعسكري ويستأصلوا تماما الخط الاسود المعادي للحزب والاشتراكية ويسحقوا جميع محاولات البرجوازية المعادية للثورة للقيام بالعودة . وان ينهضوا للدفاع عن النظام الاشتراكي وديكتاتورية البروليتاريا

ومن هذا المؤتمر يتضح لنا انه بواسطة العلانية يمكن خلق جمهور متجاوب مع كل هدف صالح . ذلك لان العلانية في النقد والتنفيذ معناها الثقة بالجماهير ، ولعل الميزة الاساسية في الثورة الثقافية الحالية في الصين ان مئات الملايين من الجماهير قد نهضت وأخذت تنتقد العالم . وهذا يعني ((**خلق المجتمع الجديد**)) وهو خلق أبدا لن يكون ، بل يستحيل على أية قوة أو نظام أن يوجده بعيدا عن الاعتماد على الجماهير والثقة بها .

ولقد قال الرئيس ماو تسي تونغ : ((**ان الحرب الثورية هي حرب الجماهير والحرب لايمكن ان تجري الا بتعبئة الجماهير والاعتماد عليها.**))

وبما ان الثورة الثقافية الكبرى هي قضية ثورية جماهيرية لابد لها في مراحلها المتعددة من الاعتماد على الجماهير لانه لايمكن للثورة الثقافية ان تتطور اتساعا وعمقا وان تكشف وتسقط جميع الوحوش والشياطين وان تحل حقا مسألة من سيقهر ومن سينتصر في الحقل الايديولوجي بين البروليتاريا والبرجوازية ولن تتم مهمات الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى بنجاح الا بتعبئة الجماهير والقيام بحركة جماهيرية بصورة اكبر واستخدام

لوحات الاحرف الكبيرة والتعبير التـــام عن الآراء والنقاش والجـــدال الواسعين .

وقد برهن التاريخ على ان الجماهير الثورية الغفيرة هي التي تدفـن أجهزة الدولة الرجعية وهي التي تقبر النظام الاجتماعي الرجعي. وسيبرهن التاريخ حتما على ان الجماهير الثورية الغفيرة هي التي تدفن ايديولوجية الطبقات المستغلة .

ان لجماهير الشعب الغفيرة مبادرة غير متناهية للثورة الثقافية . وقد اثبت في السنوات الاخيرة الكوادر والمثقفون الثوريون ولا سيما الجماهير الغفيرة المثقفة بمؤلفات الرئيس ماو بصورة خلاقة، على أنهم اصبحوا حصنا منيعا حقيقيا للدفاع عن ديكتاتورية البروليتاريا والقوى البرجوازية .

واثبتت حركة الثورة الثقافية البروليتارية العظمى التي تتسم بزحم شديد وتجري طوال عدة اشهر على :

١ ــ ان لدى جماهير الشعب الغفيرة أكبر القدرة على اكتشاف الغيلان والتعرف عليها وكشفها كشفا واضحا .

٢ ــ ان جماهير الشعب الغفيرة تقاتل الغيلان على نحو افضل وتصوب رأس الحربة نحو ها بصورة دقيقة للغاية وتضربها ضربة قاضية .

٣ ــ ان جماهير الشعب الغفيرة تتقن خوض النضال وتتقن اتخاذ اسلوب شرح الحقائق وايضاح الصواب لدحض ممثلي البرجوازية دحضا تامـــا .

أن مسألة ما اذا كان المرء يثق بالجماهير ويعتمد عليها ويجرؤ عـــلى تعبئتها بشكل حر تضع الخط الفاصل بين نظرة البروليتاريا للعـــالم ونظرة البرجوازية للعالم .

ومن الجهة الاخرى اذا كان هناك خوف من الجماهـــير والحركات الجماهيرية فتصبح القيادة لا شأن لها .

ولقد قال الرئيس ماوتسي تونغ حول هذا الموضوع : يجب على كل رفيق أن يفهم انه طالما كنا نعتمد على الشعب ونثق بقوة الجماهير الابداعية التي لاحد لها وبالتالي نؤمن بالشعب ونتحد معه فليس هناك عدو يستطيع أن يقهرنا بينما يمكن أن نقهر كل عدو ونتغلب على كل صعوبة .

مراحــل المؤامرة في الحزب

تأسس منصب قيادة الرئيس ماو تسي تونغ في الحــزب الشيوعي الصيني في يناير كانونثاني ١٩٣٥ واعلن عن ان افكار ماوتسي تونغ هي أفكار مرشدة للحزب نتيجة لاعمال التقويم في الحزب باسره من عـــام ١٩٤٢ حتى المؤتمر الوطني السابع للحزب عام ١٩٤٥ .

النضــال الاول

ولقد خاض الحزب الشيوعي الصيني ثلاثة نضالات كبرى ضد اعدائه وكان النضال الاول ضد تحالف قاو قانغ وراو شوشي المعادي وحدث هذا النضال عام ١٩٥٣ والصين في بداية ثورتها الاشتراكية التي طرح خلالهـا الحزب الخط العام للتصنيع الاشتراكي والاصلاح الاشتراكي للزراعـــة والصناعة اليدوية والصناعة والتجارة الرأسمالية . ولم يعد يصبر قاو قانغ وراو شو شي الطامعان والمتآمران العميــلان للبرجوازية اللـــذان اندسا في الحزب على التغير العنيف للعلاقات الطبقيــة والوضع المتوتر للغاية للصراع الطبقي في داخل البلاد . فقاما بطيش بنشاطات تآمريــة ومحاولا عبثا اغتصــاب أعلى سلطة للحزب والدولة لتحقيــق العــودة للبرجوازية المعادية للثـــورة . وخــاضت لجنــة الحزب المركزية برئاسة الرفيق ماو تسي تونغ نضالا حازما ضد هذه العناصر المعادية للثورة .

وفي الدورة الكاملة الرابعة للجنة المركزية السابعة للحزب في عــام ١٩٥٤ وفي مؤتمر الحزب في عام ١٩٥٥ كشف وسحق تماما هذا التحالف المعادي للحزب .

وتم ضمان الانتصار العظيم في التحويل الاشتراكي .

وكان النضال الكبير الثاني نضالا ضد حفنة قليلة هي زمرة انتهازيــة يمينية أي تحريفية معادية للحزب .

النضال الثاني

وفي عام ١٩٥٨ قدمتاللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بزعامة الرفيق ماوتسي تونغ الخط العام لبذل أقصى الجهود والتطلع الىالعلاء وتحقيق نتائج أعظم وأسرع وافضل وأكثر اقتصادا في بناء الاشتراكية .

وبتشجيع هذا الخط العام انطلق بهمة ونشاط الشعب الصيني بأسره في فورة جديدة عظيمة للثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكي وكانت هذه قفزة جديدة كبرى الى الامام . وخلال مرحلة القفزة الكبرى الى الامام هذه عممت الكومونت الشعبية في جميع ارجاء ريف الصين . وقد أثار الخط العام للحزب لبناء الاشتراكية وقفزة الشعب الكبرى للامام وظهور الكومونات الشعبيةاسترشادا بهذا الخطالعام أثار الفزعوالقلقالشديدين للامبريالية في داخل البلاد وخارجها كما أثار حقدا شديدا لديها بحيث شنت هجوما مركزا مسعورا . وفي اجتماع الحزب بلوشان في عام ١٩٥٩ قام بعض الطامعين والمتآمرين الذين اندسوا في الحزب بشن هجوممسعور على اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بزعامة ماوتسي تونغ . وطرحوا برنامجا تحريفيا قلبا وقالبا في محاولة لتبديل خط الحزب العام للبناء الاشتراكي وذلك في محاولة فاشلة لجر الصين الىالطريق الرأسمالي فهب الحزب ووجه ردا حازما عليهم وحطم مؤامراتهم تحطيما شاملا .

وقد أثمرت البذور التي بذرت خلال القفزة الكبرى الى الامام في عامي ١٩٥٨ و ١٩٥٩ ثمارا وفيرة .

وكان انتصار النضال في مقاومة هذه الطغمة الانتهازية اليمينية في عام ١٩٦٥ انتصارا عظيما آخر يكتسي أهمية تاريخية هامة للمضي قدما على الطريق الاشتراكي في الصين .

النضال الثالث

اما النضال الثالث الكبير فهو النضال ضد الطغمة المعادية للثورة والتي فضحتمؤخرا لمهاجمتها الحزب والاشتراكية وافكار ماوتسيتونغ.

وهؤلاء المعادون للحزب هم ممثلون برجوازيون اندسوا في الحزب والحكومة والجيش وفي المجال الثقافي واغتصبوا المناصب الهامة . وهم بنشاطاتهم اشد تسترا ومكرا من الزمرتين السابقتين المعاديتين للحزب اللتين تم سحقهما . وكانوا يلوحون خلال فترة طويلة **« بالعلم الاحمر »** لمقاومة العلم الاحمر ويرتدونرداء الماركسية اللينينية افكار ماو تسي تونغ لمقاومة الماركسية اللينينية أفكار ماو تسي تونغ وقاموا بنشاطات معادية للثورة ومعادية للحزب والاشتراكية تحت ستار تأييدهم للحزب والاشتراكية .

وقد برزت مسألة الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى مع تعمق الثورة الاشتراكية فيالصينبالتدريج ومع تطور حركة التوعية الاشتراكية

تدريجيا . وهذه الطغمة المعادية للثورة تقف موقفا رجعيا برجوازيا وتبذل قصارى جهودها لمقاومة ومعاداة خط الثورة الثقافية الاشتراكية الكبرى الذي اقترحته اللجنة المركزية للحزب والرفيق ماوتسي تونغ كما تسعى لمقاومة ومعاداة السياسة المرشدة التي طرحها الرفيق ماو تسي تونغ حول مسألة الطبقات والصراع الطبقي في المجتمع الاشتراكي في الدورة الكاملة العاشرة للجنة الحزب المركزية الثامنة وتقاوم أيضا المضي حتى النهاية بالثورة الاشتراكية . ولدى سيطرتهم على عدد من المراكز الثقافية الهامة مثل : ميادين الصحافة والتعليم والادب والفن والاكاديمية والنشر وغيرها شنوا نضالات طبقية برجوازية مسعورة ضد البروليتاريا ونشروا كثيرا سموم البرجوازية والتحريفية وشنوا هجمات محمومة على أفكار ماوتسي تونغ واللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني وعلى النظام الاشتراكي . وقد اتخذوا كل الوسائل لحماية اليمينيين البرجوازيين وتهجموا على الثوريين البروليتاريين وضغطوا على الحركة الثورية التي تخوضها الجماهير الغفيرة من العمال والفلاحين والجنود وناهضوا وخربوا الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ، وتطاولوا لانتزاع السلطة في الحزب والجيش والحكومة وكان هدفهم هو اغتصاب الحزب والجيش والحكومة وتحقيق اعادة الرأسمالية . وكانوا حالما تتاح لهم الفرصة سيقومون بانقلاب مناهض للثورة .

انهم يتمسكون بالاقلام من أجل هدف واحد وهو اعداد الرأي العام لاعادة الرأسمالية ولانقلاب مناهض للثورة .

وفي هذه الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى فضحت وحطمت على نحو شامل هذه الطغمة المعادية للثورة الاشتراكية ولضمان استمرار تطويرها في الصين. وهو أمر هام لتوطيد ديكتاتورية البروليتاريا والحيلولة دون اعادة الرأسمالية ومنع الانقلابات المعادية للثورة والنشاطات الهدامة المناوئة للثورة وهو امر مهم يؤثر على مصير الشعب الصيني بأسره وعلى مصير شعوب العالم بوجه عام .

ان النضالات الثلاثة الكبرى التي حدثت داخل الحزب الشيوعي الصيني خلال السنوات الست عشرة الماضية كانت صراعا قويا وضروريا في وقت واحد وتدل كذلك على الحيوية . فقد قال الرئيس ماو « ان العداء والنضال بين مختلف الافكار داخل الحزب يحدثان دائما وهذا هو الانعكاس داخل الحزب على صعيد التناقضات الطبقية والتناقضات بين الاشياء الجديدة والاشياء القديمة في المجتمع ولولا الصراع العقائدي بين

التناقضات وحل التناقضات داخل الحزب لانتهت حياة الحزب» . هذا ولقد أشار الرئيس ماو الى « **ان الصراع الطبقي حقيقة موضوعية غير خاضعة لارادة الانسان وهذا يعني انه من المحتم ومن المستحيل تجنبه حتى لو اراد الانسان ذلك . ويستطيع المرء فقط أن يقوده في طريق التطور وهكذا ينتزع النصر** » .

واظهرت الصراعات الثلاثة الكبيرة داخل الحزب خلال السنوات الست عشرة الماضية ان هدف كافة النشاطات المعادية لهذه الزمر هو السعي للقيام بانقلابات معادية للثورة وتحويل ديكتاتورية البروليتاريا الى ديكتاتورية البرجوازية .

ولو نجحت مؤامراتهم لتحطم في ليلة واحدة النظام القائم في الصين البروليتارية وسلطة حكم الشعب . ولوقعت الصين مرة اخرى في حالة مستعمرة وشبه مستعمرة .

ان افكار ماو تسي تونغ العظيمة اكبر عقبة تحول دون مخططات كافة الطغمات المعادية للقيام بانقلابات معادية للثورة . لذا فهم يخافون خاصة من تمكن العمال والفلاحين والجنود بصورة مباشرة من هذه الافكار ويقاومون العمال والفلاحين والجنود في دراستهم وتطبيقهم بصورة خلاقة لها زاعمين انها « **مبسطة جدا** » و « **الابتذال** » و « **البرغماتية** » ويصدرون الاوامر والمنع لكي يمنعوا الجماهير الغفيرة من العمال والفلاحين والجنود من دراسة افكار ماو تسي تونغ . ولكن كلما حرموا وحاصروا وقاوموا أحب العمال والفلاحون والجنود مؤلفات الرئيس ماو وتعطشوا لدراستها مثل حاجاتهم الشديدة للطعام والماء .

« وتثبت التجربة التاريخية خلال الخمسة والاربعين عاما الماضية ان افكار ماو تسي تونغ تعتبر روح الحزب ومنبع حياته . ان الطامعين المعادين للحزب الذين يتآمرون لاغتصاب قيادة الحزب والجيش والحكومة لابد لهم ان يقللوا من قدر افكار ماو تسي تونغ ويشوهوها ويهاجموها ويعارضوها . ومن أجل ضمان منع الحزب على الدوام من الانحطاط وعدم تغيير لون الصين يجب ان تتخذ دوما افكار ماو تسي تونغ ايديولوجيا مرشدا للحزب واساسا ايديولوجيا مشتركا لوحدة الحزب كله وللثورة وهذا يصح اليوم وسيظل صحيحا من الآن حتى مائة سنة أو الف سنة وسيبقى صحيحا الى الابد . ان موقف المرء من أفكار ماو تسي تونغ هو المقياس للتمييز بين الثوري الحقيقي والثوري المزيف والمعادي للثورة وبين الماركسي اللينيني والمنحرف . والآن او في المستقبل على السواء

فان الذي يعارض افكار ماو تسي تونغ هو عدو لـدود للثورة وللشعب ويهب الحزب بكامله والامة بأسرها للتنديد به .

افكار ماو تسي تونغ هي النظرية

ولقد أشار الرئيس ليو شاو تشي امام الحزب كله قبل واحد وعشرين عاما . . ان ((**المهمة الرئيسية في الحاضر هي تعبئة الحزب كله لدراسة أفكار ماو تسي تونغ ونشرها وتسليح اعضاء حزبنا والشعب الثوري بها لكي تتحول الى قوة لاتقاوم في الممارسة .**))

وقال الرئيس شو اين لاي ((**ان تسليح كوادرنا والشغيلة بأفكار ماو تسي تونغ يعتبر شرطا رئيسيا للغاية في المضي بثورة بلادنا الاشتراكية حتى النهاية ودفع بنائنا الاشتراكي بنجاح . كما هو الطريق الاساسي للتغلب على الايديولوجية البرجوازية والتحريفية والجمود العقائدي ومنعها من الظهور .**))

واشار لين بياو الى ((**ان الصين دولة اشتراكية عظيمة تطبق فيها دكتاتورية البروليتاريا ويبلغ عدد سكانها سبعمائة مليون شخص وتحتاج الى فكر موحد وفكر ثوري وفكر صحيح هو افكار ماو تسي تونغ .**))

ان جيش التحرير الشعبي الصيني الذي أسسه الرفيق ماو تسي تونغ بنفسه هو اداة لديكتاتورية البروليتاريا مخلصة للحزب والشعب . وقد شن جيش التحرير الشعبي حركة لدراسة مؤلفات الرئيس ماو تسي تونغ وتطبيقها بصورة خلاقة تلبية للدعوة التي طرحتها اللجنة العسكرية للجنة الحزب المركزية والرفيق لين بياو ((**اقرأوا مؤلفات الرئيس ماو واتبعوا تعليماته واعملوا بموجب تعليماته. وكونوا جنودا جيدين للرئيس ماو تسي تونغ**)) . وهذا هو عمل خلاق عظيم أظهر أثرا فعالا كبيرا لا يقدر .

وتنمو بصورة عارمة الآن هذه الحركة لدراسة مؤلفات الرئيس ماو وتطبيقها بصورة خلاقة من قبل مئات ملايين الجماهير من العمال والفلاحين والجنود في أرجاء الصين وهي تعتبر حركة ثورية ايديولوجية عظيمة لامثيل لها في تاريخ البشرية .

دور الحزب القيادي

والحزب كمؤسسة قائدة للايديولوجية لايمكن بشكل من الاشكال ان يتخلى عن مهام مراقبة نمو وتطور وتطبيق النظرية في جميع المجالات .

والادب والفن عنصران اساسيان في تعميم الايديولوجية ، وفي خلق روح العمل فكيف اذن يمكن اقصاء الحزب عن مثل هذه المهمة الخطيرة ؟!

يقول الرئيس ما وتسي تونغ في هذا الصدد :

« ان عمل الحزب في الادب والفن يحتل مكانا مقررا في عمل الحزب الثوري بكامله ويتابع المهمات الثورية التي وضعها الحزب في الفترةالثورية المعينة .» ويجب على الادب والفن البروليتاريين ان يكونا اداة طيعة للحزب للمساعدة على تحقيق المهمات الثورية التي وضعها الحزب في الفترة المعينة وابراز السياسة البروليتارية ودفع فكر الانسان الثوري ومساعدة الشعب على الاتحاد القلبي والمخلص في خوض النضال ضد العدو . ان الابتعاد عن هذا الموقف يعني خيانة للمهمات الاساسية في الادب والفن البروليتاريين .

وحين تسلل المتآمرون الى الحزب وسيطروا على اللجنة المركزية لبلدية بكين ، حاولوا الحد من نشاط الحزب ومن اشرافه على الادبوالفن والكثير من النشاطات ، ولكنهم لم يمنعوا هذا كله عن أنفسهم ، بلاتخذوا من اشرافهم على التعليم وعلى التثقيف بشكل عام وسيلة للتآمر ، فاثبتوا بذلك انهم خونة حتى لشعارات « **الحرية** » و « **الأخاء الانساني** » و « **تفتح الزهور المتنوعة** » التي نادوا بها كذبا .

بداية عملية التطهير

ولهذا جاءت عملية التطهير داخل الحزب عملية اذا دلت على شيء فانما تدل على الجدية على الحركة ، على السهر الدائم لمراقبة عملية الانشطار من خلال الحركة ، وعملية تساقط الركاب من حافلات القطار الثوري ...

ففي الثالث من حزيران (يونيو) ١٩٦٦ قررت لجنة الحزب الشيوعي الصيني المركزية تعيين الرفيق لي شيوه فنغ الامين الاول لمكتب شمال الصين التابع للجنة الحزب المركزية امينا اول للجنة الحزب في بلدية بكين بالاضافة الى منصبه ونقل الرفيق وو ده الامين الاول للجنة الحزب لمقاطعة جبلين ليشغل منصب الامين الثاني للجنة الحزب في بلدية بكين وذلك من أجل اعادة تنظيم لجنة الحزب في البلدية .

وفي نفس التاريخ قررت لجنة بلدية بكين التابعة للحزب الشيوعي الصيني المعاد تنظيمها من جديد ارسال فريق عمل برئاسة تشانغتشنغ شيان الى جامعة بكين لقيادة الثورة الثقافية الاشتراكية الكبرى هناك .

وقررت أيضا طرد **لو بينغ** سكرتير لجنة الحزب في جامعة بكين **وبنغ بي يون نائبته** من جميع مراكزهما واعادة تنظيم لجنة الحزب في الجامعة .

ونص القرار بأن يقوم فريق العمل بمهام لجنة الحزب في جامعة بكين أثناء اعادة تنظيم اللجنة .

عملية الثورة الثقافية بين العمال والفلاحين والاقليـات القومية

بما ان العمال والفلاحين هم غاية البناء الاشتراكي وأداة بنائه في وقت واحد ، لهذا كان على العمل الادبي والفني أن ينبع منهما ، وان يخدمهما في آن واحد أيضا .

وفي المجتمع الرأسمالي ، مجتمع الطبقات ، يعتبر الادب والفن هواية شخصية أو حرفة ، ولا يمكن للادب والفن أن يكونا عملا جماهيريا يمارسه كل الشعب ، أو في امكانه ممارسته .

وبما ان العمل المنتج في المجتمع الرأسمالي المتعدد الطبقات منظم على اساس الرابطة الوحيدة بين العامل ورب العمل ، أي الاجر لقاء العمل ، لهذا كان الادب والفن من الاعمال الترفيهية التي تعرض في مواسم معينة ومحدودة على العمال ، وليست أبدا عمـلا تثقيفيا ملتصقا بحتميات التكوين النفسي للانسان .

ففي الصين ، حيث لابد من تصفية مستمرة للتكوين النفسي المنحدر من تقاليد وعادات فرضتها الانظمة القديمة على الشعب يشغـل الادب والفن عنصرا رئيسيا في عملية التصفية هذه .

ولقد قال الرئيس ماو تسي تونغ : بعد أن أبدنا الاعداء المسلحـين بالبنادق ما يزال هناك اعداء بدون بنادق ، وحتما سيقوم هؤلاء بنضال يائس ضدنا ويجب علينا الا نستصغر شأن هؤلاء الاعداء أبدا ، فاذا لم نطرح الآن وندرك المسألة على هذا النحو فسنرتكب أخطاء كبيرة للغاية . »

وهذا الكلام الذي يعتبر جوهر الثورة الثقافية الحالية في الصين هـو في نفس الوقت جوهر العمل الجماهيري للأدب والفن لانه كما قال الرئيس مـاو « **يجب استعمال الأدب والفن كجزء من الآلات الثورية لكي تكـون سلاحا قويا ولتوجيه وتعليم الشعب وفي مهاجمة وابادة الاعـداء ولكي تساعد الشعب في محاربة العدو بقلب واحد وعقل واحد .** »

فأي مصلحة من كل هذا الكلام للنظام الاستعماري ، ولنظام سيطرة طبقة واحدة رأسمالية على كافة الطبقات ، بل أية مصلحة تدفع الرأسمالي

الى وضع الأدب والفن في خدمة العمال والفلاحين والجنود ؟!

ان طبيعة تكوين النظام الرأسمالي جعلت علاقة الفرد بالادب والفن علاقة شخصية غير مرتبطة بمصلحة حيانية ، ولهذا تحول كل منهما الى هواية وتجرد من مهمة التوجيه وبناء الشخصية المشتركة بين أفراد الشعب .

ولذا تعددت المدارس الادبية والفنية وأصبح بعضها يعرف ليس باتجاهها وانما بأسماء أشخاصها ، وهذا شيء سيء ، لانه عمل فردي غير مستهدف مصلحة الاكثرية .

بينما في طبيعة الاشتراكية تزاوج جذري بين الانسان والفكرة ، وخضوع مصلحي للجماهير الشعبية مفروض بالفكرة .

وهذه الطبيعة الاشتراكية لو اكتفت بهذا الخضوع لتحولت حتما الى برجوازية لانها ستسبب نشوء طبقة معزولة عن الشعب، أعلى من الشعب، غير مؤثرة في الشعب ، لها سلطان روحي تسلطي على الشعب ، هذه الطبقة هي « الكتاب والفنانون » .

ومن أجل الحيلولة دون نشوء طبقة في نظام يحارب تعدد الطبقات فرضت اساليب اشتراكية ذات اخلاقيات ومثاليات اشتراكية تهدف الى جعل كل الشعب مشاركا عمليا في مهام الادب والفن .

وابرز هذه الاخلاقيات ما قاله الرئيس ماو عن المعرفة : « **يجب ان لاندعي ابدامعرفة ما لانعرف ويجب ان لانشعر بالخجل في ان نسأل ونتعلم من الشعب الادنى منا ... »**

أدب من اعماق حياة المنتجين

واما الاسلوب لتحقيق هذه الاخلاقيات الاشتراكية فهو كما قال الرئيس ماو : « **يجب علينا ان نكون أولا تلاميذ الجماهير قبل ان نصبح معلميها، وقدرتنا على القيام بهذا العمل على هذا الشكل أم لا ليس مسألة روتينية لطريقة العمل بل هي موقف طبقي اساسي ، انها مسألة عما اذا كان لدى المرء أم لا نظرة الثوري العالمية ؟!»**

واما المثالية الاشتراكية في تطبيق هذه الاخلاقيات وهذا الاسلوب فهي أيضا كما قال الرئيس ماو : « **وبأن نكون تلاميذ للجماهير ونتعلم منها بتواضع لايعني الاستماع فقط الى وجهات نظر بعض الناس ، وانما يعني الاستماع الى وجهات النظر من جميع الجوانب والانصات الى مختلف الآراء ، علينا أن لانستمع فقط الى آراء الاغلبية بل والاقلية ايضا .**

وبأن نكون تلاميذ الجماهير ونتعلم منها بتواضع لايعني الاستماع

فقط الى الآراء المقبولة بل الى الآراء غير المقبولة ايضا .

بكلمة مختصرة من السهل الاستماع الى الآراء غير المقبولة ، وفي الحقيقة من الضروري غالبا الاستماع الى الآراء غير المقبولة من أجل اصدار حكم شامل حول وضع من الاوضاع .»

وفي اطار هذه الاخلاقيات والمثاليات والاسلوب قام الزحف المقدس من قبل الادباء والفنانين نحو الريف ، والمعامل ، لممارسة العمل الجسدي ، ومشاركة العمال والفلاحين شعورهم الوراثي والناشيء من ظروف الحياة والعمل ، وكتابة الادب الجديد .

أيضا ، هذه التجربة لاتنفي ان الادباء والفنانين طبقة متميزة عن الشعب وتزاول سلطانها الفكري عليه . اذن كيف نزيل هذه الطبقة ، او نحول دون تكونها ؟!

ينبع الادب والفن من الاعمال الشعبية ذاتها . وليتحول الادباء والفنانون الى قادة لحركة ممارسة الشعب للاعمال الادبية والفنية . وليخطىء ويصيب كل ممارس شعبي للادب والفن ، يتحتم علينا أن نرعى حركة الخطأ والصواب ، وننمي المواهب وندفع بها الى الانتاج .

وهكذا تكونت فرق المعامل والجيش والكومونات الشعبية ، وحتى فرق العاملين في الخدمات الاجتماعية ، وأخذت تمارس الاعمال الادبية والفنية ...

وهكذا أيضا بدأ العمال والفلاحون ينادون زملاءهم الممارسين للادب والفن ليقولوا لهم : **« دعوا فؤوسكم وآلاتكم الى فترة أيها الرفاق واكتبوا لنا شعرا أو قصة عن نجاحاتنا في اكتشاف البترول مثلا ... »**

ونداء جميل آخر أخذ يتعالى من صفوف العمال والفلاحين والجنود يقول للعاملين في الادب والفن : **« ان فرقة العمل في كذا كومونة ، أو العامل النموذجي في كذا معمل ، أو الجندي الباسل الذي اصطاد طائرة أمريكية او اسر جواسيس اعداء ، يستحق ان ننظم من أجله قصيدة ، أو نؤلف عنه قصة ، أو نخلق له رقصة ، لان من حقنا أن نتعلم من كل هؤلاء وان نجعلهم يشعرون اننا نقدرهم ...»**

وبدأت المحاولة ... محاولة ممارسة الشعب نفسه لادبه وفنه ، وتلألأت صور من حياة الشعب على صفحات الجرائد والمجلات وعلى المسارح لم يكن يحلم أن يراها انسان فكيف اذن العامل والفلاح والجندي ؟!

ونحب أن نضع هنا قصة روتها احدى المجلات الصينية عن أثر الثورة

الثقافية واقتران العمل بالتعلم في خلق الانسان الجديد ...

وهذه القصة تدور حول ست عشرة فتاة شجاعة أصاحن جبلا ... فقد قالت المجلة الصينية :

انتشرت في جميع انحاء الصين شهرة الست عشرة ((**فتاة ذوات الارادة الحديدية**)) اللواتي استصلحن الاراضي على منحدر جبلي في هضبة لوس حول لانتشو في شمال غربي الصين .

فخلال الاعوام الخمسة الماضية اقامت اولئك الفتيات منزلهن عاليا على جبل مهجور مصممات على ((**استخلاص الاراضي الزراعية والحبوب من القفار**)) من أجل لواء انتاجهن . وبمساعدة قلة من الفلاحين الذين يكبروهن سنا استصلحن ثمانية هيكتارات من الاراضي الجبلية . وزرعن أيضا أكثر من ٢٥٠٠ شتلة من الخوخ واللوز والانجاص .

وبروح ((**العجوز الاحمق الذي أزال الجبال**)) المشار اليه في مقال الرئيس ماو الشهير حولن مساحة خطيرة تمتد حوالي ثلاثة كيلومترات على طول المرتفعات المنحدرة الى طريق امين لسير العربات التي تجر باليد .

وقد اشيد بفريق الفتيات هذا طوال خمسة اعوام متتالية بأنه أحد وحدات ((**العلم الاحمر**)) البارزة في مقاطعة كانسو .

واصبح الجبل يعرف ((**ببوتقة التجارب**)) حيث يستطيع الشباب التمرس كثوريين و ((**كمدرسة للعمل الشيوعي**)) حيث يمكن أن يتدرب ورثة الثورة البروليتارية .

وقد ((**صعد**)) عمليا كافة الشباب والفتيات في لواء انتا ج شيتشوان التابع لكمونة هوكو الشعبية الى ((**هذا الجبل**)) وعملوا هناك فترة من الوقت . وقرر الشباب الذين عادوا الى المنطقة بعد غياب عدة سنوات في المدارس وحتى الفتيات اللواتي تزوجن في اللواء قررن الصعود الى الجبل بعد وصولهم بوقت قصير للحصول على ((**شهادة ايديولوجية**)) .

وتجيب الفتيات الطليعيات ردا على السؤال عما اذا كانت الحياة قاسية في الجبل .. ((**انها قاسية حقا . ولكننا عندما نفكر ان المصاعب التي نتحملها ستساعد في تحقيق السعادة للملايين نستعد لمواجهة صعاب أسوأ بكثير**)) . ان منحدرات جبل تاوان مقفرة ومنحدرة وخطيرة للغاية. وتنتشر الاراضي التي يمكن فلاحتها على خمسة عشر منحدرا متفرقا .

وفي عام ١٩٦٦ عندما تعرضت زراعة الصين لسلسلة من الكوارث الطبيعية القاسية قرر فرع الحزب الشيوعي في لواء انتاج شيتشوان استصلاح الاراضي على جبل تاوان الذي يبعد حوالي سبعة كيلو مترات . وكان على اللواء الذي كان مشغولا بانتاج الخضار بشكل رئيسي أن يعتمد على الدولة لتزويده بجزء من حبوبه . وبزراعته الاراضي على الجبل قرر انتاج مزيد من الحبوب والتقليل من اعتماده على الدولة .

ولكن لم يكن بالامكان تخصيص أيا من الكبار للقيام بهذه المهمة ولهذا تطوعت الست عشرة طالبة مدرسة برئاسة عضوة عصبة الشبيبة الشيوعية تشانغ شيه ليو للقيام بها . وكان حماسهن عاليا بيد ان بعضهن كان ما زال يرى أن المهمة شاقة . وعشن على المنحدرات الشديدة في الكهوف التي لم تحم الفتيات من الرياح . وفي الصباح كان عليهن ارتداء الملابس المبطنة بالقطن بينما كن في وسط النهار يخبزن تحت شعاع الشمس . وكان عليهن جلب المياه على ظهور الحيوانات من مسافة بعيدة .

وشجع فرع الحزب الفتيات على دراسة مؤلفات الرئيس ماو ولفت انتباههن الى ما عاناه اباؤهن واجدادهن في الماضي . فقبل التحرير كان معظم سكان المنطقة اجراء زراعيين او عمالا نهاريين ويعيشون في بؤس شديد . فخلال المجاعة عام ١٩٢٩ مات جوعا كافة أفراد عائلات اربع .

وتعلمت الفتيات كثيرا من المقارنات بين هذه المأسى وحياتهن السعيدة الراهنة . وأدى هذا بالاضافة الى دراسة مقالات الرئيس ماو ((**العجوز الاحمق الذي أزاح الجبال**)) و ((**فلنخدم الشعب**)) . و ((**في ذكرى نورمان باثون**)) ادى الى رفع وعيهن الطبقي وتوسيع افاقهن . وأدركن كيف يخدم استصلاح الاراضي في الجبل الثورة وقطعن عهدا على انفسهن بأن يعملن بالروح التي وصفها الرئيس ماو عندما قال : ((**بحزم وبلا خوف من التضحيات سيتغلبون على كافة المصاعب لاحراز النصر**)) .

دور الطليعيين في تطور أدب العمال

ان في هذه الحادثة الواقعية التي تحولت الى قصص أدبية ومسرحيات وأغان تملأ دنيا الصين لاشارة الى المناهل الثرة التي تستطيع تغذية الفكر الانساني المجند في خدمة تطوير وخلق المجتمعات الحديثة .

طبعا ليس في استطاعة أحد ادعاء الكمال أو الابداع لهذه المحاولات الناشئة ولكن من يستطيع نفي مجالات صدق التعبير وسحر الرومانتيكية الواقعية الذي يجلله ؟!

ان اتحاد ادباء عموم الصين ، وكذلك اتحاد صحفيي عموم الصين

يزاولان بالاتفاق والعمل المشترك مع اتحاد فناني عموم الصين مهـــــام نقد وتصويب الاعمال الفنية ، وبذلك يسير الادب والفن العماليان وئيدا نحو هدفهما المنشود .

وجاءت طريقة القراءة الجماعية ، والنقد الجماعي ليسهما في ازالــة سيطرة وسلطان الادباء المحترفين ، فقد مارس العمال والفلاحون هــذه الطريقة بشكل عملي ومستمر ، وزاولوا الى جانبها مهمة استدعاء الكاتب ومناقشته ، ثم لم يهملوا النقد العلني بواسطة الكتابة في الصحف والمجلات التي فتحها اتحاد صحفيي عموم الصين امام كل عامل وفلاح يحاول ممارسة النقد الادبي والفني .

ان معرفة ماذا يريد الشعب ، وكيف يفكر الشعب ، وأي الاشيــاء لايريدها ، لايمكن ان يحددها ، بل لايستطيع ان يحــددها أي كاتب أو فنــان مهما تجول أوزار مواطن العمل ولكن العامل والفلاح والجنــدي يستطيعون تحديد كل ذلك ، لانهم يعرفونه بحاجتهم ومصلحتهم ، ومــن هنا تبرز قيمة الاسهام العملي للعمال والفلاحين في تسيير الادب والفــن وكذلك النقد وممارسته فعليا .

وتقوم الفرق الفنية وكذلك الكتب والمؤلفــات العمالية والفلاحيــة بدور عظيم في عملية الثورة الثقافية ، الهادفة الى التوعية العامة .

فهي فضلا عن عملها الجماعي، ومهام الترفيه المحلي، تتبادل الزيارات مع زميلاتها في المقاطعات الاخرى المنتشرة على طول الصين وعرضهـــا . وخلال هذه الزيارات يجري تبادل الخبرات ، ويتلقح الفن المحلي ، القومي بفنون مختلف القوميات ، وتجري بفضل ذلك عملية تقريب وتذويب وصهر الثقافات القومية لاعلاء الثقافة الماركسية الموحدة .

تلك هي معالم الثورة الثقافية في أوساط العمال والفلاحين والاقليات القومية .

ومن جميل ما نراه ونحن في الصين خلال مشاهداتنا لحفلات الاقليات القومية حين تزور احدى المدن لتعرض فنونها ، تلك التحية الحارة التي يقابل بها نجاحها الفني ، فكثيرا ما يقف الشعب نصف ساعة ليصفــق للفنانين وليرجعهم الى أمام الشاشة كي يعبر لهم عن اعجابه .

ان تبادل الاعجاب بين فناني الاقليات القومية ينبع من تفهم فنونها ، وكيف يمكن لاقلية ان تفهم فن أقلية غيرها وهي تؤديه بلغة غير لغتهـــا ، وبأساليب تقليدية غريبة عنها ؟!

الجواب على ذلك كان من وحدة الموضوع ، فما دام الفن هادفا ، وينبع من النضال الحياتي اليومي فان اللغة المشتركة تسهل كل مصاعب اختلاف اللغات . . .

والفن متى كان صادقا يتمكن من كل وسائل التغلب على اختلاف القوميات .

وتأتي الترجمة السينمائية المرافقة للأداء لتذلل مشكلة اللغة القومية فيحصل ذلك التفاهم ويولد الاعجاب .

ان ورشات العمل في المعامل والمزارع تحولت الى مدارس لاوقات الفراغ ، وفيها ينتصب فرد أو أكثر لقراءة مقال أو تلاوة قصة ، أو عزف قطعة موسيقية أو انشاد اغنية ، والكل يستمعون مشجعين وفخورين انهم يشجعون زميلا لهم في العمل ويفخرون بأن الثورة الثقافية قد خلقت مثل هذا العامل المفكر !!

الفن وسكان القرى

وقد يتساءل القراء عما اذا كانت الحياة في القرية الصينية تمكن من مثل هذا النشاط .

ومن حق القراء أن يطرحوا مثل هذا السؤال لانهم عرفوا القرى جامدة الحياة ، بعيدة كل البعد عن النشاطات الثقافية ، بل وعن مظاهر العمران وخالية حتى من الحاجات الضرورية فضلا عن الحاجات التزيينية .

وللجواب على مثل هذا السؤال نضع هنا قصة المنطقة السكنية في تاكينغ التي خضع انشاؤها الى سياسة « **تذويب الفوارق بين العمال والفلاحين وبين المدن والريف وتسهيل الانتاج والحياة اليومية .** »

وفي تاكينغ لا توجد المدن الكبيرة وانما المناطق السكنية المبعثرة تحيط كل بضعة منها بقرية مركزية . والمسافة بين المناطق السكنية والقرية المركزية تبقى دائما في حدود عدة كيلو مترات . ولذلك فان المنطقة تتمتع بالجمع بين خصائص المدينة والقرية .

والقرية المركزية هي بؤرة النشاطات الاجتماعية . ففيها الادارة والمستشفى والمدرسة الثانوية (تجمع بين العمل والدراسة أو بين الفلاحة والدراسة) والمستودع المركزي ومحطة الماكينات الزراعية ومكتب البريد وغيرها من المرافق العامة التي يناهز عددها ٢٠ مرفقا . وتفي هذه المرافق بكل متطلبات الحياة اليومية . أما في كل منطقة سكنية فتوجد بوجه عام العيادة والمدرسة الابتدائية والكانتين العمومي والمستودع العمومي وغيرها من مؤسسات الخدمات العامة . هذا وقد رصفت الطرق التي تربط

المناطق بعضها ببعض اضافة الى توفر وسائط النقل العامة (الباصات).

تقوم عوائل العمال الذين يشتغلون في المرافق الصناعية على مقربة من المناطق السكنية ، تقوم بالانتاج الزراعي . وهكذا فان منطقة حقول النفط برمتها تشكل مرفقا بتروليا حديثا ومزرعة شاسعة وحديثة وبذلك صارت المنطقة خليطا من الصناعة والزراعة .

هنا كل واحدة تعمل وتدرس وتحيا حياة منتظمة ، وتتقاضى ماتستحقه طبقا لنقاط العمل التي تسجلها سواء أكانت تعمل في الزراعة أم التجارة أو الصناعة . وكل وسائل الانتاج ملكية عامة بينما يجري تقدير القيمة الانتاجية وفقا للمقاييس الموحدة ، فكل المنتجات تسلم الى الدولة وتدفع الرواتب لصاحباتها طبقا لمبدأ ((**لكل حسب عمله .**))

وتعد بلدة « جنغيو » واحدا من عشرات المراكز الآهلة بالسكان، وتحتوي على ٦ مناطق سكنية وقريتين مركزيتين . ومجموع سكانها ٥٨٠٠ نسمة يشكلون ١٨٠٠ عائلة أو يزيد . وخلال السنوات القلائل الماضية تم شق ١٠٠٠٠ مو من الاراضي ، وكانت اسر الشغيلة تقوم بمعظم العمل فيها حيث كون محطة ماكينات زراعية لها أكثر من عشرين تراكتورا. وقامت العائلات ببناء منازل من الطين لحل أزمة السكن . وفي ربيع العام الماضي رفع شعار : « فلننخرط نحن العائلات في الزراعة المكننة ! » فتعلمت قيادة التراكتورات والعربات والمحاريث . والمسؤولات عن القرية يخترن من بين العائلات مباشرة . وكغيرهن ، يقمن بالاشتراك في العمل الانتاجي ويعوضن طبقا لما يسجلنه من نقاط عمل . وهن يدرن البنك والمستودع المركزي ومكتب البريد وغيرها من مرافق الخدمات العامة . هذا وقد انخرط كل الـ ١٥٠٠ من أفراد العائلات في العمل والانتاج باستثناء العاجزات عنه .

وفي جنغيو يجري التدبير المنزلي على أساس اجتماعي ، فالناس يركزون جل همهم على العمل بينما الحياة تسير بيسر وهون. فالكانتينات العامة تسير على نسق مرن ذلك أنه باستطاعتك اما أن تتناول طعامك فيها او تأخذ طعاما شبه مطبوخ الى البيت ثم تعيد طبخه كما يحلو لك وبالنسبة للابناء فانه بمكنتك أن تتركهم في دار الحضانة سواء على اساس اسبوعي أو يومي . واذا كانت الأم تعمل في الحقول فان مربية الاطفال في الروضة توصل الطفل الى أمه للرضاعة .

وتباع في المستودع المركزي أنواع السلع كالحاجيات اليومية والكتب

ولوازم الكتابة والبضائع المعدنية وما الى ذلك . وهناك خدمة خاصة في الليل لكي يتمكن الراغب من ابتياع بغيته أنى شاء . كذلك يوجد فريق لترقيع الملابس يتقاضى ، نظير ما يرقعه ، أجرة رمزية لا تتعدى تكاليف الخيوط المستعملة في الترقيع . أما اذا ما سقط أحد فريسة لمرض ما فما عليه الا أن يضع شارة ((**الصليب الاحمر**)) أمام منزله ليعوده الدكتور المتجول عندما يمر امام بيته . وتتم زيارة الطبيب مجانا . وكل الاطفال الذين هم في سن الدراسة يذهبون الى المدارس وبعد أن يجتازوا المرحلة السادسة فانهم ينخرطون في المدارس الداخلية الخاصة بالعمل والدراسة.

ولقد اعطى اشتراك الاسر في الانتاج زيادة للثروات الاجتماعية . وليس فقط أنهن اسهمن في تعمير بلادهن ، بل رفعن من دخلهن العائلي.

وكثيرا ما تنظم لجنة الحزب المحلية هناك ، العائلات في دراسة مؤلفات رائع جدا .

ومرارا ما تنظم لجنة الحزب المحلية هناك ، العائلات في دراسة مؤلفات الرئيس ماو ووضع أفكاره موضع التطبيق كما ينبغي ، وحضور جلسات ينصتن فيها لمحاضرات حول معاناة الشغيلة في المجتمع القديم ، وحول الشؤون الراهنة ، اضافة الى اشتراكهن في العمل الجماعي المنتج ، ونتيجة لذلك طرأت تغيرات كبرى في مفهومهن العقلي . وفي هذا الصدد تقول ربة بيت سابقة ملخصة للموضوع :

« في الماضي كان نظري محصورا بين أربعة جدران ولم أكن لأفكر الا في زوجي وأطفالي . أما اليوم فبامكاننا مد أنظارنا الى كل البلاد وكذلك التفكير في كل العالم . وما همنا الاول والاخير الا الجماعية ولا شيء سواها. والشيء الذي يملك علينا حواسنا وعواطفنا هو العمل . وكل ما نلجأ اليه هو الجد والتقتير واللحاق بركب تاتشاي ومواصلة القيام بالثورة . »

العلاقات العائلية والحياة الاجتماعية

للنساء وضع متساو مع وضع الرجال . ولقد ظهرت الى حيز الوجود – نتيجة لذلك – علاقات عائلية فضلى . فالزوج وزوجته يتناقشان في السياسة والثورة . وبالتشجيع المتبادل ، ينافح كل منهما من أجل جعل نفسه ذا كفاءة في النواحي الخمس وهي : الفكر السياسي ودراسة مؤلفات الرئيس ماو والمساعدة المتبادلة وحب الجماعية ، والعمل . ولذلك ظهر من بينهم المزيد والمزيد من ((**الازواج الحمر**)) والعائلات النموذجيات .

وبالنسبة للجيرة ، فان جميع العائلات تعيش في محيط مفعم بالوحدة والمساعدة المتبادلة . وهاكم مثالا على ذلك : ذات يوم أصيبت زوجة عامل

بمرض حاد وتوجب اسعافها وارسالها الى المستشفى . ولازم المرأة قلق على أطفالها الثلاثة الذين ظلوا في المنزل . ولكن القوميسار السياسي أتاها واخبرها أن شخصا ما انتقل ليسكن في منزلها كيما يقدم الرعاية اللازمة للاطفال خلال غيابها . وثمة شيء آخر هو ان احدى البائعات عندما علمت ان لهذه المرأة رضيع ارسلت له بضع علب من اللبن المسحوق . أشياء كهذه تحدث كل يوم حيث تبسط يد العون الى كل محتاج أو الى من تلم به مشكلة .

وماذا عن أيام العطل والآحاد ؟

تكون القرية مشهدا لنشاطات لا تهدأ أبدا . فأحيانا يفد اليها فريق عرض الافلام واحيانا تقوم فرقة من فرق هواة الفن المكونة من اعضاء العائلات بتقديم البرامج الفنّية والترويحية ، بينما تكتظ الحوانيت والمكتبات وأسواق الخضروات بالغادين والرائحين .

ان هذه المنطقة السكنيةالنموذجية تجمعبينالعمال والفلاحين وتبوتق الملامح القروية بالملامح المدنية . وخطوة فخطوة سوف تقلل التحسينات التي تضاف اليها ، من الفوارق بينالقرية والمدينة. . بينالعمال والفلاحين وبين العمل اليدوي والعمل الذهني .

ذلك هو جو الحياة الجديدة في المجتمع الصيني ... وتلك هيوسائل انشائها وخلق التربة الصالحة لنمو الانسان الجديد ، الانسان المتعالي على التفرقة الطبقية والمؤمن بالطبقة الواحدة أي الشعب .

ولقد رأينا دور الثقافة في تهيئة ذلك الجو ، وفي اعداد تلك التربة، ورأينا خطوات ذوبان الفوارق بين المدن والقرىوبينانسان القرية وانسان المدينة تبدأ بالتعليم وتتسلح بالادب والفن ، وتضع كل نشاطاتها فيخدمة السياسة التي هي المرشد الاول للطريق الذي تسير فيه تلك الخطوات .

ولهذا كانت حتى القوميات المتباينة اللغات والعادات ذات نشاط هذه الطريق ، وعرقلة تقدم هذه الخطوات ...

ولهذا كانت حتى القوميات المتباينة اللغات والعادات ذات نشاط بارز في الثورة الثقافية .

ففي غمرة النضال ضد طغمة المتآمرين على الادب والفن الاشتراكيين لم يكن ابدا دور العمال والفلاحين على مستوى كل القوميات ثانويا .

لقد مارس الجميع مهمة النقد في اطاراتهم المحلية ، وتجاوزوها الى الاطارات العليا ، عن طريق الحزب والصحافة والمنبر ..

وهكذا كانوا عناصر مؤثرة بعد ان كانوا عناصر متأثرة فقط...

وبرهن ذلك على أن براعم الابداع والتفوق في ميدان الادب والفن قد بدأت تتفتح في المصانع والمزارع ...

وحين افتضح المتآمرون نتيجة للحملة الثقافية ، سار العمال والفلاحون نحو بكين العاصمة ، في افواج ، وارسل آخرون منهم برقيات ورسائل للتعبير عن الانتصار ...

انهم لايرفعون عرائض التأييد للحكومة ، كما يجري عادة في البلاد الرأسمالية الاستعمارية ، وانما يعبرون عن الشكر لتنفيذ مقرراتهم ..

انهم هم الذين فضحوا وحكموا على المتآمرين ، وجاءت الدولة لتقرر نوع العقاب ولتنفذه ولذا من حق العمال والفلاحين شكرها .

وهكذا ، ومن خلال الثورة الثقافية يبدو أي نوع من الحكومات هي الحكومة الاشتراكية ، انها حكومة تنفيذ لاتسلط واكراه ، انها حكومة العمال والفلاحين والجنود والكسبة وكل المنتجين الذين يتألف منهم الشعب.

انها بالمفهوم الواقعي للعمل الذي تمارسه ((**نقابة في خدمة كل العاملين** – وحكومة ديكتاتورية مشرعة سلاحها في وجوه جميع اعداء العاملين .. »

انها حكومة ديكتاتورية البروليتاريا .



الجيل الجديد من تلميذات وتلامذة الابتدائي
اثناء التمرين على العمل الزراعي في حدائق بكين

عملية الثـورة الثقافية في الجيش

يلعب الادب والفن وكل الافكار السياسية والفنية دورا هاما ومؤثرا في تكوين الانسان عامة ، والجندي كذلك .

ولعل العسكريين هم اسرع فئات الشعب تأثرا بالأدب والفنون والافكار الفلسفية والسياسية وذلك بسبب الانغلاق الذي يتميزون به عن سائر الشعب ، ولسبب آخر جد هـام ، هو ان الادب والفن وكل الاعمـال الفكرية هي المجالات الثقافية التي يلجأ اليها العسكريون بعد اعمالهم للانتقال بواسطتها من جو جدي خشن متعب الى جو فكري هـادىء مريح ....

والى أن تجعل الاشتراكية من العسكري رجل محاكمة للادب والفن والفلسفة وكذلك السياسة فيستطيع التمييز بين الجيد والردىء وبين النافع والضار ، وبين المدسوس لغايات متنافية مع اهدافه وبين الموضوع تشجيعا وتمجيدا لاهدافه فان ذلك يحتاج الى نضال لايقل أهمية عن النضال من أجل تكوين الانسان الجديد في المجتمع الثوري الجديد .

وفي المجتمعات الاشتراكية توضع قضية النضال بين الخطين في جبهة الادب والفن والتعليم والتركيب النفسي للجندي في المرتبة الاولى ، لان مفهوم الجندية والجندي في الاشتراكية يختلف كثيرا عن مفهومهما في الرأسمالية وبلاد الطبقات والاستعمار ، كما بينا في السابق .

ومن ذا يستطيع وضع العسكريين خلف جدار فولاذي يحجبهم عن الشعب ويحجب عنهم انوار الحقائق الفكرية التي تشع من الشعب ، أو يقيهم من التأثر بالموجات الفكرية الشعبية ؟!

ان استحالة ذلك يعني حتمية انعكاس كل نضال وكل واقع ادبي وفني وسياسي على حياة العسكريين واتجاهاتهم ، ويعني بالتالي حق العسكريين في المشاركة الفعلية لخلق المفيد ، ومحاربة الضار ، والنضال الفعلي لاجل التمييز بين خطي الثقافة الاشتراكي والبرجوازي .

من أجل هذا انشأت الجيوش في العالم كله **«ادارات التوجيه المعنوي»** واخذت الاشتراكية بمبدأ **« الجيش المثقف والعامل والسياسي في آن واحد »** وجعلت المشاركة الفعلية للجيش في توجيه وخلق الادب والفن

الاشتراكيين وفي توجيه وخلق العمل الصناعي والزراعي الاشتراكيين وفي جعل السياسة هدفا لكل الاعمال العسكرية والثقافية والانتاجية أي في خدمتها سبيلها الى بناء الجيش الاشتراكي السليم .

ولقد حاولت طغمة تشويانغ مع حلفائها وشركائها العسكريين جر الجيش الصيني الى عكس ذلك ، لاجئة الى حجة خبيثة ماكرة هي ان الجيش الصيني قد أخذ من الثقافة السياسية ما يكفيه وأصبح من الواجب عليه رئيسيا رفع مستواه الفني العسكري .

وتقول جريدة جيش التحرير في مقالها المنشور في التاسع من حزيران ١٩٦٦ ان هذه الفكرة خاطئة ومضرة وغير قائمة على التحليل المحدد ، فالواقع ان بعض الادب والفن في قواتنا المسلحة قد اتخذ الاتجاه الصحيح وبلغ مستوى فنيا رفيعا نسبيا والبعض اتخذ الاتجاه الصحيح الا ان المستوى الفني منخفض والبعض فيه نواقص أو أخطاء خطيرة سواء في الوجهة السياسية أو المستوى الفني والبعض الآخر ليس غير أعشاب سامة مناهضة للحزب وللاشتراكية . وفي عواصف الصراع الطبقي في جبهة الأدب والفن منذ التحرير كان بعض العاملين في حقل الادب والفن بالجيش عاجزين عن اجتياز الامتحان فارتكبوا أخطاء صغيرة أو كبيرة . وهذا يدل على أن عمل الادب والفن في القوات المسلحة تأثر ايضا الى درجات مختلفة بذلك الخط الاسود المعادي للحزب والاشتراكية .

النشاط الثقافي العسكري

على ان هذا الذي أوردته جريدة جيش التحرير ليس أكثر من انتقاد ذاتي يهدف الى المزيد من النشاط والتطوير ، وفي الحقيقة ان اعمالا مجيدة قام بها الجيش الصيني في حقل الثقافة من أدب وفن ، فانتج من الاعمال ما أثار اعجاب وتقدير كل الشعب .

وتعتبر الفرق الفنية للجيش ، بما تؤديه من اعمال فنية تمثيلية وموسيقية وغنائية وراقصة غذاء تثقيفيا هاما في الصين ، بل وقدوة نموذجية يتتبع خطاها فنيون كثيرون في الفرق المدنية التابعة لمعاهد الفنون والكومونات الشعبية .

والتأليف المسرحي والفنائي والقصصي والادبي والسياسي في الجيش الصيني على الرغم مما وجه اليه من انتقاد ذاتي يظل مدرسة توجيهية لايمكن نكران تأثيرها في جماهير الشعب فضلا عن الجيش .

ومنذ ان أشرف لين بياو على شؤون المجلس العسكري التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني أعطى اهتماما عظيما لعمل الادب والفن وأصدر كثيرا من التعليمات الهامة. ان ((**القرار حول تعزيز العمل السياسي والايديولوجي في القوات المسلحة**)) الذي أجازه الاجتماع الموسع للمجلس العسكري في عام ١٩٦٠ ينص بوضوح على ان عمل الادب والفن في القوات المسلحة ((**يجب أن يكون مرتبطا ارتباطا وثيقا بمهام القوات المسلحة والحالة الفكرية فيها حتى يخدم قضية اعلاء الايديولوجية البروليتارية والقضاء على الايديولوجية البرجوازية وتعزيز ورفع قوة القتال**)) وهكذا وضع معظم العاملين في حقل الادب والفن في القوات المسلحة الصينية السياسة في المكان الاول ، وعاشوا مع الوحدات المسلحة القاعدية أو في الريف والمصانع واشتركوا بنشاط في الحركة التربوية الاشتراكية وأدمجوا أنفسهم في العمال والفلاحين والجنود وزادوا من تصليب أنفسهم وتحويل أفكارهم ورفعوا مستوى وعيهم البروليتاري . ونتيجة لذلك انتجوا تمثيليات جيدة مثل ((**حرس تحت أضواء النيون**)) وروايات ممتازة مثل ((**أغنية أويانغ هاي**)) وأعمالا جيدة الى درجة ما ، من ريبورتاجات واشعار وأناشيد الجنود والموسيقى والرقصات وأعمال الفنون الجميلة مع ظهور عدد من الكتاب الذين لهم مستقبل مأمول .

مثقفو الشعب

وبنظرة الى الخلق الادبي والفني في جيش الصين الحديث ذي التقاليد العريقة في النضال الثوري والحربي نكتشف أي كنز فني وثقافي دفين في أعماق الشعب ، وأي مهمة تثقيفية كبرى يمكن ان يؤديها تمازج الفئات وتادل المعلومات والخبرات والنضال من أجل حياة افضل .

فحسن صفات الاشخاص الابطال الذين ظهروا من بين العمال والفلاحين والجنود والذين انشأت بطولاتهم الادب والفن الجديدين ، والذين كانوا بأجسادهم واسمائهم واعمالهم ابطال القصص والمقالات والاغاني والرقصات ، والذين تحولوا وهم أحياء الى نماذج تغذي كل الطبقة العاملة بالمثل العليا الواقعية وتغذي الحياة الفنية بمناهل الفكر والتثقيف الجديدين ، ان حسن هذه الصفات هي الجاذب الرئيسي والاهم للعمل الثقافي بل يجب أن يكون كذلك .

لقد جعل العسكريون العاملون في ميادين الادب والفن في جيش التحرير الصيني مهمتهم المجيدة وصف الحروب الثورية وتصوير اشخاص برزوا

في الحروب الثورية ، وساعدهم على ذلك انهم درسوا جيدا ، وعرفوا جيدا مبدأ « **ان الحرب العادلة هي دائما حرب الشعوب ضد اعدائها وان الحرب العدوانية الظالمة هي التي تستهدف اذلال الشعوب وسرقتها والتحكم فيها ، أي انها حرب الرأسمالية والاستعمار ضد الشعوب** » .

وعند وصف قساوة الحرب لم يبالغوا ابدا في وصف اهوال الحرب ، كما لم يبالغوا في وصف مشقة النضال الثوري عند وصف الثورات ، وانما حولوا المتعرضين الى اهوال الحرب والى مشاق ومحن ومصائب النضال الثوري الى أبطال ، واستثمروا اخطاء العدو ، واندحاره ، لابراز طرفي التناقض في الحرب العادلة والحرب غير العادلة ، وفي حق الشعوب بالثورة والنضال الثوري ، وفي حتمية انهزام الاستعمار وقبر الرأسمالية .

وعمد أدب وفن العسكريين أو النابع من عقول الرجال العسكريين الى ابراز العلاقة بين القوات النظامية ورجال حرب العصابات والمليشيا الشعبية والحرس الاحمر ، والشباب الشيوعي ، والجماهير المسلحة وغير المسلحة ، وكان ذلك بأساليب فنية وتنابية ، لعبت فيها المسرحيات والاسكتشات والاوبرا والرقص والغناء والشعر والمقال والمحاضرات أدوارا بارزة وانتهت الى تحديد أمكنة كل فئة مسلحة وغير مسلحة ، بالنسبة لنمهام والواجبات والصلاحيات وحسن نظام العمل المشترك .

ولقد وضع الجيش الصيني مبدأ : « **ليس أمرا سهلا ان ننتج نماذج جيدة للأدب والفن الشعبيين ولكن يجب علينا ان نستخف بذلك استراتيجيا ونهتم به تكتيكيا .** »

والحقيقة ان خلق عمل جيد هو عمل شاق يجب ان لايعالج بالاسلوب البيروقراطي ، وانما بالمشاركة في يسر وعسر المحاولة ، وفي خلق المصادر الفنية المكنة من مباشرة العمل الجيد ، ثم بقبول الفشل والخطأ ومساعدة الفاشل على معرفة أسباب فشله والمخطىء على جوانب الخطأ ، وبالعمل المشترك على ارشاد هذا وذاك والاخذ بيديهما نحو النجاح بعد الفشل والخطأ .

ولبلوغ هذا الهدف لجأ الجيش الصيني الى طريقتين ، الاولى تحطيم كل الخرافات وبطولات العصور الامبراطورية الاقطاعية والغاء كافة الحكم البرجوازية التي اجراها المؤلفون القدماء على ألسنتهم ، والطريقة الثانية هي الغاء مهمة الناقد الفني المحترف للنقد ، أي الغاء برجوازية الاشراف « الفردي » و « الطبقي » في الادب والفن على الانتاج الثقافي ، فأنشأوا أدب البطولة محل أدب الخرافات والاساطير ، وأحلوا الصراع

الطبقي ، والصراع ضد الاستعمار والرأسمالية محل الصراع بين الآلهة والشياطين ووضعوا كل هذا تحت مجهر النقد الحر للشعب بكامله، وشجعوا النقد الثوري ، ووضعوا سلاح النقد الادبي والفني في أيدي الجماهير الغفيرة من العمال والفلاحين والجنود ولم يخافوا على هالة الجندية من نقد الجماهير ، ان الخطأ والصواب حقيقتان يواجههما حتى الجندي ، وان من حق كل مواطن الارشاد الى الخطأ وتمجيد الصواب ، اذن فيم الخوف من الشعب ، وفيم لايدعى الشعب الى النقد العلني والاسهام في تنمية مواهب الجيش مثلما يسهم في تنمية مواهب بقية الناس ؟!

لقد مر الجيش الصيني بمراحل عديدة من النضال الثقافي ، وتعرض خلال كل مرحلة الى نقد ذاتي والى نقد جماهيري ، وخرج من كل معارك النقد بحقيقة واحدة هي ان النقد الجماهيري يساعد على اكتشاف المنحرفين بسرعة ، ويشجع القفزات الكبرى الى أمام بسرعة ، فمنذ أيام النضال على جبال جينغكانغ بقيادة الرئيس ماو مباشرة وعلى هدى ((**قرارات مؤتمر كوتين**)) انشأ جيش العمال والفلاحين الاحمر فصيلة حمراء من الكتاب والفنانين . وخلال حرب المقاومة ضد العدوان الياباني تطورت هذه الفصيلة من الكتاب والفنانين تطورا كبيرا ايضا مع تطور قوة الحزب والجيش سياسيا وعسكريا . واعد الجيش في مناطق القاعدة وفي القوات المسلحة عددا لا يستهان به من العاملين الثوريين في ميدان الادب والفن وخاصة بعد نشر ((**الاحاديث في ندوة الادب والفن بينان.**))

وهكذا تحولت مشكلة ((**خلق أدباء وفنانين في الجيش**)) الى مشكلة ((**اكتساب فهم صحيح وقبول تعليم أكثر وبلوغ مستوى أعلى**)) وكان الطريق الى ذلك ممارسة النقد العلني ، واشراك جماهير الشعب والجيش في هذا النقد العلني ، وتطهير نفس الفرد العسكري والمدني من الشعور بالتصاغر أمام النقد الصحيح وتحويل هذا التصاغر الى شكر يقدمه المخطىء الى الناقد المخلص .

وعلى ضوء من هذا كله ، واجه الجيش الصيني ، من زاوية الادب والفن ، الثورة الثقافية في طرفيها((البناء والهدم ، والهدم والبناء)) فبنى الاجهزة القادرة على هدم الموروث الرث ، ورفع شوامخ الجديد المخلوق والمطور من القديم الجيد ، واخترق حتى حصون اوبرا بكين التي كانت معقلا للرجعية يتستر وراء هالة سحرها التاريخي جميع الهدامين فيخرجون بواسطتها أدب وفن الاقطاع والرأسمالية والخرافات والاساطير

التي تربط الانسان بالشيطان أو الاله الملك ، وبرهن الجيش في عمليته هذه ، عملية تحطيم اسوار اوبرا بكين على ان الشعب ليس كما يصوره الرجعيون متعشقا ومتعلقا بكل قديم ولا يمكن استغلاله للابقاء على سموم الرجعية بواسطة أدب وفن رجعيين .

وتحطيم أوبرا بكين ، وقلب طابعها الكلاسيكي ذي الثياب الشعبية التاريخية اثار في نفسي شخصيا موجة من التساؤل عما اذا كان في الامكان تطوير القديم وجعله في خدمة الجديد مع الحفاظ على طابعه في الاخراج والاداء والثياب .

وجاء في الجواب ، ان ذلك ما يعالجه الفنانون على كافة المستويات وفي كافة قطاعات العمل الفني ، المدني والعسكري ، وان ثوبا أو قلادة أو سيفا خشبيا لم يحطم أو يمزق أو يلقى الى الاهمال ، وانما حفظ كل شيء، حتى القصص الاسطورية ، ووضع تحت تصرف الفنانين والادباء لتطويره بشكل يخدم السياسة .

وطبعا قام صراع حول هذه المحاولة ، وكان الصراع يهدف بالنسبة للمتحجرين الى استبقاء القديم على أساس انه عمل فني وطني سريع التأثير في الشعب ، كما كان يهدف بالنسبة للثوريين خلق الجديد وتطوير القديم وجعله يخدم الشعب ويدعم البناء الاشتراكي .

وكل هذه الصراعات ، وكل هذه المؤكدات لدور الادب والفن في دعم السياسة والبناء الاقتصادي والفكري وفي تكوين الانسان الجديد جعل الجيش عنصرا هاما من الثورة الثقافية الجارية الآن في الصين .

وما أصاب بعض العسكريين من رشاش التطهير خلال الثورة الثقافية الحالية هو في حقيقته نتيجة للكشف عن طبيعة انحياز هؤلاء المبعدين عن الجيش الى جانب اعداء الثورة .

ان عسكريا واحدا لم ينح عن عمله ، أو لم يقص عن مجالات الادب والفن الا بعد ادانته ، في مجالات النقد العسكري والمدني ، والا بعد أن مرت مناقشته بمرحلتي النقد الحرفية والصحفية ، وعلى مستوى الندوات والاجتماعات الجماهيرية العلنية .

وهذا طابع الثورة الثقافية التي تعتبر أول واقوى ثورة ثقافية في العالم حتى عصرنا الحاضر .

عمليـــة الثـــورة في الصحافة

لم نتحدث عن دور الصحافة ولا عن مهامها في البناء الاشتراكي ، ولا عن تسلل المتآمرين اليها ودورهم التخريبي بواسطتها ، وكان ذلك واجبا تفرضه وحدة اشكال العمل الثقافي ، لتوضيح أطراف الثورة الثقافية .

على انني لا أفرق — شخصياعلى الاقل — بين‌عمل كتابي وفني وعمل آخر ، الا في حدود وسائل انتاجه وعرضه .

والصحافة كعمل — في نظري — ليست أكثر من واجهة لعرض‌الافكار من خلال المقال والخبر والقصة وحتى الاعلان .

والمفاضلة بين الصحفي‌والاديب مثل المفاضلة بين القلم والورقة أو بين التفكير والكلام !

وفي — رأيي — ان الصحفي لن يستطيع النجاح في عمله ما لم تكـن عنده مواهب الاديب واسلوبه .

وكذلك — من رأيي — كل أديب يستطيع ممارسة الصحافة اذا كان متمتعا بصفات الملتزم وبالطاقة على الكتابة السريعة .

واذا كانت مجالات الصحافة أوسع مـــن مجالات الادب بالنسبة لعلاقاتها بالجمهور ، فان ذلك‌يعني ضرورة العناية بتربية الصحفي‌سياسيا وفنيا حتى يستطيـــع التجاوب مع الاحداث والتأثر بها ، والتـــأثير بواسطتها .

وفي الصحافة الاشتراكية لا يمكن التفريق بين واجب الاديب وواجب الصحفي ، ولا بين كفاءات الاثنين ، لانهما معا ، ينهلان من نفس المعين ، « **الاشتراكية** » وينحدران الى نفس المصب « **الشعب** » ويتجندان‌لخدمة نفس الوسيلة « السياسة » .

والصحافة الاشتراكية فضلا عن كونها حاملة الاحداث الداخليـــة والعالمية الى الشعب هي مفسرة أمينة لهذه الاحداث ، وبذلـــك كانت مدرسة يومية للتثقيف والتوجيه .

وفي حقل النظرية ، تعتبر الصحافة الاشتراكية أحد أركان الثـــورة الثقافية ومن أقوى وسائل تفسير وتطبيق النظرية ، وبذلك كانت قـــوة

فعالة ومؤثرة ودائمة الحركة .

ولا تعرض الصحافة الاشتراكية على الشعب ، بواسطة الباعة المتجولين وبسواها من وسائط البيع فقط ، وانما هي بالاضافة الى ذلك تعرض على الجدران في الاندية والشوارع وفي الحدائق والمدارس وفي المزارع والمعامل ليتناولها كل راغب وشغوف .

وبالاضافة الى هذا كله، تقوم الاجهزةالسياسية باستخدام الصحافة في حلقات التثقيف اليومي ، وذلك بأن تعقد الندوات بعد العمل لدراسة المقالات التوجيهية ، والتعرف على جوانب البناء الاشتراكي ، وللاطلاع على المباريات بين المعامل والمزارع ، وعلى أعمال ومبتكرات وبطولات المبرزين من العمال والجنود والفلاحين وفي هذه الندوات يمارس المرشد الحزبي مهمة القراءة ، ثم الشرح والمناقشة ، ثم النقد لاظهار الخطأ والصواب .

ويجري تلخيص قرارات كل ندوة شفويا اذا لم يكن ثمة ما يستحق الاهتمام ، والا ، عمد المجتمعون الى الكتابة ، بقصد توجيه الرأي ــ المؤيد أو المعارض ــ الى الصحيفة ، والى الكاتب .

وتهتم صحف الصين بنوع خاص من التوجيه ، هو اشراك الشعب في كل مجالات نشاطها الثقافي والسياسي والفني ، ولذا أفردت أبوابا خاصة ، وواسعة قد تملأ في بعض الاحيان أكثر من صحيفة من صفحاتها، تعرض بواسطتها آراء الشعب في القوانين والقرارات وفي المقالات المنشورة سواء ما كان منها سياسيا ام انتاجيا أم فنيا ام عسكريا .

ويعمل الصحفيون في ميادين الانتاج الصناعي والزراعي مددا معينة من كل سنة ، وذلك بقصد المشاركة في العمل العضلي أولا ، وبقصد صقل النفس وتنقيتها من الروح البيروقراطية ثانيا ثم من أجل تكوين الخبرة العملية لمواضيع ومستويات ومشاكل الحياة .

ولقد قرأنا في مجمل ماسبق من احاديث شيئا عن دور الصحافة ــ الصينية في مراحل الثورة الثقافية واعمال التطهير ، وتأكد لنا مدى الحصانة التي يتمتع بها الصحفي في ظل الاشتراكية ، كما تأكد لنا مدى اعتماد الشعب وثقته بصحافته .

وتعتبر الصحافة الصينية مصدرا اخباريا للاذاعات المحلية في المعامل والقرى والثكنات العسكرية والمتاجر الكبرى ، فكل معمل وقطار ومزرعة وثكنة عسكرية ومتجر كبير له اذاعته الخاصة ، وبرامجه الخاصة التي

توضع من قبل المثقفين ومن قبل الفنانين والفنانات الموهوبين من افراده، وتذاع برامجه في داخله فقط ، وبواسطة محطات بث خاصة ومختصرة ، وللاخبار ولتلخيص المقالات المستقاة من الصحف والمجلات ركن خاص في البرامج ، كما للتوجيه الفني على الاعمال الخاصة بالانتاج ركن آخر به .

وكثيرا ماتتزود الصحافة باخبارالتوجيهالفني ، والانجازاتالصناعية والفنية والزراعية بواسطة هذه الاذاعاتالمحلية ، وتعمم نشرها على الشعب بأعدادها اليومية حيث تعاد اذاعتها من كافة الاذاعات المحلية لنفس الغاية والهدف .

ورب ناقد يزعم فقدان الحرية الصحافية في ظل الاشتراكية لمجرد كون الصحف مؤممة وتابعة لتوجيه الحزب .

غير ان مستلزمات بناء الشخصية الاشتراكية التي تقتضي وحدة التفكير السياسي تفرض مثل هذا النوع من الصحافة حماية للحقيقة ووقاية من أغراض الدس الاستعماري الرأسمالي المتعدد الاشكال .

واذا كان ثمة فارق بين التزام جانب المصلحة العقائدية والتركيز على اشاعتها بين الناس وتعميق جذورها في المجتمع ، وبين اخضاع كل هذا لتجارة الخبر والمقال فان هذا الفارق يكون ((**انعدام التأثير الخارجي في الصحافة الاشتراكية**)) وعدم((**خضوع الخبروالمقال للتأثير الخارجي**)) وفي التحليل النهائي لشكلي الصحافة ، الاشتراكي والرأسمالي ، تكون الحقيقة في خدمة القارىء الاشتراكي ، بينما تكون الحقيقة ضحية الصحافة الرأسمالية ومبتغى كل انسان شريف .

وحين تتحدث الرأسمالية عن الحرية في الصحافة يتوجب عليها الرجوع الى التروستات المسيطرة على الصحف ، والى رؤوس الاموال المسخرة للصحفيين ، وعندها تجد ، انه من شرف الاشتراكية ان تكون الصحافة في خدمة النظرية ، وان من عار الرأسمالية أن تكون صحافتها في خدمة الرأسمالية .

وتعزف الصحافة الصينية كل العزوف عن الاخبار الاجتماعية من زواج وطلاق وتحلل حوادث الاجرام على انواعها تحليلا طبقيا علميا يسهم في ابراز اخطاء المجتمع القديم واضرار رواسبه ، كما تسهم في ابراز أخطاء بيئة المجرم وتوضح طريق اصلاح تلك الاخطاء .

وليس لحوادث واحاديث وأدب الجنس أو لصور النساء العاريات

وجود في الصحافة الصينية .

كما ليس للاثارة أي دور في الخبر أو العنوان أو المقال أو الصورة ، لان من واجب الصحافة الاشتراكية الاعتماد على الصدق في اثارة الاهتمام ووعي الحقيقة ، وهذا أمر لا يحتاج الى خداع العناوين ولا الى سوى ذلك من اساليب الاثارة الرخيصة التي تلجأ اليها الصحافة الرأسمالية .

ومن غرائب ما في الصحافة الصينية ، ان تجد في كل ادارة من ادارات الصحف جريدة للجدار ((**داتسي باو**)) التي اخترعتها الجماهير عام ١٩٥٧ اثناء حركة الاصلاح للنقد والنقد الذاتي والتي تنشر المقالات والقصائد والكاريكاتور الى جانب الانتقادات والآراء .

وجريدة الجدار في كل ادارة من ادارات الصحف مهمتها الكشف عن اخطاء العمل اليومي ، في كافة مراحل انتاج الجريدة ، ثم نقد محتويات العدد وشكله ، مع تحديد اشكال الخطأ والتصويب ، واسماء الذين ارتكبوا الاخطاء .

وبهذا الاسلوب زالت سيطرة المراتب على بعضها ، كما زالت الطبقية وصراع الطبقات في العمل ، والتزم كل محرر ومسؤول واجبه ، على أكمل وجه وأسلم اسلوب .

ولا بد للقارىء من أن يتساءل بعد هذه الفكرة الموجزة جدا عن الصحافة في الصين عما اذا كان في استطاعة المتآمرين على النظام التسلل الى الصحافة والعبث في توجيهها اليومي ؟

الجواب : نعم يمكن ذلك ، لان في استطاعة المخربين التسلل الى أحد الأمكنة ، بتجلببهم جلابيب المبدأ ، ورفعهم رايات الحزب ، وممارستهم للتخريب من الداخل حتى تتاح فرص الكشف عنهم والقائهم الى سلة المهملات . .

وثمة مخربون لايكونون في بداية عملهم الصحفي مخربين ، وانما تجعلهم عملية انشطار الكل الى جزئين جزءا مخربا ، فيعملون على نشر السموم حتى تتفتح عليهم العيون وتقتنصهم المصايد . .

وهذا ما حدث فعلا في جريدتي « بكين المساء » و « بكين اليومية » وفي مجلة « الجبهة الامامية » التي كان يسيطر عليها لوبينغ وزمرته . الامر الذي انتهى الى عملية تطهير واسعة في مجالات الصحافة الصينية وطرد عدد كبير ممن كانوا قبل ايام يعتبرون أنفسهم قادة فكريين عن طريق الصحافة والادب والفن .

ففي السادس من حزيران ١٩٦٦ نشرت صحيفـة بكين اليومية في صفحتها الاولى قرار لجنة بكين الجديدة التابعة للحزب الشيوعي الصيني الذي شكلت بموجبه هيئة تحرير جديدة لصحيفتي « بكين اليوميـة » و « بكين المساء » . وبموجب هذا القرار حلت هيئة التحرير السابقـة لهاتين الصحيفتين **وطردت مديرة التحرير فان جين .**

وقد تشكلت هيئة التحرير الجديدة المؤلفة من تشاي شيانغ دونغ وستة آخرين لتدبير اعمال الصحيفتين . **وجرى تعيين تشاي شيانغدونغ رئيسا للتحرير .**

ونص القرار ايضا على **حل هيئة تحرير مجلة « الجبهة الاماميـة »** نصف الشهرية . وتقرر وقف نشر المجلة بصورة مؤقتة ريثما يعاد تنظيمها .

ونشرت الصحيفة في صفحتها الاولى ايضا بيانا عاما من هيئة تحريرها الجديدة . وفيما يلي مقتطفات من البيان . . يسرنا بالغ السرور أن نعلن ان صحيفتي « بكين اليومية » و « بكين المساء » قد بدأتا حياة جـديدة وهذا نصر جديد آخر لافكار ماو تسي تونغ العظيمة .

لقد انحدرت مجلة « الجبهة الامامية » وجبهتي « بكين اليومية » و « بكين المساء » الى أدوات في يد بعض كبار اعضاء لجنة الحزب السابقـة لبلدية بكين لدفع وتنفيذ خطهم التحريفي وعودة الرأسمالية ادوات لطغمة « قرية العائلات الثلاث » المعـادية للثورة من أجـل مقاومـة الحزب والاشتراكية . لقد نشرت هذه الصحف الثلاث قدرا كبيرا من السموم وهاجمت بشكل محموم الحزب والنظام الاشتراكي . وقد تسترت على اليمين البرجوازي بينما كالت الضربات لليسار البروليتاري وذرت الرماد في عيون الشعب وأخمدت النقد في عدد كبير من القراء . وقاومت هـذه الحفنة الصغيرة من العناصر المعادية للحزب والاشتراكية بوقاحـة خط وسياسات لجنة الحزب المركزية المتعلقة بالثورة الثقافية البروليتارية الكبرى وبذلت محاولة عابثة لدفع هذه الحركة الثورية الكبرى الى طريق تحريفي وبعد ان فضحت مؤامراتها **قامت في السادس عشـر من نيسان** بخديعة ضخمة اذ دبرت نقدا مزيفا بينما تسترت فعلا وشنت نضالا مزيفا بينما أقامت بالفعل درعا وضحت بفارس لانقاذ الملكة . ورفعت « علمـا أحمر » لمقاولة العلم الاحمر وتسربلت بعباءة الماركسية اللينينية أفكار ماوتسي تونغ .

وتتمتـع جمـاهير العمـال والفلاحين والجنود والثوريين الاخرين

المسلحين بافكار ماو تسي تونغ ببصيرة واضحة . لقد كشفوا وبدأوا يقاومون مؤامرات هذه الحفنة من العناصر المعادية للحزب والاشتراكية في مرحلة مبكرة تماما .

ومن ٨ أيار فصاعدا منذ فضح الحزب والشعب علانية مؤامراتها تعرضت هذه العصابة من العناصر المعادية للحزب والاشتراكية لسيل من التعنيف الشفوي والتحريري من الصحف والمجلات الدورية والعمال والفلاحين والجنود والكوادر الثورية والمثقفين الثوريين في جميع أنحاء البلاد بما فيهم معظم العاملين في هذه الصحيفة المكرسين انفسهم للثورة ولهجوم بلغ بقوته وزخمه الصاعقة وقد ندد بهم في كل مكان بسخط وغضب وفضحوا في وضح النهار » .

ولعل من حسن حظي ان اكون في الصين خلال كل هذه الاجراءات وخلال انشط حركة لعملية الثورة الثقافية ، لاشاهد أثر هذا كله في الاوساط الشعبية .

وفي سبيل الحقيقة والواقع اقول ان القرارات المتخذة بشأن تنحية لجنة الحزب في بلدية بكين ، وفي جامعة بكين وفي الصحافة عامة قداحيطت ليس بالتأييد الحماسي فحسب ، بل وبالتظاهرات الشعبية والعمالية والطلابية الحماسية كذلك .

واذا لم يكن جديدا بالنسبة للشعب أي اتهام وجه الى كل شخص من الاشخاص الذين تناولهم التطهير بسبب المناقشة العلنية لاعمالهم بواسطة الصحافة وصحافة الجدار وبواسطة المؤتمرات والندوات والحلقات والمنظمات المتنوعة ، فان التدابير المتخذة كانت هي الجديدة ، وهي التي اخضعت للمناقشة وحظيت بالتأييد ثم بالتعبير عن عن هذا التأييد بالمهرجانات واللافتات والطبول وكل وسائل التعبير عن الرضا .

فقد اعتبر الشعب القرارين ضربة قاصمة لوكر التآمر من لجنةالحزب السابقة في بلدية بكين وكانتصار تاريخي لثورة الثقافة البروليتاريةالعظيمة التي تندفع الى الامام .

هذا وقد ساد بكين جو العيد منذ اعلانالقرارين في ٣ يونيو الجاري . فانعقدت الاجتماعات الاحتفالية في المصانع والمدارس والمتاجر وفيالهيئات الرسمية ووحدات الجيش وفي الكمونات الشعبية في ضواحي المدينة .

كما تدفقت باستمرار رسائل تعلن التأييد الكامل لقرار لجنة الحزب

المركزية الى لجنة الحزب الجديدة في بلدية بكين والصحف .

كما ارسل العمال والطلاب وسكان بكين الاخرون وفودا للجنة الحزب المركزية الجديدة في بلدية بكين ليقدموا لها تهانيهم . واحتشد عدد هائل مهلل من الجماهير في مكاتب اللجنة واخذوا يهتفون « عاش الرئيس ماو تسي تونغ » و « عاش الحزب الشيوعي الصيني » .

وقد قال ليوكي عامل الصهر في مصنع صهر الحديد لشركة شيجينغشان قال لصحفي ان قرار لجنة الحزب المركزية **« قد صان حكمنا الاشتراكي وصان كذلك الراية الحمراء العظيمة لافكار ماو تسي تونغ . وانه يمثل ارادة مئات الملايين من الشغيلة .»**

كما قال ين وي تشن فلاح نموذجي في كمونة خوا نفتو قانغ الشعبية **« نحن الفلاحين الفقراء سابقا والفلاحين المتوسطين من الفئة الدنيا نثق دوما في حزبنا واننا قد عزمنا على ان نتبع قيادة الرئيس ماو تسي تونغ ونكرس انفسنا للثورة ما دمنا أحياء . ويجب علينا أن نستأصل السموم التي نثرتها لجنة الحزب السابقة في بلدية بكين . »**

وكانت جماهير الاساتذة والطلاب الثوريين في جامعة بكين يغمرها فرح بالغ وكانت الجامعة بأسرها مبتهجة . وبمجرد ما وصلت الاخبار انتظم الطلبة في مجموعات لمناقشتها . ثم حملوا صورة كبيرة للرئيس ماو تسي تونغ وطافوا حول ملعب الجامعة يبتهجون بقرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني وقرار اللجنة الجديدة للحزب في بلدية بكين ويهتف الطلاب بحماس **« عاش الرئيس ماو تسي تونغ »** و **« عاش الحزب الشيوعي الصيني. »**

ومن جهة اخرى فالانباء الواردة من شنغهاي و تيانجين وكانتون و ووخان وشيانغ و شيان و نانكين و تشنغدو و تشانغشا و هاربين ولاسا والمدن الاخرى تعكس نفس تأييد جماهير الشعب الحماسي للقرار الحكيم للغاية الذي اتخذته لجنة الحزب المركزية .

مجريات الثورة الثقافية

والآن كيف تجري الثورة الثقافية ؟

من يديرها ؟ من يقودها ؟ من ينفذ مقرراتها وهل صحيح أنها بلغت حد الفوضى والعدوان على ممتلكات الاشخاص وحياتهم ، وعلى ممتلكات الشعب وأمنه ، وهل انتهت الى فوضى تستهدف حتى النظام القائم ؟

لقد قال الاستعمار ذلك ، وأشاعه على العالم بواسطة وسائل اعلامه ، فالى أي مدى يمكن أن نصدق هذه الاقوال ؟

لقد كنت في الصين لمدة تسعة شهور سبقت الثورة الثقافية .

وعشت الثورة الثقافية منذ بدايتها ، وتابعت تظاهرات المنظمات المشتركة فيها ، ولذا يحق لي فيما اظن أن أدلي برأيي في هذا الموضوع اكثر من اولئك الذين يتسقطون الاخبار على بعد عشرين الف ميل من موطن الثورة الثقافية ؟!...

ومن احاديثنا السابقة أحطنا بأسس ومراحل وأهداف الثورة الثقافية التي اعلنت قبل ثلاث سنوات في عموم الصين والتي اتخذت منذ اشهر طابعها التنفيذي .

وأدركنا من عرضنا لمجالات وانواع نشاطات الثورة الثقافية أنها مرت بالمراحل التالية :

١ ــ بروز المنحرفين عن الخط العام .
٢ ــ اخضاع المنحرفين للنقد الذاتي .
٣ ــ اخضاع المنحرفين للنقد العلني.
٤ ــ محاولة التظاهر بتصحيح الخطأ من قبل المنحرفين .
٥ ــ التكتل في سبيل احتلال المناصب الرئيسية في الدولة والحزب والمؤسسات الثقافية .
٦ ــ التآمر .
٧ ــ النقد العلني مرة ثانية .

ولكن هل توقفت عملية القفزة الكبرى في الادب والفن وفي مجالات الثقافة كافة خلال جميع هذه المراحل ؟

أبدا لم تتوقف عملية القفزة الكبرى وكل مافي الامر انه نبتت أعشاب سامة الى جانب الاعشاب المفيدة وقبل أن تتناولها أفواه الشعوب .

جاءت عملية التطهير للقضاء على السموم .

ان القفزة الكبرى التي رفعت الصين شعارها للتغلب على كل تخلف وللثورة على كل قديم رث ولخلق كل جديد رائع ، ولدمج روح العمل بالعلم ، وخلق الجيل المتطور من كل الجوانب ، وجعل الادب والفن في خدمة الشعب سياسيا واقتصاديا ، هذه القفزة الكبرى أنبتت في ميدان الادب والفن عباقرة من الفلاحين والعمال والجنود صورت أعمالهم روح العهد الثورية في تحدي الصعاب .

«وميزة اعمالهم الرئيسية تصوير روح العهد الثورية في تحدي جميع الصعاب التي تقف في طريق بناء الاشتراكية . ويعكس اسلوبهم الجديد القوي الثقة التي لا تنبعث الا من اناس يعون انهم يشيدون صرح مجتمع جديد » .

وبنفس الطريقة التي يعرفون بها لماذا يزرعون الحبوب أو يصنعون الصلب أو يتدربون على القتال يدركون لماذا يكتبون : انهم يكتبون لخدمة العمال والفلاحين والجنود ولدفع عجلة البناء الاشتراكي الى الامام وانجاز الثورة الاشتراكية وتصفية تأثير ثقافة الطبقات المستغلة بين اوساط الجماهير وتدعيم مركز الفكر والثقافة الاشتراكيين . وتبدو هذه الاهداف جلية في كل شكل من اشكال الادب ، في الروايات والقصص القصيرة والمسرحيات و « كواي بان » (القصائد التي تتلى على ايقاع خشبتين) والاهازيج والازجال الشعبية والحكايات الجديدة .

ونريد ان نقدم مثلا يوضح مهمة ومجالات الاديب الجديد الاديب العامل المسؤول ، وهذا المثل سيكون من محاولة « ليو » المسؤول عن احدى فرق الانتاج الذي اراد بدافع الامل ان يلهب في الاخرين نفس المشاعر تجاه العمل ، بدأ ينظم القصائد الشعرية . وكتب قصته القصيرة « قائد لاول مرة » على أساس تجاربه الخاصة . والعم العجوز بين من الاشخاص الذين لا يمكن نسيانهم في هذه القصة . ان العم بين الذي كان فلاحا فقيرا في الماضي قد كرس نفسه لكومونته ، ويتطلع الى المستقبل بينما يعلم رئيس فيلق انتاج شاب في الكومونة اهمية الاستماع الى آراء الفلاحين الفقراء القدامى والفلاحين المتوسطين من الطبقة الدنيا .

واثارت هذه القصة اهتماما كبيرا في عالم الادب . وقال ليو عندما سئل لماذا كتبها **«هناك في الريف اليوم عدد كبير من الشباب امثالي في مراكز المسؤولية . وأريدهم ان يعرفوا عن طريق الرواية الحية ، من هم اصدقاؤنا ومن هم أعداؤنا وعلى من يجب ان نعتمد ومع من نتحد . وأردت أيضا أن يكون العم بين مثالا لجميع الفلاحين »** .

واما تشن كوي تشن فزوجة لاحد عمال السكك الحديدية . وهي تروي في قصتها القصيرة « الناقوس » كيف تمارس زوجة احد سائقي القطارات الوعي السياسي وتقوم بأعمال ثورية بمساعدة زوجها العضو في الحزب الشيوعي . وتقول تشن كوي تشن ان القصة تدور حول حياتها نفسها : انها تكن حبا عظيما للحزب والمجتمع الجديد اللذين حرراها الامر الذي دفعها الى ان تجد طريقة ما للتعبير عنه . وقالت : « كنت أشعر كأن شيئا يؤلمني في الداخل حتى وجدت الطريقة للتعبير عنه » .

واليوم يعرف الادباء الهواة الحياة كمساهمين فيها لا كمراقبين . ويأخذ بعضهم قصب السبق في خلق المجتمع من جديد . انهم قادرون على ابراز تجاربهم ويستطيعون الكتابة بادراك عظيم لحياة الصين المتغيرة بسرعة كما يستطيعون ذلك بالنسبة لنظرته الروحية السريعة التغيرايضا. وهم قادرون على حقن مؤلفاتهم بالحماس ونسمات الحياة . ويعرفون تماما الابطال الذين يكتبون عنهم وماذا يفعلون ولماذا . والاهم من ذلك ان تفهمهم الواعي لافكار الرئيس ماو تسي تونغ مكنهم من استخدامها ليدركوا الطبيعة الاساسية لكل ما يشاهدون ويجربون ويدرسون ويحللون. ولهذا استطاعوا ان يصوروا ابطال العهد الاشتراكي بهذه الحيوية ويعكسوا حقا روح العصر .

على انه من التحليل النهائي لاعمال التخريب التي مارسها المتآمرون و لمعطيات القفزة الكبرى من الادب والفن لا يمكننا انكار الاثر الرديء الذي احدثته المؤامرة في عرقلة تكامل الثورة الثقافية اذ بدون هذه السموم كان من الممكن للثورة الثقافية ان تحقق انتصارات أعظم من التي حققتها .

وفي نفس الوقت لابد لنا من الاعتراف على اساس « رب ضارة نافعة » ان المؤامرة خدمت الصين خدمة كبرى ، وساعدت على تصحيح اخطاء الثورة الثقافية وتهيئة المناخ المساعد لها على نجاح القفزة الكبرى في الادب والفن .

اذ تعززت مبادىء حكم الطبقة العاملة وصفيت المعتقدات البرجوازية في النطاق العقائدي وخدمت بحق قضية توطيد ديكتاتورية الطبقة العاملة وأعدت الظروف الفكرية من أجل انجاز الاشتراكية وتحقيق اهدافها .

فقد وضح حقا لكل جماهير الشعب ، استحالة الهدنة بين الافكار الرجعية والافكار الاشتراكية ، أي بين الاشتراكية واعدائها ، ورفع الشعار الذي نادى به الرئيس ماوتسي تونغ القائل : لتعكس الاشياء بكاملها

انعكاسا تاما وتعكس جوهرها وقانونها الداخلي لا بد ان تبنى جملة من المفاهيم والموضوعات النظرية بعد اخضاع المعطيات الحسية الغزيرة لعملية من الصب الجديد والبناء الجديد فحواها اهمال الخام واصطفاء المصفى طرح المغلوط والاحتفاظ بالصحيح والانتقال من احد مظاهر الاشياء الى مظهر آخر من الخارج الى الداخل لا بد من القفز من المعرفة الحسية الى المعرفة العقلانية .

وتأكد للشعب كذلك صحة قرار الدورة الكاملة للحزب الشيوعي الصيني التي انعقدت مؤخرا والتي تبرز دور الشعب كمصدر للثورة الثقافية وكفاية لها ، فقد قال قرار هذه الدورة « ان نجاح هذه الثورة الثقافية الكبرى يعتمد في الاساس على الثقة بالجماهير والاعتماد عليها وتعبئتها تماما واحترام روح مبادراتها الخلاقة . ولذلك يجب التمسك بخط من الجماهير والى الجماهير . وان يكون المرء اولا تلميذا للجماهير قبل ان يكون معلما لها . وكن شجاعا في القيام بالثورة وكن جيدا في عمل الثورة . ولا تخف من الاضطرابات . وقاوم الموقف البرجوازي وحماية اليمينيين وضرب اليساريين . وكبح الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى . وقاوم خلق الاطارات والحدود لتقييد أيدي الجماهير . لاتعمل بمثل السادة أو تعل على رؤوس الجماهير وتفرض اوامرك عليهم بعماء .

ويجب التأييد الحماسي الحار لليساريين الثوريين والاهتمام بكسب وتوحيد جميع الناس الذين يمكن اتحادهم وتركيز القوة لضرب حفنة من اليمنيين البرجوازيين المعادين للحزب واشتراكية » .

اذ تأكد فعلا ان كل الثقافة وكل الادب والفن في العالم يتبعان لطبقة معينة وخط سياسي معين ، وانه في الواقع لا يوجد شيء اسمه الفن من اجل الفن ، والفن فوق الطبقات أو الفن متواز أو مستقل عن السياسة ، لانه في مجتمع طبقي يعيش كل فرد من الناس كعضو في طبقة معينة فان كل انواع التفكير بلا استثناء ستتسم بالطابع الطبقي .

وتأكد لكل الشعب ان النواحي الايديولوجية الخمس هي اساس البناء الاشتراكي أي ان السياسة والعمل والدراسة وحماية مصالح الجماعة وممارسة الاقتصاد في النفقات المنزلية هي الاخلاقيات والمثاليات التي تؤدي الى الاشتراكية فعلى كل مواطن الاخذ بها والعمل على تحقيق أهدافها .

وفي مجال الصراع الطبقي أكد المتآمرون للشعب الصيني ، وللعالم

اجمع ان حقيقة استمرار الصراع الطبقي في كل المراحل الاشتراكية وحتى تجاوزها الى الشيوعية وما بعدها سوف يستمر وسوف يتطلب نضالا وثورة مستمرين ، ولذا لاسبيل الى التهاون ولا سبيل الى ترك السلا ح.

هذه الحقائق جميعها توضحت للشعب بفضل المتآمرين الذين ظنوا أن ظروف الصين الصعبة ، الخارجية والداخلية ، سوف تشغل الرأي العام عن مراقبتهم وسوف تتيح لهم تجميع قوى الثورة المعاكسة وتنميتها، ولكن الامر جاء مغايرا لما يبتغون اذ كان كشف التآمر فرصة طيبة لتطهير الصف وتقويته ودفع عجلة التقدم في البناء الاشتراكي الى امام .

لقد توضح للشعب الصيني ليس فقط الخط السليم الذي يجب أن يتجه فيه وهو خط الثورة المستمرة ضد الصراع الطبقي وانما خط الحفاظ على الانتصارات ضد الجبال الضخمة الثلاثة التي انهارت بفضل نضاله وهي الامبريالية والاقطاعية والرأسمالية البيروقراطية ، وهي انتصارات جعلته في بداية صحيحة لمهمة بناء شخصيته الجديدة ، شخصية الانسان الجديد . انسان الاشتراكية الكامل .

وهكذا عادت الثورة الثقافية على الشعب الصيني بأحسن النتائج، اذ جددت وحدة صفه ضد اعدائه ، وعلمته ان الانتصارات مراحل يجتاز كلا منها ليخوض من بعدها معركة جديدة في سبيل نصر جديد ، وانه في كل نصر يحققه على نوعية من الاعداء يواجه نوعية جديدة من الاعداء، ولذا أبدا ليس من مصلحته القاء السلاح .

الحرس الاحمر

وخلال الثورة الثقافية تردد اسم الحرس الاحمر كثيرا ، وتناقلت صحف العالم على اختلاف ميولها السياسية هذا الحرس باساليب تنسجم مع اتجاهاتها وموقفها من الصين عامة ، ومن الحرس الاحمر بالتخصيص . فما هو الحرس الاحمر ؟ هل هو منظمة دائمة ، هل هو تكتل سياسي قديم؟ هل هو فصيلة من فصائل الشباب الاحمر ، أو جيش التحرير ، أو الحزب ؟!

وماذا صنع الحرس الاحمر خلال الحملة الثقافية واعمال التطهير ، هل ارتكب فعلا اعمالا غـــير مشروعة كما زعم اخصامـــه ، الصينيون والاجانب ؟!

لنجب اولا على السؤال الاول :

ان الحرس الاحمر ليس منظمة سياسية ولا هو تكتل قديم ولا هو فصيلة من الشباب الاحمر أو الحزب أو جيش التحرير ، وانما هو فئة واعية من الطلاب والمعلمين ، اشتركوا عمليا ونظريا في الثورة الثقافية . في مراحلها العديدة ، وآمنوا بضرورتها ، واكتشفوا خلالها الجراثيم التي كانت تريد العبث بالنظام ، والاطاحة بالحكم ، وارجاع الصين الى الرأسمالية والاقطاع والنفوذ الاجنبي .

ولقد تكتل الطلاب والمعلمون ، رضائيا في حلقات تثقيفية شرحوا خلالها لبعضهم معنى الثورة الثقافية واهدافها كما فضحوا أعداء الثورة المتسللين الى الحزب وادارات الدولة والمناصب الجامعية والتعليمية والى أجهزة الادب والفن والصحافة .

ومن أبرز ميزات الحرس الاحمر انه يؤلف الفئة المثلى من الطلاب والمعلمين الذين درسوا مبادىء ماوتسي تونغ دراسة واعية ، وطبقوها على أنفسهم خلال الدراسة ، والعمل العضلي ، فكما مارسوا التعلم والتعليم ، مارسوا كذلك الاعمال الزراعية والصناعية ، والخدمات العامة . وكذلك الجندية ، واظهروا للشعب فوائد التعاون بين قطاعات الانتاج واثر ذلك في ذوبان الطبقات .

وبالتشاور بين الطلاب والمعلمين في جميع الصين ، وبعد مؤتمرات وندوات واسعة ومتعددة ، قرر الحرس الاحمر أن يكون دعامة للثورة الثقافية ومنفذا عمليا لكل قراراتها .

لقد كان الحرس الاحمر مسلحا بسلاحين معا ، السلاح الفكري الذي احتوته مؤلفات الرئيس ماوتسي تونغ ، والسلاح الارادي الذي يدفع الى وضع افكار ما وتسي تونغ في موضع التنفيذ . وبعبارة أصرح لقد كان مسلحا بمبدأ ((**تحويل النظرية الى التطبيق**)) .

ولقد كان الحرس الاحمر شيئا جديدا في مراحل الثورة الثقافية في الصين ، لانه لاول مرة في التاريخ الثوري ، تنبري قوة شعبية للدفاع عن مكتسباتها ضد اعدائها الداخليين ، ملتزمة المبادىء العامة ، ومحافظة على أموال الشعب ، ومحترمة كل انسان لم يدنه التحقيق ، ولا أدانته لجان الاحياء ..

وهكذا قام الحرس الاحمر بالنضال بحزم وشجاعة ضد المسؤولين في الحكم الذين يتخذون الطريق الرأسمالي ، وضد جميع الوحوش والاشرار المخربين للثورة الثقافية وأصبح الحرس قوات صاعقة في هذه الثورة .

وكان الحرس الاحمر يقدم الاقتراحات القيمة ، بقدر ما كان يحقق من المكاسب الرائعة فيالنضال لتحطيم الافكار والثقافة والتقاليد والعادات القديمة للطبقة المستغلة ، ولتوطيد الافكار والثقافة والتقاليد والعادات الجديدة البروليتارية وفقا لتعاليم الرئيس ماوتسي تونغ .

ولقد الهب الحرس الاحمر حماسة الجماهير بفضل اعماله التي ارفقها بحملات التثقيف ، اذ لم يقدم على عمل الا واتبعه بشرح اسبابه ومبرراته والفائدة من تنفيذه .

وهكذا اصبح الحرس الاحمر حدثا جديدا في الافق الشرقي يؤكد فعالية الشباب الثوري وضرورتها كما يؤكد قدرتها على دعم البناء الاشتراكي وحمايته ، ليس فقط لانه عنصر عظيم من عناصر البناء ، بل ولانه كذلك رمز المستقبل والوارث الحتمي للنضال ، وصاحب الحق الشرعي والطبيعي في حصاد مكاسب الاشتراكية .

ولقد رعا الرئيس ماو تسي تونغ وصديقه الاقرب وأعظم مثقفبمبادئه لين بياو وكذلك جميع المسؤولين الصينيين الثورة الثقافية وباركوها منذ أعلنها الرئيس ماو تسي تونغ في النصف الاخير من عام ١٩٥٧ ، وحين برز الحرس الاحمر في ميدان الثورة الثقافية يوم الخامس عشر من ايلول ١٩٦٦ لم يكتف الرئيس ماوتسي تونغ ، بمباركة اعمالهم وانما استقبلهم ، واستعرض صفوفهم أكثر من مرة في ساحة السلام السماوي ، وقال لهم وللجماهير التي احاطت بهم للمشاركة بتحيتهم ((**يجب عليكم أن تهتموا بالثورة الثقافية البروليتارية العظمى الى النهاية**)) وقال لهم لين بياو ((**ان اتجاه نضالكم العام صائب من أوله الى آخره والرئيس ماو ولجنة الحزب المركزية يؤيدونكم تأييدا حازما ، كما تؤيدكم الجماهير الواسعة من العمال والفلاحين والجنود تأييدا قويا . وان اعمالكم الثورية قد هزت المجتمع كله ، وهزت الحثالات الباقية التي خلفها العالم القديم . وحققتم نتائج رائعة في معركتكم لتحطيم ((الاشياء الاربعة القديمة ، الافكار القديمة ، والثقافات القديمة ، والتقاليد القديمة ، والعادات القديمة)) وتنمية الاشياء الاربعة الجديدة ((الافكار الجديدة والثقافات الجديدة ، والتقاليد الجديدة والعادات الجديدة)) ووضعتم المسؤولين في الحكمالذين يتخذون الطريق الرأسمالي ((والثقاة)) البرجوازيين وسفاكي الدماء والطفيليين وضعتموهم موضعا حرجا ، لقد قمتم بنشاط صائب وحسنا فعلتم**)) .

وفي لقاء آخر ، ظهر الرئيس ماوتسي تونغ على شرفة ساحة السلام

السماوي وهو يضع شارة الحرس الاحمر على ساعده فهتفت ملايين الجماهير ((**انظروا ان الرئيس ماو يضع شارة الحرس الاحمر انه الرئيس الحقيقي للحرس الاحمر**)) وهنا سارع شبان الحرس الاحمر الى الشرفة وقدموا له شارتهم للمرة الثانية ، وتقبلوا منه التهاني والتشجيع ، وتكلم من بعد ذلك لين بياو مخاطبا الجماهير والحرس الاحمر بقوله : ((**ان مهمة الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى هي مهمة طويلة الامد وستستمر وقتا طويلا جدا ، وما دامت الافكار البرجوازية باقية يوما فلا بد لنا من أن نناضل يوما .**))

وقال لين بياو :

((**ان هدف الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى هو ازالة الايديولوجية البرجوازية وتنمية الايديولوجية البروليتارية وتحويل عقول الناس وتحقيق تثوير تفكير الناس وتوطيد وتطوير نظام الاشتراكية**)) .

((**ونريد أن نسقط اولئك الناس الذين هم في السلطة ويسيرون في في الطريق الرأسمالي ونسقط الثقاة البرجوازيين الرجعيين ونسقط جميع الملكيين البرجوازيين ونعارض الاعمال المختلفة الاشكال لكبت الثورة ونسحق جميع الفيلان والشياطين .**

((**واننا نريد ان نقتلع جذور كافة الافكار والثقافات والتقاليد والعادات القديمة للطبقات المستغلة (بكسر الغين) ونصلح كافة اجزاء البناء الفوقي التي لاتتناسب مع القاعدة الاقتصادية الاشتراكية وكما نريد أن نزيل كل ما يضر الناس ونزيل كافة العقبات .**

((**واننا نريد ان نقيم الثقاة البروليتاريين ونرسخ الافكار والثقافات والتقاليد والعادات الجديدة البروليتارية باختصار فاننا نريد أن نرسخ أفكار ماوتسي تونغ ونريد أن يتمسك مئات الملايين من الشعب بأفكار ماوتسي تونغ . وتحتل أفكار ماوتسي تونغ كافة المراكز الايديولوجية ونريد أن نغير الملامح الروحية للمجتمع كله بأفكار ماو تسي تونغ ونحول افكار ماو تسي تونغ هذه القوة المعنوية العظيمة الى القوة المادية العظيمة .**))

اما رئيس فرقة الثورة الثقافية التابعة للحزب الشيوعي الصيني بودا فقد قال في السادس عشر من ايلول (اغسطس) مخاطبا ملايين الجماهير التي اعلنت تأييدها لاعمال الحرس الاحمر ، ووقفت تتلقى تأييد الرئيس ماوتسي تونغ ورجال الدولة والحزب قال : ان الثوريين لايمكن ان ينمو في الحجرات الدافئة ، بل يجب عليهم ان ينموا في تيارات العاصفة الكبرى

والامواج الشديدة ، وعلينا ان نصهر انفسنا بمئات الوف المرات كما يجب عليكم ان تصمدوا امام التجربة الطويلة الامد ، وعليكم أن تلقوا بأنفسكم في خضم الجماهير مرارا وتكرارا لتحولوا انفسكم الى ثوريين يكافحون من أجل الشعب والاشتراكية . وان الثورة لست امرا بسيطا فاذا أردتم احراز انتصار الثورة فيجب عليكم ان تتغلبوا على كافة العراقيل والصعوبات وتستطيعون بعد المرور بالتجربة الطويلة أن تصمدوا أمام أي تعذيب .

اما شو اين لاي رئيس مجلس الوزراء فلقد خاطب الحرس الاحمر وجماهير الشعب المحيطة به قائلا :

((لقد علمنا الرئيس ماو بان الثورة تعتمد على أنفسنا . ويجب علينا أن نثقف انفسنا وان نحرر انفسنا ونقوم نحن انفسنا بالثورة . ويجب على جميع الثوريين ان يخدموا الشعب بكل اخلاص كما ان يكونوا خداما مخلصين للشعب ويكونوا تلاميذ للجماهير قبل أن يكونوا اساتذتها . اننا نعارض بحزم وثبات اسلوب عمل كل شيء بالنيابة عنهم كما نقاتل من يعملون مثل السادة أو يعاون على رؤوس الجماهير ويفرضون أوامرهم عليهم بعماء .))

وأردف يقول : **((انني ارجو ان يتعلم الطلاب الثوريون ببكين والطلاب الثوريون الذين جاءوا من ارجاء البلاد يتعلمون من بعضهم البعض ويؤيدون بعضهم البعض ويتبادلون خبراتهم ويعززون الوحدة الثورية .))**

وقال : **((ان المهمة الرئيسية للاساتذة والطلبة الثوريين ان كانوا من بكين أو من غيرها من الاماكن الاخرى هي اتقان الثورة الثقافية الكبرى في وحداتهم أي اتقان النضال والنقد والاصلاح . وهذه المهمة مجيدة وكذلك شاقة ويجب عليكم ان تجرؤوا على تحملها بانفسكم ونؤمن بأنكم تستطيعون بالتاكيد أن تتحملوها .))**

وقال شو اين لاي في نفس المناسبة مخاطبا مليونا من أبناء الشعب المؤيدين للحرس الاحمر : **ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني عقدت مؤخرا دورتها الكاملة الحادية عشرة للجنة المركزية الثامنة للحزب الشيوعي الصيني وهذه الدورة عقدت برئاسة الرئيس ماو تسي تونغ نفسه ، كما ان هذه الدورة ذات أهمية تاريخية كبرى ، ونجاح هذه الدورة يعتبر انتصارا جديدا لافكار ما وتسي تونغ .**

واضاف يقول ان المواد الست عشرة التي اجيزت في هذه الدورة

للحزب وضعت تحت قيادة الرئيس ماو بنفسه وهي برنامج لثورة الثقافية البروليتارية الكبرى . يجب على جميع الرفاق الثوريين أن يتعلموها وان يتعرفوا عليها وان يجيدوها ويطبقوها بجد . كما انها سلاح لنضال ثورتنا الثقافية البروليتارية الكبرى ومرشدة لاعمالنا . يجب علينا ان نجيدها ونطبقها وننفذها في اعمالنا وافعالنا . »

فما هي هذه المواد الست عشرة التي اتخذت في الثامن من آب ١٩٦٦؟

المواد الست عشرة

اننا ننقل هذه المواد الست عشرة ونضعها امام القراء ، انما نقصد التأكيد على ان الحرس الاحمر لم يقم بأي عمل اعتباطي ولا ارتجالي ، وانما نفذ مبادىء الحزب ، ووضع نتائج الثورة الثقافية في موضع التنفيذ .

(١) مرحلة جديدة في الثورة الاشتراكية

ان الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى الحالية هي ثورة عظمى تلمس الانسان في أعمق أعماقه وتمثل مرحلة جديدة في تطور الثورة الاشتراكية الصينية تتميز بمزيد من العمق والاتساع .

وقد قال الرفيق ماوتسي تونغ في الاجتماع العام العاشر للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني المنبثق عن مؤتمره الثامن ما يلي : يجب بالضرورة وبالدرجة الاولى لاجل قلب نظام ما اعداد الرأي العام والعمل في المجال الايديولوجي . وهذا صحيح بالنسبة للطبقات الثورية كما هو بالنسبة للطبقات المعادية للثورة . وقد برهنت التجربة على ان نظرية الرفيق ماوتسي تونغ صحيحة كل الصحة ... فبالرغم من أن البورجوازية قد قلبت فهي تحاول افساد الجماهير والاستيلاء على مشاعرها عن طريق الفكر والثقافة والاخلاق والعادات القديمة للطبقات المستثمرة (بكسر الميم) في سبيل استعادة مركزها . أما البروليتاريين فيجب عليهم القيام بالعكس أي التصدي لكل تحد يصدر عن البورجوازية في الميدان الايديولوجي وتحويل الطبيعة الاخلاقية لكل المجتمع عن طريق الفكر والثقافة والاخلاق والعادات الجديدة الخاصة بالبروليتاريين . والهدف الذي نصبو اليه في الوقت الحالي هو مكافحة وسحق اولئك الذين يشغلون المراكز القيادية وهم يتبعون الطريق الرأسمالية وانتقاد « السلطات » الاكاديمية الرجعية للبورجوازية وجميع الطبقات الاخرى المستثمرة (بكسر الميم) واصلاح التعليم والادب والفن وجميع الفروع الاخرى الكيانية التي

لاتنسجم والقاعدة الاقتصادية الاشتراكية وذلك لاجل المساهمة في تدعيم وتطوير النهج الاشتراكي .

(٢) التيار الرئيسي والاعوجاجات

ان الجماهير الواسعة للعمال والفلاحين والجنود والمثقفين الثوريين تشكل القوة الرئيسية لهذه الثورة الثقافية الكبرى . وهناك عدد كبير من الثوريين الشبان كانوا مجهولين قبل الآن فأصبحوا خلالها الآن روادا شجعانا وبرهنوا عن حيويتهم وحكمتهم . وقد شنوا هجوما مصمما على ممثلي البورجوازية المكشوفين والخبيثين وذلك على شكل جرائد جدارية مكتوبة بالاحرف الضخمة ومناقشات كبرى وتعبير عن الرأي وعن طريق الفضح الكامل والنقد الجذري . ومن الحتمي في مثل هذه الحركة الثورية ذات النطاق الواسع أن يظهر بعض نقص الكفاءة لديهم هنا أو هناك ولكن اتجاههم الثوري العام كان دوما صحيحا ؛ وهو التيار الرئيسي للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى .

ولما كانت الثورة الثقافية ثورة فلابد لها من ان تصطدم بمقاومة ما ، وقد صدرت هذه المقاومة بصورة رئيسية عن اولئك الذين وصلوا الى المراكز القيادية بعد أن تسللوا الى الحزب ولكنهم يتبعون الطريق الرأسمالية ، كما صدرت أيضا عن قوة العادات القديمة للمجتمع ، ولا تزال هذه المقاومة قوية وعنيدة في الوقت الحاضر ولكن الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى هي بصرف النظر عن كل شيء اتجاه عام لايمكن مقاومته . وقد بين عدد كبير من الاحداث ان من الممكن اكتساح مثل هذه المقاومة بسرعة شريطة أن تتم تعبئة الجماهير بكاملها .

ولما كانت المقاومة على درجة من القوة فان الكفاح سيعرف المد والجزر بل وحتى مرات عديدة من الجزر . ولكن هذا المد والجزر غير ضارين لانهما سيأذنان للبروليتاريا والطبقات العاملة الاخرى باختبار الامور واستنتاج العبر من خبرتهم كما سيساعدانها على ادراك أن الطريق الثورية صعبة وغير خالية من العقبات .

(٣) اعطاء الاولوية للجرأة وتعبئة الجماهير دون تحفظ

ستتوقف نتيجة الثورة الثقافية الكبرى الحالية على جرأة قيادة الحزب على تعبئة أو عدم تعبئة الجماهير دون تحفظ . ويوجد في الوقت الحاضر أربع حالات مختلفة فيما يتعلق بسلوك منظمات الحزب على مختلف

المستويات في طريقتها لقيادة حركة الثورة الثقافية :

١ ــ يقف قادة منظمة الحزب في الصف الاول من الحركة ويجرأون على تعبئة الجماهير دون تحفظ . فهم باعطائهم الاولوية للجرأة مناضلون شيوعيون حازمون وتلامذة صالحون للرئيس ماو . وهم يتبنون الصحف الجدارية بالاحرف الضخمة والمناقشات الكبرى ويشجعون الجماهير على فضح الشياطين المفسدين من كل نوع وكذلك على نقد النواقص والاخطاء في عملهم الشخصي بالذات . تأتت لهم هذه القيادة الصحيحة من اعطائهم الاولوية للسياسة البروليتارية ووضعهم تفكيرماو تسي تونغ في المقام الاول .

٢ ــ وهناك العديد من الاجهزة لم يفهم المسؤولون عنها بعد جيدا دورهم كقادة في هذا الكفاح الكبير ولا تزال قيادتهم بذلك بعيدة عن الجدية والفعالية . ولذلك فانهم يجدون أنفسهم الآن في وضع ضعيف ويتبين عجزهم . وما يسود لدى هؤلاء هو التخوف فيتشبثون بالانظمة القديمة ولا يريدون الانتهاء من الطرق الرتينية ولا التقدم في الطليعة . وقد داهمهم النظام الثوري الجديد للجماهير وهم يرون الاوضاع والجماهير تتجاوز قيادتهم .

٣ ــ اما بالنسبة لبعض الاجهزة الاخرى فقد ارتكب المسؤولون هذه الاخطاء أو تلك في عملهم اليومي ، ولذلك فان الخوف ينتابهم أكثر من غيرهم ويخشون ان تنتصب الجماهير امامهم وتأخذهم بأخطائهم . وفي الواقع فانهم حين يلجأون الى النقد الذاتي جديا ويقبلون نقد الجماهير يستطيعون الافادة من تفهم الحزب والجماهير . ولكنهم اذا تصرفوا بطريقة مغايرة فسيتابعون ارتكاب الاخطاء ويتحولون حتى الى عراقيل في طريق الحركة الجماهيرية .

٤ ــ وأما بالنسبة لبعض الاجهزة الاخرى فان القيادة واقعة تحت سيطرة عناصر تسللت الى الحزب واستولت على المراكز القيادية ولكنهم يسلكون الطريق الرأسمالية . وهذه العناصر الحاكمة تخاف كل الخوف أن تفضحها الجماهير فهم يبحثون بالتالي عن كل الذرائع لقمع الحركة الجماهيرية ويلجأون الى وسائل كتحوير الاهداف واظهار ما هو أبيض على أنه أسود أملا منهم بقيادة الحركة الى طريق سيئة . وعندما يشعرون بعزلتهم ولا يستطيعون الاستمرار في التصرف بهذه الطريقة فانهم يلجأون الى دسائس أخرى يطعنون بها من الخلف كنشر الشائعات المزيفة والتضليل

ما امكنهم عن الفارق بين الثورة والثورة المعاكسة للوصول من ذلك الى مهاجمة الثوريين .

وما تطلبه اللجنة المركزيةللحزب من لجان الحزب على كافة المستويات هو المثابرة على القيادة الصحيحة واعطاء الاولوية للجرأة وتعبئة الجماهير دون تحفظ ووضع حد لحالة الضعف والعجز وتشجيع الرفاق الذين ارتكبوا اخطاء ولكنهم يريدون تقويمها ونفض ثقل الاخطاء عن كاهلهم للانضمام الى الكفاح وعزل من يشغلون مناصب قيادية وهم آخذون بالطريق الرأسمالية واستعادة القيادة منهم للعهدة بها الى الثوريين البروليتاريين .

(٤) فلتعلم الجماهير نفسها بالحركة

لاتستطيع الجماهير في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى الا ان تحرر نفسها بنفسها ولا يمكن بأية طريقة كانت العمل عوضا عنا .

ويجب الثقة بالجماهير والاعتماد عليها واحترام عقلية المبادرة لديها كما يجب نبذ التخوف وعدم الخشية من الاضطرابات . وقد علمنا الرئيس ماو دائما أنه لايمكن القيام بثورة مع التمسك بكل اللياقة والتهذيب أو بالعذوبة واللطف والادب والمجاملة وكرم الخلق .. فلتعلم الجماهير نفسها بنفسها في هذه الحركة الثورية الكبرى ولتقم بالتمييز بين ما هو صالح وما هو ليس بصالح .. بين طرائق العمل الصحيحة وغير الصحيحة.

ويجب اللجوء بصورة كاملة الى استخدام الجرائد الجدارية بالحروف الضخمة والى المناقشات الكبرى لاتاحة المجال لعرض الآراء بصورة صريحة وواسعة وذلك حتى تتمكن الجماهير من التعبير عن آرائها السديدة ونقد الآراء الخاطئة وفضح العقول المسيئة . وبهذه الطريقة فان الجماهير الواسعة ستتمكن خلال الكفاح من الارتقاء بوعيها السياسي وزيادة طاقتها ومواهبها والتمييز بين ما هو صحيح وما هو غير صحيح وتمييز الاعداء المختفين في صفوفها .

(٥) التطبيق المصمم لخط صف الحزب

من هم أعداؤنا ؟ ومن هم أصدقاؤنا ؟. هذا سؤال ذو أهمية رئيسية في الثورة وهو أيضا سؤال ذو أهمية رئيسية في الثورة الثقافية الكبرى .

ويجب أن تبرع قيادة الحزب في اكتشاف اليسار وتطوير وتدعيم صفوفه والاعتماد بتصميم على اليسار الثوري، فهذه هي الطريقة الوحيدة التي سيتاح بها خلال الحركة العزل الكامل لعناصر اليمين الاكثر رجعية

وكسب عناصر الوسط وتوحيد الاغلبية العظمى والوصول بواسطة هذه الحركة الى توحيد اكثر من ٩٥٪ من الكادرات واكثر من ٩٥٪ من الجماهير .

ويجب أيضا تركيز القوى لضرب تلك القبضة من عناصر اليمين البورجوازية والمنحرفين المعادين للثورة وهم في أقصى الرجعية .. فمن انواجب فضح جرائمهم وهي معارضتهم للحزب والاشتراكية وفكر ما وتسي تونغ وانتقاد هذه الجرائم بكل أعماقها حتى يتم عزل هؤلاء الناس الى الدرجة القصوى .

وتستهدف الحركة الحالية بصورة رئيسية أولئك الذين يشغلون مناصب القيادات في الحزب ويسلكون طريق الرأسمالية ، فيجب التنبه الى وجوب التمييز الدقيق بين عناصر اليمين هذه العدوة للحزب وللاشتراكية وبين أولئك الذين يساندون الحزب والاشتراكية ولكنهم تلفظوا بأقوال خاطئة أو ارتكبوا أعمالا خاطئة أو كتبوا مقالات سيئة أو مؤلفات يتطلب محتواها المزيد من العناية .. كما يجب التنبه الى التمييز بدقة أيضا بين العلماء الطغاة الرجعيين و «السلطات» الرجعية للبورجوازية من ناحية وبين أولئك الذين يحملون أفكارا أكاديمية بورجوازية عادية من ناحية أخرى .

(٦) الحل الصحيح للتناقضات الموجودة داخل الشعب

يجب التمييز بدقة بين نوعي التناقضات المختلفي الطبيعتين : أي التناقضات داخل الشعب والتناقضات بين أعدائنا وبيننا . اذ لايجب معالجة التناقضات داخل الشعب بنفس طريقة التناقضات بيننا وبين اعدائنا كما لا يجب اعتبار التناقضات بين اعدائنا وبيننا كتناقضات داخل الشعب ... فمن الطبيعي أن يكون هناك آراء مختلفة لدى الجماهير الشعبية ومن المحتم أن تتجابه هذه الآراء المختلفة فذلك ضروري ومفيد وستعرف الجماهير الشعبية خلال مناقشة طبيعية يسار فيها الى النهاية كيف تؤكد ما هو صحيح وتصحح ما هو خاطىء وستصل بالتدريج الى الاجماع .

ويجب خلال النقاش تطبيق منهج محاكمة الامور بالاستناد الى الوقائع والاقناع بواسطة هذه المحاكمة . وليس من المسموح استعمال القسر لاخضاع الاقلية التي تؤيد وجهات نظر مخالفة ، بل يجب حماية الاقلية لان الحق قد يكون بجانبها أحيانا . ومن المسموح لها حتى حين

يكون لها وجهات نظر خاطئة ان تدافع عن نفسها وتحتفظ بآرائها ... فيجب اللجوء خلال نقاش ما الى المحاكمة الفكرية وليس الى القسر والاجبار .

ويجب على كل ثوري خلال النقاش أن يعرف كيف يفكر بصورة مستقلة ويطور هذه العقلية الشيوعية المكونة من الجرأة على التفكير والجرأة على الكلام والجرأة على العمل . كما يجب على الرفاق الثوريين تجنب النقاش الى ما لا نهاية حول الامور الثانوية ضمن نطاق اتجاه عام واحد ، وذلك لاجل تدعيم الوحدة .

(٧) الاحتراس من الاشخاص الذين يحاولون دفع الثوريين الى صفوف اعداء الثوريين

نظم المسؤولون عن بعض مؤسسات التعليم واجهزة او مجموعات العمل هجمات معادية استهدفت الجماهير التي انتقدتهم بواسطة الجرائد الجدارية بالاحرف الضخمة . حتى انهم طرحوا شعارات تقول أن معارضة المسؤولين عن جهاز او مجموعة عمل هي معارضة للجنة المركزية للحزب، ومعارضة للحزب وللاشتراكية فهي تشكل ثورة معاكسة . وحين يتصرف هؤلاء بهذه الطريقة فانهم يضربون حتما مناضلين ثوريين أصيلين ، وهذا خطأ في الاتجاه وخطأ في الخط فهو أمر غير مقبول مطلقا .

وهناك البعض ممن يحملون أفكارا فادحة الخطأ وبصورة خاصة عناصر اليمين المعادية للحزب وللاشتراكية فأخذوا من بعض النقائص والاخطاء التي ظهرت في الحركة الجماهيرية كيما ينشروا الشائعات والاكاذيب ويثيروا الاضطراب دافعين عن قصد قسما من الجماهير الى صف أعداء الثوريين .. فمن الضروري الاحتراس من هؤلاء اللصوص ، وفضح الاعيبهم في حينها .

ويجب عدم اتخاذ أي اجراء ضد طلاب وتلامذة الجامعات والمعاهد والمدارس الثانوية والابتدائية بشأن المشاكل التي تظهر بينهم أثناء الحركة، وذلك باستثناء أعداء الثوريين الفعالين الذبن تدل عليهم البراهين البدهية والمذنبين بجرائم القتل والحرق والتسميم والتخريب وسرقة اسرار الدولة الخ... فتعالج حالات هؤلاء طبقا للقانون لتجنب تحوير الكفاح عن هدفه الرئيسي ، وليس من المسموح تحريض قسم من الجماهير مهما كانت الذريعة على مكافحة قسم آخر منها أو تحريض مجموعة من الطلاب

ضد مجموعة أخرى منهم حتى ولو تعلق الامر بعناصر يمينية حقيقية بل يجب حل مشاكلهم تبعا لكل حالة في المرحلة الاخيرة من الحركة .

(٨) حـول الكادرات

تنقسم الكادرات بوجه عام الى الاصناف الاربعة التالية :

١ ـ الصالحين .
٢ ـ الصالحين نسبيا .
٣ ـ اولئك الذين ارتكبوا أخطاء فادحة ولكنهم ليسوا يمينيين معادين للحزب ومعادين للاشتراكية .
٤ ـ عدد ضئيل من اليمينيين المعادين للحزب والمعادين للاشتراكية

وبوجه عام فان الصنفين الاولين (الصالحين او الصالحين نسبيا) يشكلان الاغلبية العظمى . . أما بالنسبة لليمنيين المعادين للحزب والمعادين للاشتراكية فيجب فضحهم بصورة كاملة والقضاء عليهم وشل حركاتهم عن الاذى ونزع اعتبارهم وتصفية نفوذهم . . . ويجري ارشادهم في الوقت نفسه الى مخرج بحيث يتمكنون من العودة الى الطريق القويمة .

(٩) حول مجموعات ولجـان ومؤتمرات الثورة الثقافية

بدأ عدد من الاشياء الجديدة يظهر في حركة الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ، فمجموعات ولجان الثورة الثقافية وكذلك الاشكال الاخرى للمنظمات التي خلقتها الجماهير في مدارس عديدة ومؤسسات عديدة هي أمور جديدة وذات أهمية تاريخية كبرى .

وان مجموعات ولجان ومؤتمرات الثورة الثقافية هي خير أشكال التنظيم الجديدة التي تعلم الجماهير نفسها بنفسها فيها تحت قيادة الحزب الشيوعي . فهي تشكل جسرا ممتازا يأذن لحزبنا بالحفاظ على التماسك الضيق مع الجماهير وهي أجهزة السلطة للثورة الثقافية البروليتارية . وسيغطي الكفاح الذي تقوم به البروليتاريا ضد التفكير والثقافة والاخلاق والعادات القديمة الموروثة عن جميع الطبقات المستثمرة (بكسر الميم) خلال آلاف السنين ، سيغطي مرحلة طويلة جدا بالضرورة. وبالتالي فانه يجب ان لا تكون مجموعات ولجان ومؤتمرات الثورة الثقافية منظمات وقتية بل منظمات جماهيرية دائمة ينبغي أن تعمل ردحا طويلا . وهي لا تلائم مؤسسات التعليم وأجهزة الدولة فحسب بل تلائم أيضا من

حيث تأسيسها المعامل والمناجم والمؤسسات وأحياء المدن والقرى .

ومن الضروري تطبيق منهج انتخابي عام شبيه بمنهج كومونة باريس لاجل انتخاب اعضاء مجموعات ولجان الثورة الثقافية وممثلي الثورة الثقافية في المؤتمرات . ويجب اقتراح قوائم المرشحين من قبل الجماهير الثورية بعد مشاورات واسعة ولن تجري الانتخابات الا بعد المناقشات المتكررة لهذه القوائم من قبل الجماهير .

وللجماهير الحق في كل حين بانتقاد أعضاء مجموعات ولجان الثورة الثقافية والممثلين المنتخبين لمؤتمرات الثورة الثقافية . ويمكن استبدال هؤلاء الاعضاء والممثلين بالانتخاب وعزلهم من قبل الجماهير بعد المناقشات اذا أبدوا عدم كفايتهم .

ويجب أن تتكون مجموعات ولجان ومؤتمرات الثورة الثقافية في مؤسسات التعليم من ممثلي الطلاب والتلامذة الثوريين بشكل أساسي كما يجب أن يكون بينهم في الوقت نفسه عدد من ممثلي المدرسين والعمال الثوريين .

(١٠) اصلاح التعليم

ان اصلاح المنهج التربوي القديم وكذلك المبادىء والاساليب التعليمية مهمة ذات أهمية قصوى للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى الجارية . ويجب أن تنتهي تماما ظاهرة المثقفين البورجوازيين الذين يهيمنون على مؤسساتنا التعليمية خلال هذه الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى .

ويجب تطبيق السياسة التي وضعها الرفيق ماوتسي تونغ في جميع المؤسسات التعليمية بكل حذافيرها ، هذه السياسة التي يجب أن تكون التربية بموجبها في خدمة سياسة البروليتاريا وأن تمتزج مع العمل الانتاجي حتى يتمكن كل أولئك الذين يتلقون التعليم من تطوير أنفسهم فكريا وجسمانيا لكي يصبحوا شغيلة مثقفين يمتلكون ضميرا اشتراكيا .

ويجب ايضا تنويع عدد التلامذة كما يجب انقاص وتحسين البرامج الدراسية. ويجب اصلاح المواد الدراسية بصورة جذرية كما يجب تبسيط بعضها أولا . ويجب على التلامذة والطلاب أن يكرسوا أنفسهم بصورة رئيسية للدراسة ذاتها ولكن عليهم أن يتعلموا في الوقت نفسه شيئا آخر أو بتعبير آخر يجب عليهم ألا يثقفوا انفسهم على الصعيد الدراسي فحسب وانما على صعيد الانتاج الصناعي والزراعي وعلى صعيد الفن العسكري كذلك

ويجب عليهم في كل مرة يشتركون فيها في كفاحات الثورة الثقافيــة ان يساهموا في نقد البورجوازية .

(١١) حول النقد الجاري بصورة اسمية في الصحافــة

يجب علينا ونحن نقوم بالحركة الجماهيرية للثورة الثقافية ان لانمزج نشر المفهوم البروليتاري للعالم ، مفهوم الماركسية اللينينية وتفكير ماوتسي تونغ بنقد الايديولوجية البروجوازية والاقطاعية .

ويجب تنظيم نقــد الممثلين النموذجيين للبورجوازية الذين تسللوا الى الحزب ونقد «السلطات » الاكاديمية الرجعية للبورجوازية ، كما يجب أن يتضمن هذا النقد نقد جميع أنواع وجهات النظر الرجعية في مجالات الفلسفة والتاريخ والاقتصاد السياسي والتربية في المؤلفات الادبية والفنية وفي علوم الطبيعة .

ويجب أن يخضع كل نقد تقوم به الصحافة اسميا الى مناقشات لجنة الحزب على نفس المستوى ، وأن يخضع في بعض الحالات الى موافقــــة لجنة الحزب على الصعيد الاعلى .

(١٢) السياسة ازاء رجال العلم والموظفين التكنيكيين والموظفين العاديين

يجب خلال الحركة الحالية الاستمرار في تطبيق سياسة « الوحدة ــ النقد ــ الوحدة » ازاء رجال العلم وأعضاء هيئات الموظفين التكنيكيــين والموظفين العاديين شريطة أن يكونوا من الوطنيين والعاملين بصورة فعــالة وغير معارضين للحزب والاشتراكية وألا يكونوا من المتآمرين مع الخارج . ويجب اضفاء اهتمام خاص على رجال العلم وأعضاء هيئات الموظفــين التكنيكيين والموظفين العلميين الذين ساهموا بمعطياتهم ، أما فيما يتعلق بمفهومهم عن العالم ونمط عملهم فاننا نستطيع مساعدتهم على اعــادة تكوينه تدريجيا .

(١٣) الاجراءات التي يجب اتخاذها للامتزاج مع حركة التربية الاشتراكية في المدن والريف

تتمركز حركة الثورة الثقافية البروليتارية الجارية حول المؤسسات

الثقافية والتربوية والاجهزة القيادية في الحزب والحكومة في المدن الكبيرة والمتوسطة .

وقد أغنت الثورة الثقافية الكبرى حركة التربية الاشتراكية في المدن والريف وحملتها الى مستوى أرفع ويجب السير في هاتين الحركتين مازجين بصورة وثيقة بينهما . كما يجب اتخاذ اجراءات لهذا الغرض من قبل مختلف المناطق ومختلف القطاعات مع مراعاة ظروفها الخاصة .

ومن المستطاع في الريف وفي المؤسسات المنشأة في المدن حيث تجري حركة التربية الاشتراكية عدم تغيير الاجراءات الاصلية ومتابعة الحركة بحسب هذه الاجراءات اذا كانت هذه ملائمة وطبقت بشكل مرض . على أنه يجب اخضاع المسائل التي تثيرها الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى الجارية الى مناقشات الجماهير في الوقت المناسب بهدف جعل الايديولوجية البروليتارية أعظم اشعاعا مزيدا أيضا وتصفية الايديولوجية البورجوازية.

وستتخذ الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى في بعض الامكنة كمحور لتسيير حركة التربية الاشتراكية حتى يجري التصحيح في المجالات السياسية والايديولوجية والتنظيمية والاقتصادية . ويمكن القيام بذلك اذا حكمت لجنة الحزب في هذه الامكنة أن هذه الطريقة في العمل ملائمة .

(١٤) القيام بالثورة والتقدم بالانتاج

ان هدف الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى هو « تثوير » تفكير الانسان حتى يمكن في جميع مجالات العمل الحصول على نتائج أحسن فيما يتعلق بالكمية والسرعة والجودة والتوفير . وطالما كانت الجماهير معبأة بصورة كاملة والاجراءات الملائمة متخذة فان من الممكن تأمين السير الحسن للثورة الثقافية والانتاج وضمان جودة العمل في جميع المجالات.

وتشكل الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى قوة كبيرة محركة في تطوير القوة الانتاجية الاجتماعية لبلادنا . ومن الخطأ جعل الثورة الثقافية الكبرى مجابهة لتطور الانتاج .

(١٥) القوات المسلحة

يجب القيام بالثورة الثقافية وحركة التربية الاشتراكية في القوات المسلحة طبقا لتعليمات الهيأة العسكرية للجنة المركزية للحزب وللادارة السياسية العامة لجيش التحرير الشعبي .

(١٦) فكر ماوتسي تونغ هو دليل العمل في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى

يجب في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى أن يرفع العلم الاحمر العظيم لفكر ماو تسي تونغ عاليا وأن توضع السياسة البروليتارية في في مركز القيادة . ويجب تطوير حركة الدراسة والتعمق الخلاقين لمؤلفات الرئيس ماوتسي‌تونغ لدى الجماهير الواسعة للعمال والفلاحين والجنود والكادرات والمثقفين كما يجب اعتبار فكر ما وتسي تونغ كدليل العمل في الثورة الثقافية .

ومن الضروري جدا للجان الحزب على مختلف المستويات في هذه الثورة الثقافية الكبرى الشديدة التعقيد أن تدرس مؤلفات الرئيس ماوتسي تونغ وتطبقها باخلاص وبصورة خلاقة . كما يجب على هذه اللجان بصورة خاصة أن تدرس وتدرس أيضا كتاب **الرئيس** ماو المتعلقة بالثورة الثقافية وأساليب قيادة الحزب مثل : **((الديموقراطيةالجديدة))** و ((**التدخل في الاحاديث حول الادب والفن في يينان**)) و ((**في الحل الصحيح للتناقضات داخل الشعب**)) و ((**خطاب ألقي في المؤتمر القومي حول عمل دعاية الحزب الشيوعي الصيني**)) و ((**حول أساليب القيادة**)) و **((أساليب العمل للجان الحزب .))**

ويجب على لجان الحزب على كافة المستويات اتباع التعاليم المعطاة منذ سنين من قبل **الرئيس** ماو وتطبيق خط الجماهير المسمى **((الانطلاق من الجماهير للعودة الى الجماهير))** وأن نكون تلامذة أولا للجماهير قبل أن نصبح معلميها . كما يجب تجنب وجهات النظر الوحيدة الطرف والمحدودة وتشجيع الديالكتيكية المادية ومجابهة ما وراء الطبيعة والمدرسية (السكولاستيكية) .

وستحرز الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى بقيادة اللجنةالمركزية للحزب التي يقودها الرفيق ماوتسي تونغ ، ستحرز بكل تأكيد نصرا عظيما .

الحزب والشعب والحرس الاحمر

من هذه القرارات التي اتخذها الحزب يظهرلنا ان الحرس الاحمر كان منفذا أمينا للخط السياسي الاشتراكي ولمبادىء الثورة الثقافية ، وان نجاحه فيهذه المهام الكبرى كان مصدره الرئيسي عمق ايمانه بالمبادىء

الاشتراكية الماركسية اللينينية التي طورها تطويرا خلاقا زعيم الصين العظيم ماوتسي تونغ ، وقدمها لشعبه ولشعوب العالم لتكون منارة الماركسية اللينينية في مرحلة التطبيق .

تلك هي أعمال الحرس الاحمر ، وتلك هي اصداؤها في الاوساط الشعبية ، ومن الطبيعي ان تحدث هذه الظاهرة الجديدة التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ التنظيم الشعبي تأثيرات مختلفة في داخل الصين ، وفي خارجها .

فللطبقات المختلفة وجهات نظر مختلفة حول اعمال الحرس الاحمر ، فالرجعيون يطرحون السؤال التالي : لماذا يتطوع طلاب ومعلمون للقيام باعمال التطهير التي قررتها الثورة الثقافية ، ويضيفون انهم يتجاوزون صلاحيات الدولة والحزب والجيش والمليشيا الشعبية باعمالهم هذه ، وسؤال الرجعية هذا ليس وليد الغيرة على النظام والانضباط كما يزعمون، لان الحرس الاحمر لم يتجاوز النظام ولا أخل بالانضباط ، وانما وضع مبدأ ، كل مواطن مسؤول عن صيانة النظام والحكم البروليتاري وعليه ان يقوم بدور الجندي والمثقف والعامل والفلاح كلما دعاه الواجب الى ذلك .

وفي خارج الصين ، لم يتفهم الرأي العام العالمي معنى وجود الحرس الاحمر ولا الاعمال التي قام بها ، فقد زعم الاستعمار واعداء الاشتراكية ان الحرس الاحمر اعتدى على كرامة الانسانية لانه مؤلف من شباب متعصب .

والف الاستعمار ، وفي مقدمته الاستعمار الامريكي القصص عن الضحايا المزعومة للحرس الاحمر ، والحقيقة هي ان الحرس الاحمر لم يتعرض لكرامة انسان ولا لتقاليد مجتمعه الحديثة ، وكل ما فعله الحرس الاحمر هو أنه نفذ مبادىء الثورة ، وناضل بتعقل اي انفصح العميق والنقد العميق ففضح الملامح البشعة المعادية للثورة ، وطرح امام الشعب اعمال أعدائه ، الذين سرقوا ممتلكات الدولة من اجل الاثراء بمختلف الوسائل الممكنة ولم يتورعوا عن تسبيب خسائر كبرى للجماهير الواسعة منفذين بذلك الحملة الثقافية ضد الافات الثلاث الفساد والاسراف والبيروقراطية ، ولم يكتف الحرس الاحمر بذلك فقط ، وانما اخرج الى الشوارع مسروقات هؤلاء اللصوص ، وعرض على الشعب حتى الدولارات والنقد الذي يصدره تشان كاي شيك ويوزعه على عملائه ، وكان هذا عملا عظيما قام به الحرس الاحمر لانه تأكد بواسطته انه لا يمتهن كرامة الانسانية ، وانما يصونها من

اعدائها الذين يهيئون لها العودة الى ازمنة الامتهان الحقيقي ، أي الى الرأسمالية والاقطاع والاستسلام للمستعمرين .

ولقد قالت جريدة الشعب اليومية الصينية في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ اب ٩٦٦

لقد أصبحت الثورة الثقافية الكبرى حركة ثورية للجماهير الغفيرة وهذا مظهر جديد وهام يشير الى انها بدأت تحرز الانتصارات .

وفي هذه الحركة الجماهيرية للثورة الثقافية قام الحرس الاحمر بدور القوة الصاعقة التي تشن هجمات امامية جريئة . ونهتف بالتحية للحرس الاحمر البطل ونحيي حرسنا الاحمر .

ولم يمض وقت طويل منذ خرج الحرس الاحمر الى الميدان ومع هذا لقد هز حقا المجتمع باسره والعالم القديم . ويحصد سلاح نضالهم الحاد كل مقاومة . وقد كنس الحرس الاحمر كالزبالة العادات والتقاليد القديمة لجميع الطبقات المستغلة . ولا يستطيع احد من الطفيليين القدماء المختفين في الزوايا المظلمة الفرار من عيون الحرس الاحمر الساهرة .

ويخرج الحرس الاحمر مصاصي الدماء هؤلاء واعداء الشعب الالداء واحدا تلو الاخر . وقد اخرج ذهبهم وفضتهم واشياءهم الثمينةوكنوزهم المخفية وعرضت كما عرضت للشعب حساباتهم المالية التي كانت مخفية بانتظار العودة المأمولة وعرضت أسلحتهم القاتلة المتنوعة على يد الحرس الاحمر . وجميع هذه الاعمال من المآثر التي قام بها الحرس الاحمر . وان اعمال الحرس الاحمر جيدة حقا . »



الطالبات والطلاب في العمل الزراعي

حملة دراسة مبادىء ماوتسي تونغ

ان الثورة الثقافية وعملية التطهير لم تنتهيا في الصين حتى اليوم ، وقد تستمران وقتا غير قصير ، ولكن ليس هذا هو المهم : وانما المهم حقا هو ان معالم الانسان الجديد قد بدأت تظهر فعلا من خلال الثورة الثقافية وانظهور الحرس الاحمر هو مثل لهذا الانسان الجديد ، انسان الاشتراكية المتسلح بالنظرية والقادر على الاستفادة منها في اعماله اليومية ، والمقدر لمعنى المسؤولية والدور الذي يجب أن يؤديه دون تحريض ولا دفع خارجي من أجل حراسة مكتسبات ثورته .

ان افكار ماوتسي تونغ التي أعطت الشعب هذه القدرات ، هي في الحقيقة السلاح القوي للفكر ضد المصاعب الحياتية الشخصية وضد مصاعب العمل ، وضد اعداء النظام .

ولهذا شنت الآن في عموم الصين حملة كبرى لدراسة مبادىء ماوتسي تونغ التي برهنت نجاحاتها في التطبيق على انها العمود الفقري لبناء المجتمع الجديد .

ولهذا أنت لاتدخل متجرا في الصين بعد فراغ شغيلته من اعمالهم ، وكذلك لاتدخل كومونة ، ولا مستشفى ، ولا معملا ، ولا ورشة ، ولا ثكنة عسكرية الا وتجد مؤلفات الرئيس ما وتسي تونغ تحت مجهر الشعب يحللونها ويحاولون الاستفادة منها في مجالاتهم الحيوية .

يقول الطبيب ان عدوى كامن في جسم المريض ، وان خبرتي هي قوتي الستراتيجية المتفوقة على هذا العدو ولكن لابد لي من الاستعداد والتكتيك الكاملين للتغلب على هذا العدو الخطير لانقاذ الاخ المريض . . .

كل عامل ، وفلاح ، ومثقف وعالم ، وجندي ، يضع هذه الحقيقة نصب عينيه عندما يواجه المصاعب في حياته اليومية ، وينتهي الى ان كل الاعداء ، وكل الرجعيين نمور من ورق . انهم في المظهر ، مخيفون ، ولكن قوتهم ، في الواقع ، ليست رهيبة بهذا المقدار . واذا استرشدنا بوجهة نظر المستقبل ، فالقوة القادرة حقا ليست ملك الرجعيين بل هي تكمن في الشعب كما قال الرئيس ماوتسي تونغ للمراسلة الامريكية أنا لويس سترونغ .

الاعداء نمور من ورق

حتى القنبلة الذرية نمر من ورق ، يستخدمه رجعيو الولايات المتحدة لاخافة الناس . انها تبدو مرعبة ، ولكنها ، في الواقع ، ليست كذلك . أكيدا ، ان القنبلة الذرية هي سلاح ابادة بالجملة ، ولكن الشعب هو الذي يقرر مصير حرب ما ، وليس واحد واثنان من الاسلحة الجديدة .

ويفسر الرئيس ماوتسي تونغ رأيه هذا في خطاب له القاه في احدى اجتماعات المكتب السياسي للحزب عام ١٩٥٨ فيقول :

« كما انه لايوجد شيء في العالم غير مزدوج الطبيعة (هذا قانونوحدة الاضداد) ، فكذلك الاستعمار وجميع الرجعيين مزدوجو الطبيعة ، فهم نمور حقيقية ، وفي الوقت نفسه ، نمور ورقية . لقد كانت طبقة ملاك العبيد وطبقة الملاكين الاقطاعيين والبرجوازية في الماضي ، قبل ان تتسلم سلطةالدولة وحتى بعد ذلكببعض الوقت، كاملةالحيوية، ثورية وتقدمية، كانت نمورا حقيقية . ولكنها في الفترة التي أعقبت ذلك ، ولان قوة أضدادها ـ طبقة العبيد وطبقة الفلاحين والبروليتاريا ـ تعاظمت بالتدريج ، وناضل هؤلاء ضدها بشدة متزايدة ابدا ، فقد تحولت هذه الطبقات المالكة شيئا فشيئا الى عكس ما كانت عليه ، الى طبقات رجعية ، تأخرية ، والى نمور من ورق ، وقد اطاحبها الشعب ، او انه سيطيحبها في آخر الامر . وتحتفظ هذه الطبقات الرجعية المتأخرة المتفسخة بهذه الطبيعة المزدوجةحتى في نضالاتالحياةأو الموت التي تشنها ضدالشعوب، فقد كانت بمعنى من المعاني ، نمورا حقيقية ، تأكل الناس ، تأكل الناس بالملايين وبعشرات الملايين . ولقد مرت قضية النضال الشعبي عبر فترة من العقبات والمصاعب ، وتخللت طريق هذا النضال انعطافات وتعرجات كثيرة . ولقد كان على الشعب الصيني ، لكي يطيح بحكم الاستعمار والاقطاع والرأسماليةالبيروقراطية في الصين ، ان يناضل أكثر من مئة عام وان يقدم عشرات الملايين من الارواح قبل أن يحرز النصر عام ١٩٤٩ . انظروا ! ألم يكن هؤلاء نمورا حية ، نمورا حديدية ، نمورا حقيقية ؟ ولكنهم تحولوا في النهاية الى نمور من ورق ، نمور ميتة ، نمور من جبن الصويا . ان هذه وقائع تاريخية . فهل يمكن ألا يكون الناس قد شاهدوا كل هذا ؟ وهل يمكنألا يكونوا قد سمعوا بكلهذا ؟ ان لديهم ، فيالحقيقة، ألوف وعشرات ألوف الشواهد ! نعم ، ألوف وعشرات الالوف ! وهكذا، اذا ما نظرنا الى الاستعمار وجميع الرجعيين من حيث جوهرهم ، ومن جهة نظر المستقبل ، ومن زاوية الاستراتيجية ، فينبغي اعتبارهم كماهم: نمور من ورق ، وعلى هذا الاساس يجب ان نقيم تفكيرنا الاستراتيجي .

كما ينبغي اعتبارهم ، من ناحية اخرى ، نمورا حية ، نمورا حديدية ، نمورا حقيقية ،تأكل الناس ، وعلى هذا الاساس يجب ان نقيم تفكيرنـا التكتيكي . »

وهذا الانسان الجديد الذي تجده متآخيا في جميع ظروف ومراحل العمل والانتاج ، وترى حتى الاحداث الذين لم يتجاوزوا الخامسة عشرة من عمرهم يقدمون الخدمات في القطار لحاملي الامتعة الثقيلة ، ويشاركون في خدمات البيوت للعائلات المناضلة ، ويشرفون على الحدائق ، ويمارسون التعلم والعمل والتدرب على السلاح الوهمي ، ترى هؤلاء فترى من خلال نشاطهم الاجتماعي معالم الانسان الجديد . . .

وعاليا عاليا ارتفعت من جديد وبفضل دراسة مؤلفات الرئيس ماوتسي تونغ شعارات هادفة الى تنفيذ سلسلة القرارات التي كان اتخذها الرئيس في السنوات الاربع السابقة والتي تشمل :

١ ــ مسألة تربية وتعليم ورثة قضية الثورة البروليتارية .

٢ ــ تطبيق وتنفيذ مبادىء نظــام الديموقراطية المركزية وتطوير التقاليد الثورية للخط الجماهيري .

٣ ــ النداء الى المؤسسات الصناعية لتتعلم من حقــل زيت داكينغ والوحدات الزراعية لتتعلم من فرقة انتاج دانشاي .
وللبلاد بأسرها لتتعلم من جيش التحرير الشعبي .

٤ ــ تعزيز الاعمال السياسية والنظرية .

٥ ــ مبدأ الاستراتيجية للاستعدادات لمواجهة الحرب والاستعدادات لمقاومة الكوارث الطبيعية ، ومن أجل مصالح الشعب .

٦ ــ تدمير القيود الاجنبيــة والسير في طريقنــا الخاص لتطوير صناعتنا .

٧ ــ النظام والتوزيع الجغرافي للبناء الاقتصادي وبناء الدفاع الوطني .

٨ ــ النداء الى الحزب كله ان يتمسك بالشؤون العسكرية وتنفيذ خطة أن يكون كل فرد جنديا .

٩ ــ مسألة المخططات والترتيبات لتحقيق المكننة الزراعية تدريجيا .

١٠ ــ النداء الى جيش التحرير الشعبي والمصانع والارياف والمدارس والتجارة والخدمات والدوائر الحزبية والحكومية ان تكون كلها مدارس كبرى للثورة .

وها هي بالفعل الخطوات الوئيدة نحو تحقيق هذه الاهداف تبرز من خلال الثورة الثقافية التي أكدت على ضرورة تحقيق القفزة الكبرى في جميع المجالات بواسطة الخط العام الذي ينصح ببذل أقصى الجهود وبالتطلع الى العلاء ، وبتحقيق أعظم وأسرع وافضل وأكثر اقتصادا من أجل بناء الاشتراكية واجراء حركات التصفية المستمرة في مجالات السياسة والافكار والتنظيم والاقتصاد .

و من خلال الحملة الشعبية السائدة كل انحاء الصين وكل الشعب الصيني لدراسة مؤلفات الرئيس ماوتسي تونغ تبين للشعب ان الثورة الثقافية الحالية ليست ضرورية فحسب وانما هي عمل ثوري يجب أن يستمر ، وان الرئيس ماو كان على حق حين قال :

« ان أية ثقافة معينة (كشكل ايديولوجي) ان هي الا انعكاس للسياسة والاقتصاد في مجتمع معين وبالتالي فان للاولى تأثيرا ونفوذا هائلين على الاخيرة » . « والثورة الثقافية ان هي الا انعكاس ايديولوجي للثورة السياسية والاقتصادية وفي خدمتها » . وقال أيضا : « اننا عندما نعترف بأن المادة تقرر الاشياء العقلية وأن الوجود الاجتماعي يقرر الشعور الاجتماعي في التطور العام للتاريخ نعترف كذلك ويجب أن نعترف برد فعل الاشياء العقلية على الاشياء المادية ورد فعل الشعور الاجتماعي على الوجود الاجتماعي ورد فعل البناء الفوقي على القاعدة الاقتصادية .»

واعتمادا على هذه النظرية نكتشف المردود المادي للدراسة النظرية ، كما نكتشف محتوى كلمة « **لقد تفوقت في انتاجي بفضل تعليمات الرئيس ماو ...** » التي اصبحت كثيرة الترديد منذ ثلاث سنوات ، أي منذ بداية الثورة الثقافية ، وحملة التعلم من مؤلفات الرئيس ماو ...

أما المثقفون ... أما رجال الحزب .. اما قادة الاجهزة اما الفنيون والمشرفون الحزبيون ، فقد بدت لهم شخصية جديدة أكثر التصاقا بالشعب ، بفضل الثورة الثقافية وحملة التعلم والاستفادة من مؤلفات الرئيس ماو التي تقول : كل فرد من كوادرنا مهما علت أو انخفضت رتبته خادم للشعب ، وكل ما نفعله في خدمة الشعب . »

ولهذا أصبح في الصين ٧٠٠ مليون خادم ، يعملون جميعا لخدمة ٧٠٠ مليون مواطن ، وأصبح كل حزبي يحاول أن يكون أحمر وخبيرا أي قائدا وعاملا معا ..

ولا غرابة في هذا فان القادة والرؤساء جميعا يدينون بالثورة المستمرة ذات المثل العليا المحرضة على تنفيذ ما يلي :

١ ـ حافظ على التقليد الرفيع في العمل الكدود وانبذ كل الامتيازات.
٢ ـ شارك في العمل اليدوي ولا تمارس دور السيد مطلقا .
٣ ـ واصل المزيد من الاستقصاء ثم انصت لما تقوله الجماهير ، في حل المشاكل ، وحسن اسلوب العمل .

ولضمان التأكد من مدى تطبيق هذه الانضباطات ، تعقد اجتماعات منتظمة في اوقات محدودة للنقد والنقد الذاتي وفي كل عام يرسل العمال والموظفون ، ممثلين عنهم للقيام بتفتيش دقيق حيث يضع المسؤولون أنفسهم ، بصورة اختيارية ، موضع مراقبة الجماهير . ولا يوجد احد في تاكينغ مثلا سواء أكان مسئولا أم عاملا عاديا أم فردا في عائلة ، يخلد الى الاسترخاء والخيلاء . ان منازل العمال مبنية من الطين وكذلك مكاتبهم التي لا ترى فيها كرسيا منجدا . وذات مرة ارسل عضو من ادارة الشؤون العامة طلبية الى مدينة مجاورة . تتضمن اثاثا منجدا وطاولات فاخرة ولكن القيادة الغت الطلبية في الحال. وبعد ان وضح له الامر ، عرف كنه غلطته .

ان الانسان الجديد ، ذو المثاليات الجديدة ، لايدعي التفوق ، ولا النصر على المصاعب غرورا ولا تعصبا وانما يظل معترفا بمبدأ التعاون والمشاورة والتعلم من انتصارات وخبرات غيره والاعتراف الدائم بالتخلف والتقصير عن الواجب ذلك لانه دائم النظر الى احتياجات مجتمعه التي لايمكن لفترة قصيرة أن تؤمن كلها ، وبشعور الجندي الملم بطول المعركة ومصاعبها ينظر الى النقص في أدواته وفي خبرته ويحاول التعويض عنه بارادته ونضاله ودأبه ... فمن النقص والمشاكل التي واجهت عمال ورشات البترول في تاكينغ مثلا استقوا قوة دافعة الى الامام وكلفوا انفسهم المزيد من الواجبات رغبة في تسهيل عملهم . وعلى هذه الشاكلة يعثرون على الخطأ بأنفسهم لا عندما ينجزون عملا بارزا أو عندما يطرون وحسب وانما ايضا عندما يفرغون من حفر بئر أو ينهون عملا آخر . ولقد لخص عمال وموظفو « الفيلق الحادي عشر للانشاءات النفطية » تجاربهم على النحو التالي : استعمل عدسة مكبرة لرؤية فضائل الآخرين ولا تدع فرصة للتعلم تفتك . استعمل ميكروسكوبا لرؤية نواقصك ولا تغض الطرف عن ادنى هبوط في مستوى العمل . استعمل تيليسكوبا عندما تكون في تقدم لتستكشف به آفاق المستقبل . استعمل مصباحا قوسيا عندما تعالج مشكلة ما لكي تلم بالتناقض الرئيسي ثم حلها من اساسها .

وبفضل اندماج القيادة في الحزب وفي العمل العلمي والتكنيك اصبح العمال يصفون مهندسيهم بقولهم : **« انه نائب رئيس المهندسين ولكنه يعمل بيديه مثلنا ولا يتبختر ... »**

وبفضل العمل التثقيفي المقترن بالعمل المنتج اصبح تبادل الخبرات بين ورشات العمل اساسا في اسلوب تباري فرق الانتاج وتحدياتها الاخوية لبعضها في سبيل تجديد ومضاعفة واختصار مدة الانتاج مع التقليل الى أقصى حد ممكن من أكلافه .

فقبل التوجه الى العمل يعقد اجتماع لبحث كل مراحل العمل المقبل، وعند نهاية كل نوبة عمل يعقد اجتماع لنقد كل فرد وكل عمل ودراسة المصاعب ثم تلخص الممارسات الخاطئة وتعلق على الجدار وعندما يقضى على واحدة منها فانها تحذف من اللائحة ، أما اذا حدثت ممارسة خاطئة جديدة فانها تضاف الى القائمة. وبذلك ارتفع عاليا مبدأ الرئيس ماوتسي تونغ الذي ينصح باجراء حملة جماهيرية مستمرة ــ حملة المقارنة والتعلم واللحاق وتجاوز المتقدم ومساعدة المتخلف .

وهكذا حتى خدمات الانسان خلال العمل ، وغذاؤه وكساؤه بالاضافة الى صحته قد دخلت في هذه الحملة الجماهيرية .

وحين نسمع نحن ضيوف الصين العامل فان وانغ الذي رقي بفضل عمله العظيم في اكتشاف وحفر آبار البترول حين نسمعه يقول :

لقد طرت من الفرح عند سماع اكتشاف احتياطي جديد من النفط . وفكرت : بلادنا ما تزال فقيرة ومتأخرة فاذا كنا مزمعين على تغيير هذه الحالة فلا يجب ان لاندع ضغط المسئولية الثقيل يستلقي على كواهل الرفاق القادة وانما يجب أن نقاسمهم ذلك . يجب أن نعمل جميعا تحت « الضغط » بمحض اختيارنا ، لانه فقط عندما يوجد ضغط من هذا النوع سوف نمتلك الحماس والنشاط اللازمين للخروج من المصاعب . ان هذا الضغط هو اعلى درجات المسئولية السياسية التي بها نلتزم للحزب والبلاد والشعب .

فان هذا الكلام يدخل الى نفوسنا القناعة بأن صياغة مثل هذا الانسان الجديد هي العامل الرئيسي في بناء المجتمع الجديد مجتمع الاشتراكية .

وهذا العامل الذي ردد تلك الكلمات في حديث له نشرته جميع صحف الصين يحدثنا عن اسباب وعوامل نجاحه في العمل وثباته عليه ، فيقول « في المجتمع القديم قاسينا نحن معشر الفقراء مشقات لا وصف لها .

ولقد انقذنا الحزب . فلماذا لانرد له الجميل ؟ وبمثل هـذا الشعور في عقلي ، عملت بكد للحزب . ونتيجة لتثقيف الحزب ولدراستي لمؤلفـات الرئيس ماو ، صار من الجلي لي ان هذا التفكير ليس صحيحا من كـل الوجوه . لقد علمت ان هناك شعوبا كثيرة في العالم ما تزال مضطهـدة ومغلوبة ، وانهم يحيون حياة شبيهة بتلك التي رسفت فيها أمي في المجتمع القديم عندما كانت تضطهد طوال الوقت وعندما ضربهـا المستبدون ذات مرة ضربا مبرحا . وانه لواجبنا ان نواصل الثورة وان نساعـد الشعوب والامم المضطهدة على الانعتاق . فاذا ما نمنا اقل من الوقت المقرر وصببنا مزيدا من العرق ، من أجل هذه المهمة فان ذلك شيء تافه ».

ومبدأ نكران الذات وايثار المصلحة العامة على المصلحة الشخصية ، والتحرر من الغرور ومن ادعاء المعرفة جهلا هو المبدأ الذي حوله الشعب عمليا من نصائح وارشادات زعيمه ماوتسي تونغ الى أخلاق تشكل الجزء البارز من شخصيته الجديدة ، ومن تركيبه النفسي الجديد .

ومبدأ التعلم من الابطال المعاصرين ابطال العمل والجيش والادب والفن الملخص في نصائح للرئيس ماوتسي تونغ مارسها الشعب وتحول الى اخلاق تشكل الجزء الهام في شخصيته الانتاجية التي تكتسح كل المصاعب وتخلق المباريات الحبية بين الوحدات الانتاجية تلك المباريات التي لايتخللها الغدر بكتمان وسائل النجاح ، وانما يتوجها تبادل النصح واساليب النجاح .

وحين نضرب مثلا بالشعارات التي اطلقها الرئيس ماوتسي تونغ للتعلم من ابطال الانتاج والجندية ، لاننسى البطل العسكري وان جيه الذي كان يعلم جنود فرقته المؤلفة من عشرة جنود كيف يشعلون صندوق المتفجرات فأخطأ احدهم وفجر الصندوق بين رفاقه وكاد يقتلهم جميعا ، فما كان من البطل وان جيه الا أن يلقي بجسده على الصندوق ليكون الضحيـة الوحيدة من دون جنوده العشرة . . .

اما البطل العسكري ليو ين جن الجندي العادي البسيط الذي كان يسوق الخيول فأطلقت سيارة من خلفه صوت نذيرها فجفلت الخيـول وجنحت الى جهة كان فيها ستة اطفال صغار يلعبون وكادت تقتلهـم بسنابلها ، ولكن البطل امسك بالخيل وجر زمامها فوقفت متقدمتها على قدميها الخلفيتين رافعة قائمتيها الاماميتين ، وحين ضربها على قدميها الخلفيتين ليرمي بها ارضا ويحول بذلك بقية الخيول عن الاطفال ، اجتاحت الخيول البطل ورمت به خندقا كان في طريقها وسقطت فوقه ، فأصيب بجراحات أدت

الى وفاته ، وكان ذلك مفخرة التضحية بالذات في سبيل انقاذ الآخرين ، الاطفال الستة .

وكذلك البطل العسكري في سلاح البحرية ماي شيان وه الذي جرح في رأسه خلال معركة مع جنود تشان كان شيك ولكنه ظل يقاتل حتى حقق النصر وهزيمة العدو ..

اما البطل جو اي لو سكرتير الحزب في ناحية (لان كاو) التابعة لمقاطعة (خونان) الذي قاوم الكوارث الطبيعية المستمرة وتغلب عليها ، فقد أصبح اسمه نموذجيا ، واصبحت تجاربه قدوة ، واصبحت كل المزارع تنهج نهجه وتعمل بروحه ودأبه .

فقد كانت ناحية لان كاو تجدب بسبب الكوارث الطبيعية لسنوات عديدة وكان سكانها يطعمون من مساعدات الدولة ولكن جو اي لو الذي قاد الشعب بافكار ماوتسي تونغ القائلة **« علينا خدمة الشعب باخلاص وتفانٍ وان نعمل في سبيل النصر بجرأة معتمدين على أنفسنا للتغلب على جميع الصعوبات ، وان نمتزج بالجماهير على كافة المستويات »** قد عمل ليل نهار على استصلاح التربة واستحداث السدود ، والخزانات حتى تغيرت ملامح الناحية خلال سنتين ونصف واصبحت لاتكفي نفسها بالمحصول فقط وانما أصبحت تصدر انتاجها الى المناطق الاخرى .

وخلال العمل الشاق الذي قام به البطل جو اي لو ظهرت عليه عوارض مرض لم يعرف نوعيته ، ولا شكا امره لأحد ، ولا حاول ان يقعد عن العمل ويخلد الى الراحة بسببه وحين اشتد المرض وأفقده القدرة على اخفائه حاول اصدقاؤه ورفاقه العمال ارساله الى المستشفى للتداوي ولكنه كان يقول لهم ، اني في معركة استصلاح الارض أشبه الجندي في المعركة حين يواجه العدو فهل يجوز للجندي أن يهرب لسبب من الاسباب ، ولهذا لن أهرب من المعركة ابداً ، وهكذا ظل يتابع عمله حتى النصر ولكن المرض أقصاه في النهاية ولما حمل الى المستشفى اكتشف انه كان مصابا بالسرطان في الكبد ، وحاول الاطباء انقاذ حياته ولكن بدون جدوى فكان لموته رنة أسى وحزن لدى الجميع ، وخلال مأتمه تعاهد زملاؤه ورفاقه في العمل أن يتابعوا خطه وان ينجزوا تبديل معالم القرية .

وحين كان يسأل أي واحد من هؤلاء الابطال عن سر تضحيته بنفسه في سبيل واجبه كان يجيب ، لقد أمرنا الرئيس ماو تسي تونغ أن نخوض معركة البناء بثورية شعارها حملة المقارنة والتعلم واللحاق والمساعدة

والتخطي المتزايدة قوتها ، وان يكون البطـل الفولاذي **« وانغ جيدسي »** رمزنا ونموذجنا الحي .

والرجل الحديدي هذا جاء ذكر بطولاته في غير هذا المكان من كتابنا ، وهو من ابطال اكتشاف ينابيع البترول في الصين الذي رفع شعارالاقتداء بأعماله في كافة انحاء الصين .

وبفضل هذه الروح ، البطولية التي أصبحت طابـع وميزة الانسان الجديد ، انسان الاشتراكية ذلل العمال شتى أنواع الصعاب بهمـة فائقة واستغلوا بلا انقطاع كل القدرات المتوفرة . ولانهم أخـذوا تاكينغ مثالا يحتذونه ، فقد أصاخوا ، اصاخة تامة ، الى سياسة « النوعية أولا » في تحقيق نتائج اعظم وأسرع وأكثر اقتصادا .

فهذه « مفحمة شيه كه جيـه » بمقاطعة شانسي . نـالت شهرة القاصي والداني من الصين لان عمالها يكدون في عملهم ويبقون على مرفقهم مصونا ويديرونه بجد واقتصاد ، الشيء الذي نتج عنه تحقيقهـم ، ولسنوات متتالية ، لتطور شامل ولنتائـج أعظم وأسرع وأفضل وأكثر اقتصادا . وفي بداية هذا العام راودت مخيلات بعض العمال هناك فكرة انهم قد عملوا كل ما في وسعهم . الا انهم بعد مناقشة الامر ودراسته نبذوا هـذه الفكرة وآمنوا بأن مسألة زيـادة الانتاجية وتقليل الأكلاف ليس لهما أيما حد وان على المرء أن يعمل بروح الثورة المتواصلة . وبعد ان تحرروا من الاصفاد المعنوية ابتدأوا يحققون انجازات باهرة .

وهذا « مصنع نانكين للراديوهات » . يعول على احراز تقدم اعظم من ذلك الذي حققه في العام الماضي ، فعبأ العمال لزيادة الانتاج وتقليـل التكاليف . وعدد العمال أكثر من الف مشكلة عـدد الأهم منها ٢٧٤ ، فاشترك كل واحد منهم في حلها . وفي أمد قصير حلوا ١٢٠ بينمـا كانت التجارب تجري لحل ٦٠ مشكلةاخرى. ويقول العمال : ان الطبقة العاملةفي الصين اذ تتسلح بفكر ماو تسي تونغ ، تستطيع أن تقهر كل المصاعبالتي تقف في طريق النجاح سوف تحوز على أي شيء تحوزه البلدانالاجنبية. وبامكاننا ايضا ان نصنع الاشياء التي لم تحز عليها بعد . ذلكم هوالطموح الذي يحدو العمال الصينيين الى العمل الجدي الذي هو شعار العامـل الاشتراكي .

اما عن التجديد الفني والثورةالتكنيكية فما زالا جزئين هامين من الحملة اياها . فالعمال يقرنون الطموح الثوري الذي ينضح من كلمة « التخطي »

بالمبادرة العلمية في تحقيق ذلك الطموح . فبالتفكير والتدبير اطلقوا العنان لروحهم الخلاقة مع العمل حسب خطة واقعية . لقد راعوا ، مراعاة تامة مبدأ « يجب ان يتم كل شيء بالتجربة » ولذلك فان العلوم والتكنولوجيا في الصين تطورت بشكل افضل واسرع بحيث تستطيع اللحاق بالمستويات العالمية وتتخطاها .

وتتجلى اهداف الثورة التكنيكية في التصاميم الجديدة والمواد الجديدة والتكنيك الجديد والتكنولوجيا الجديدة . وهذه الاهداف هي في نفس الوقت شرط رئيسي لزيادة الانتاج وتقليل التكاليف . وفي هذا المجال نشهد تقدما جديدا مع مرور كل يوم .

مثلا : كان الفولاذ الكربوني « ملك » صناعة الحديد والصلب لمدة مئة عام . الا ان الصين، برميها لـ **« الارثوذكسية الاجنبية »** شقت بنفسها طريقا جديدا مؤديا الى تطوير صناعة الفولاذ بالاعتماد على النفس . فصنعت الفولاذ المنخفض السبيكة والعالي المقاومة ليحل محل الفولاذ الكربوني الذي هو ادنى مرتبة وأقل مقاومة وغير ملائم لاحتياجات اليوم . لقد صنعت بضعة عشر نوعا منها بنجاح ، وهذا ما سوف يرفع من النوعية ويزيد من الانواع والذي سوف يمكن الصين من تخطي المستويات العالمية في وقت قصير .

لقد جاءت الحقائق مصداقة لمقولة الرئيس ماو : **« من المستطاع أن تصنع كل المعجزات ما دام هناك الانسان وقيادة الحزب .»**

تلك هي الثورة الثقافية ، في مجالات التوجيه والتوعية والتنمية الاقتصادية وخلق المجتمع الجديد والانسان الجديد ، وتلك هي انتصارات هذه الثورة الثقافية على التخلف وعلى المتخلفين والمنحرفين واعداء الاشتراكية والمستثمرين لها من الانتهازيين والعملاء .

وتلك هي حقيقة عملية التطهير في الاجهزة الحزبية والحكومية والثقافية ودور الشعب وفي مقدمته الحرس الاحمر والحزب والمخلصون في الحزب والادارة والدولة والطلاب والمعلمون في عملية التطهير هذه .

ونحن إذ نلخص كل ذلك في عرض مبسط ، انما نتوخى اقتباس الملائم لثورتنا وبنائنا الاشتراكي ، وانصاف شعب صديق يبني نفسه بالاعتماد على نفسه ، ويخلق قوة بشرية تعدادها ٧٠٠ مليون ونسبتها ثلث سكان العالم وطاقتها في محاربة الاستعمار والامبريالية والاستعمار الجديد وفي مقدمته الاستعمار الامريكي لاتقاوم .

ان قارئنا سيرى في هذه الدراسة على بساطتها ، السلاح الفكري الذي يحارب به اعداءه واعداء اصدقائه ورفاقه في دروب البناءالاشتراكي والتحرر الوطني والاقتصادي والثقافي . وسيرى دور الثقافة في انشاء المجتمع الجديد فيعمل على تجنيدها بكل فروعها لتحقيق اهدافه في بناء المجتمع الاشتراكي الصيني الذي يعمل من أجله مناضلا دؤوبا .

فعسى ان يكون كتابي هذا ، الذي أقدمه لاخوتي العرب العاملين في ميدان البناء الاشتراكي العربي ، سواء كانوا عمالا أم فلاحين أم جنودا أم كسبة أم مثقفين ، مفيدا لهم من ناحية واحدة على الاقل هي وضع أعظم وأحدث تجربة تبرز قيمة الثقافة المرتكزة على النظرية الواضحة في بناء المجتمع الاشتراكي .

فاذا أديت هذا الواجب نحو اخوتي العرب بواسطة كتابي هذا أكون جد سعيد ، خصوصا وان على كل مواطن عربي أن يؤدي واجبه في حدود امكانه وتخصصه وان يضع معرفته وتجاربه تحت بصيرة شعبه ليفيد منها في نضاله الشاق العظيم . وشكراً ...